

العدد ١٠٠ - ١٩٨٨ - ١٩٨٩

العروكة



مركز النشر: القاهرة - مصر

أسجد والقدم : خالد محمد خالد
العرب والمسلم سنة ٢٠٠٠ : د. محمد جابر أنصاري
حكاية الرجل : قصة قصيرة بقلم الشيخ محمد أوشلار



كلمة

متى تنتهي هذه المأساة؟



عبد الوهاب الكيكي

بالسياسة إلى العمل والحقائق والثقافة، وأراد أن يتعدى عن المبادئ التي يختلف فيها العرب، إلى مبادئ الاتفاق، والمصلحة المشتركة التي لا خلاف عليها، ولم يزد بعد الوهاب الكيكي في خدعة إلى كاتب أو معلق عربي، مشهور، كان لا مجهولاً، كتبت أن كان مسطوراً ولم يزد في العمل على نشر الإنتاج الفكرى العربى الجاد في كل مكان، لكن يحمل القالب الذي يشتره إلى أرض شتلى باللغة العربية، ولذلك أصبح، الكيكي، معروفاً ومحبوفاً من الجميع، وكان يتحرك بالطمع والحب، لأنه كان يشعر أنه يزرع الأرض للجميع، ويعمل في النور والشمس، ساطعة، ويتلقى من الحب لوطته وشعبه ولا ينطلق من الخلافات أو تيارات الكراهية التي يلغزها أعداؤها على النقص العربى، حتى تتمزق هذه النفس من داخلها لا من خارجها، وحتى تدمر نفسها بنفسها لا يائس الأخرين، وقد أحاط، الكيكي، نفسه بمساعدين يسرون على نفس الخط الذي يؤمن به، خط الخدمة القومية العلمة البعيدة عن الخلافات والصراعات، وكان على رأس هؤلاء المساعدين اخوة الشباب المثقف الوطنى الواعى، ماهر الكيكي، «وكان من بين مساعديه أيضاً زوجته الأمريكية، سوزى، تلك السيدة الراضة، التي شتات في أعلى طبقات المجتمع الأمريكى ثراء وجاهاً وسلطة. وقد تعرفت بالكيكي لاحقاً وتزوجته، ومن خلال الكيكي أملت بالعبور فوضياهم واصبحت «موسوعة» متحركة في المعرفة بالواقع العربى، ثم أصبحت بعد ذلك صوتاً حياً صادقاً في دفاعه عن العرب وقضيتهم

في أوائل الشهر الماضى دخل شخصان بخفيان السلاح إلى نابهما إلى مكتب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، في مبنى «برج الكركوت» في بيروت واستأجر الشخصان مقابلة مدير المؤسسة، الدكتور عبد الوهاب الكيكي، ولم يكن هناك حرس حول الكيكي، ولم تكن هناك صعوبة في لقائه، لقد كان مكتبه مفتوحاً، وكان بيته مفتوحاً، وكان قلبه وعقله مفتوحين بغير قيد أو تعقيد، ولكن لشخصين للذين بدلا مكتب عبد الوهاب الكيكي، كانا يحملان فيه قدر، والربيب أنهما لم يكونا على معرفة شخصية بالكيكي فقد سألنا أحدهما: هل أنت دكتور الكيكي؟ فقال له: نعم أنا عبد الوهاب الكيكي. وهنا أخرج الشخصان الجوهرون ما أخفيهما من سلاح وأطلقا على عبد الوهاب الكيكي رقعاً عترة رصاصية قضت عليه، وكان هذا هو اللقاء الأول بين القتلتين وربى عبد الوهاب الكيكي، أن إلى القتلتين لم يخافا مع الكيكي، هذا، وهما مع ذلك مكلفان من «جهة ما» لا نعلم عنه سوى ما قيل لهما من ضرورة اغتياله.

نحن أمام ظاهرتين: الأولى هي القدر، حيث يتسلل القادر كأنه ضيف، ثم يقتطف حاجة عن وجه القتلى. أما الظاهرة الثانية فهي اطمئنان عبد الوهاب الكيكي إلى أنه لم يفعل أبداً ما يستحق أن يجله أن يتعرض للذى - إن - الكيكي، كاتب مثقف وطنى عربى استطاع بجوهريته وشبابه للتدفق وثقله والامع وإخلاصه العميق أن ينتهي «داراً للفن» أصبحت في السنوات الأخيرة كبر دار للنشر في لوان العربى، ثم أشد نشاطه الثقافي والفكرى إلى أوروبا، فأنشأ في لندن مؤسسة لدراسات العالم الثالث، وكان يمد يده إلى الجميع، ويعمل بكل ما يستطيع على خدمة الفكر العربى والثقافة العربية والعلماء القومية العربية، وعندما بدأت الخلافات تستعمل كحجرائق للدمرة في الساحة السياسية العربية، ابتعد عبد الوهاب الكيكي عن كل مناصب السياسة وكان له، وصل إلى مناصب عليا وعلى رأسها عضوية اللجنة التنفيذية لخلفاء التحرير الفلسطينية، ومع ذلك فقد انسحب الكيكي من هذه المناصب البارزة ليترك العمل على الساحة القومية العامة، من أجل هدف بعيد شاعل أصيل أراد أن ينتقل من العمل

الأولى وهي قضية فلسطين، وهكذا عاش عبد الوهاب الكيكي يعمل بقلته وجهده المستمر الخصب في ميدان النشر، والمؤسسات العلمية والفكرية، وكان يعمل من أجل وطنه وقوميته وعروبه، وكان الذين حولوه يتعلمون منه كيف يعملون من أجل الوطن والقومية والعروبة، وكان لا يفرق بين عربى وعربى إلا بمقدار إيمانه بعرويته وقوميته، واستطاع أن ينتزع درجة الدكتوراه من الجامعات الانجليزية في موضوع كان المغرورين أن ترفضه هذه الجامعات وهو «تاريخ فلسطين الحديث» وقد كتب هذا التاريخ من وجهة نظر وطنية صريحة، وهي نفسها وجهة نظر الحق والعمل، ولكنها وجهة نظر ما تزال مرفوضة من الجامعات ومراكز البحث في الغرب، ومع ذلك فرفض الكيكي «اعتياز» ونموه على الغربيين لعدوه الدكتوراه في بحث يدين أن وجهه انظر لغربية في القضية الفلسطينية خاطلة.

كان عبد الوهاب الكيكي مفكراً وطنياً وصاحب قدرة نابغة على التآثر في الغرب، بالإضافة إلى ما كان له من تأليف عربى واسع، ومن هنا كان مضطراً إلى أن يجد أن يفكر في قلة، ومن باب هذا الاضطراب دخل عليه الثنائ يتحدان للتلحج اللثمانية وقلائد، فمن القائل هنا؟ إن القائل هو، الصهيونية، حتى لو كانت تلغى وجهها القبيح وراء قناع عربى مزيف، فاصبروني في التي ترفض أن يكون العرب قوياً بالسلاح أو بالثروة أو بالعلم أو بالتنوع، ما فدح الحسارى في وفاة هذا المثقف الوطنى الكبير وهو في عز شبابه وانتلجه ونبوغه.

والسؤال الآن هو: متى تنتهى هذه المأساة، ومتى يصبح، التنوع العربى، أمناً من مظلمات الرصاص الغائرة على الصور المظلمة القشرية؟ متى يصبح أصحاب القنابل في أمان من أصحاب الأسلحة الخفية وراء الاتواط؟ متى يصبح للحبر العربى قلباً من لون الدم الذي يسيل من الراس والقلب؟ متى يصبح الكتب والمكر الذى يعطى بغير حراسة، بحرسنا من أمته كلها، كما ينبغي أن تغلق الأمم الجبة مع أصحاب الحقول الكبيرة؟ متى تنتهى هذه المأساة في الوطن العربى...

متى... متى... متى...

حياه انتفاش

ماذا عن الرؤية المستقبلية للفكر العربي؟

العرب والعالم

سنة ٢٠٠٠م



مقام الدكتور محمد جابر الأنصاري

<http://Archivebeta.Sekhril.com>

تقع المنطقة العربية - الإسلامية في قلب التفاعلات العالمية والإنسانية شئنا أم
أبينا . أقول في قلب التفاعلات من الناحية المصرية ، وليس في قلب العالم من الناحية
الجغرافية والاستراتيجية فقط . كما هو مسلم به .
من هذه الرؤية لا مفر من أن يكون العقل العربي والضمير في قلب تلك التفاعلات
أيضاً . ليس على مستوى الأحداث اليومية فحسب ، وإنما على مستوى التطورات
والمستجدات . واشدد على كلمة مستجدات - الفاعلة في العمق ، والتي تعيد اليوم
خريطة العالم الفكرية والاستراتيجية في صياغة مستجدة من العلاقات والتوازنات
بين القوى والأمم والأجناس بحيث نؤكد أن نستيقظ في الغد القريب على عالم جديد .
هو الذي يولد اليوم من رحم هذا العالم المتوتر يخاض الولادة . كما نرى في كل ساعة .
جروباً وعنفاً وخروجاً على كل ما هو مألوف وقليل لكل ما هو متعارف عليه .

الطاقة وانظمة الإنتاج في دولة من الدول
إذا أريد لهذه الدولة أن تقع في حالة من
الشلل التام لبعض الوقت يفعل خلاله
العدو ما يريد بها وهي في حالة شلل
كامل للارادة والقدرة والرد ، بل لفهم
ما يدور حولها وما يجري بداخلها ، وليس
بعيدا عن الذاكرة ما تواربته الأنباء قليل
مدة ليست بالبعيدة عن ظهور اجسام
غريبة طائرة في اجواء دولة عربية
نقلية ، او أكثر ، وكيف ان أجهزة الضخ
توقفت عن الحركة في فترة اقتراب
الجسم الغريب منها .. ثم اختفائه دون
القدرة على معرفته .

هذا مجرد التذكير بمدى قدرة
الكمبيوتر الحديث على قلب العلاقات
البشرية وخلق الأوراق بعضها ببعض
والقرب بين اطراف العالم ، وجعل كل
طرف في حالة ارتباط لا فكك منه بما
تفعله الأطراف الأخرى وبما تخطط له
وبما تتعرض له من تطورات ، وذلك بما
يتجاوز جذريا كل ما أحدثه اختراع
لفطر والبلاخة والطلرة والراديو من
تغييرات في الفترات السابقة سنبو
مواضعة جدا بالنسبة للانقلاب
الإلكتروني الحالي والمقبل في القريب .
وفي الحالة هذه ، فأنه من الحكمة أن
تتبنى ، بقوة ، الى ان علم الكمبيوتر
ليس هو أجهزة الفيديو التي نستمتع
بتشغيلها كل ليلة مع شرب الشاي -
وغیره - ومع تسلي السمرا الأخرى ، وإنه
ليس بالمبالغة ولا المثالية المطلوبة
بتأسيس هيئة عربية عليا تشرف على
الإسراع بغرس وتجنيد علم الكمبيوتر
ومسانعته في الوطن العربي ، كي لا
يفوتنا هذا العلم الجديد أيضا ، كما فلتنا
من قبل علم الذرة وعلم الطاقة وغيرهما
من علوم العصر ..



الرئيس الراحل جمال عبد الناصر

الإنسانية الواسعة الرحبة من حولنا .
لأن العالم أصبح اليوم كما يقال بمثابة
« قرية صغيرة واحدة » ، وهي حقيقة
ستزداد رسوخا في الغد القريب مع تطور
وسبل الاتصال والإيصال الحديثة
وظهور أنواع جديدة منها ذات طابع
تغيري جذري للعلاقات بين البلدان
والدول والأفكار والتراث ، بل بالنسبة
للتأثير على سلوك الإنسان ونشاطه
العقلي .

وبدون أن نسهب في وصف هذه
الظاهرة - ظاهرة الانقلاب المذهل في
علم الكمبيوتر ومستقبله الإيصالية
والتأثيرية - يكفي أن نشير الى أن أبرز
معضلة تواجه العلماء في الدول المتقدمة
اليوم هي كيفية التوصل لاختراع أجهزة
تقوم الشلل الذي يمكن أن تحدثه أجهزة
العدو في جميع انظمة الدفاع وانظمة

ونحن امام هذه الدوامة إما أن تقع في
نوارها وفوضائها فنصاب باليأس والعجز
والشعور المتشائم والمساوي بعدم
القدرة على التحكم في المصير
والاستسلام لكل ما يفرض علينا ، وإما أن
نتجاوز كل الأم المخاض العسير الطويل ،
للقاطع للأنفاس ، لنستشرف المشهد
تاريخي بما يتجاوز منخفض الانحطاط
وبئس ، لنطل على الأفق الجديد الآتي
مع الغد .. ونبصر معالمة التي نامل أن
تعيّننا على رؤية أفضل .

ولقد اسهب الكتاب والمفكرون العرب
في الآونة الأخيرة في تشخيص ادواء
لواقع العربي ومعضلاته ، وهي عملية
تحتاج اليها وإلى استمرارها بلاشك ،
ولكن اكتمالاً لهذا التامل المكثف في وضع
الذات العربية والواقع العربي من
الضروري أيضا التامل في الصورة

التي خرجت من قلب العالم العربي قبل ثلاثين سنة على يد القائد العريي جمال عبد الناصر يوم كان العالم منقسما الى شرق وغرب ؟ تطرح هذا السؤال ، ونحن قريب الى التلال بالحد ، لان مصر العربية ، القلعة التاريخية والمستقبلية للوحدة العربية وللحياد الابجاني وعدم الانحياز ورفض منطق تقاسم النفوذ والمسكرات الدولية ، قد علقت لتأكيد ايمانها القاطع بفكرة الحيد وعدم الانحياز على لسان قيادتها الجديدة ، اسلم ان يتمكن العرب جميعا من العودة الى ممارسة هذه الفكرة بالعمل والفعل .

اما بالنسبة لايامن اوريا الجديد فيلسفة الحيد ، فقد بلغ الامر الى حد طرح فكرة توحيد ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية في دولة حيادية متحدة ومستقلة عن النفوذ السوفييتي والأمريكي معا . وهي فكرة تجد لها صدى عميقا في الشعور الألماني في القسم الشرقي والغربي على حد سواء .

ويرى الكتب الدولي يول إردمان ، مؤلف كتاب « انهيار ١٩٧٩ » - الذي تنبأ فيه قبل سنوات بالتطورات الإيرانية وحرب الخليج - يرى في كتاب جديد له صدر مؤخرا بعنوان « ايلم أمريكا الأخيرة » - بان الولايات المتحدة ستضطر ان اجلا أو عاجلا الى ترك اوريا وشأنها لو ان تخفيض تورطها العسكري في الساحة الأوروبية ، على أقل تقدير ، وان هذا سيحدث ليس بسبب المعارضة الأوروبية الشعبية والرسمية المتزايدة للهمنة الأمريكية ، وانما أيضا بسبب الأزمة التي يعاني منها الاقتصاد الأمريكي ويسبب تحول الولايات المتحدة

متوقفا في ظل النظام الذي قام اصصلا - واكتسب مبرر وجوده - من العمل على توفير الحيز !

على الضفة الأوروبية الأخرى ، تخرج الجموع اليوم للتظاهر في هولندا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا ضد الحليف الأمريكي « لنقول » لا - عريضة للمظلة الألمانية كما تريد أمريكا ، ولل سلاح القوي الذي تريد أمريكا ان تزرعه على امتداد القارة الأوروبية ، يحدث هذا صبح ميل بلدان أوروبية عريقة في راسماليها الى النظام الاشتراكي المميز عن الرأسمالية الأمريكية واتجاهاتها ، ومع بروز التيارات اوروبية غير معهودتها ما قبل الحرب العالمية الأخيرة ، تتراوح بين الانزلة الجديدة ، والحيادية على طريقة العالم الثالث وهي الفكرة التي تستقطب اوسع التأييد .

وقبل الاستطراد في شرح هذه الظاهرة يلح علينا الآن سؤال نود طرحه على علتنا العربية ودوله وأهل الرأي والقرار فيه :

● إذا كانت اوريا ، التي هي اوريا بكل طاقاتها وحضارتها ، ترفض مقولة التقسيم بين نفوذ سوفييتي ونفوذ أمريكي ، وبين نظام سوفييتي ماركي ، ونظام أمريكي رأسمالي ، فهل هو الوقت المناسب لنا نحن العرب ان ندخل من جديد في استقطاب تنافس حاد يمزق وحدة وطننا ووحدة إرادتنا واستقلالنا بين معسكر سوفييتي ومعسكر أمريكي ، وبين نظرية ماركسية ونظرية رأسمالية ؟ هل يجوز ان نقيد انفسنا بصيغ قديمة ي طرح عليها العالم المتقدم ، كالامم الأوروبية التي اخذت اليوم تطلب بلحياد وعدم الانحياز ، وهي الفكرة

واذا كنا نطالب اهل الحل والعقد في الوطن العربي بذلك ، فلما نطالب انفسنا كعقلين ومفكرين وباحثين ، ان ننقل في فترة نوعية من علوم الماضي الى علم المستقبل ، بحيث ينشأ لدينا في الفكر العربي ، ثيار مستقبلي « يعمل جاهدا على استبصار حقائق الغد حتى لا تفاجئنا بغرايتها وبمرارتها ويعجزنا عن مواجهتها ، كما فاجأتنا في الفترات السابقة وبشكل متكرر . وعنى عن الميان ان هذا العلم المستقبلي هو الاكثر رعاية ودعما في الاوساط القريبة من قادة الدول للتقدمة ومؤسستها الحاكمة او للخصخصة بصناعة القارات المصرية . بعد هذا التوقف الذي لا بد منه لنبيان أهمية « علم الكمبيوتر » و « علم المستقبل » نعود الى موضوعنا الأساسي وهو استشراف واستبصار الصورة الإنسانية الرحبة المحيطة بوطننا العربي وعلتنا الاسلامي ، بما تحمله من معالم الغد القريب للعلاقات والتوازنات الاممية وبما تخبئه من تقلبات في مجرى الحضارة العلية كلها .

لكن محصلتنا الأولى في هذه الرحلة الاستكشافية : اوريا . ففي هذه القارة القديمة المتجددة تتولد ملاح مهم من الغد الآتي . في اوريا الشرقية ثورة ، النظام الماركسي الثقلبيدي وعلى الة الشيوعية الرسمية وتطلع جريء الى نظام آخر ، وما يحدث في بولندا بالذات قلب لكل مسلمات ومعطيات النظرية الماركسية . فهم « العمال » يتحركون ضد « دولة العمال » كما تسميها الماركسية ، بل ويطلبون بحرية قبل الحيز ، بل يذكرون العالم ان الحيز ايضا لم يعد



برجنينيف



فرانسوا ميتران

<http://archivebeta.sektant.com>

روسيا وامريكا - معا - اى تصفية نفوذ الجنس الابيض فى اسيا والشرق . ليبدأ عهد التفوق الاصفر ، عهد قيادة الجنس الاصفر للحضارة البشرية ، بعد فزون من للسيطرة البيضاء على مقدرات الكرة الارضية . وما « المعجزة اليابانية » غير ارماس بذلك .

اما الاجناس السمراء والسوداء - والعرب منهم - فلن الطريق ما يزال امامها طويلا وشاقا ووعرا . لان الجنس الاصفر قد سبقها الى اكتساب مقومات الحضارة الحديثة - كما نرى فى هذا التفوق اليابانى التكنولوجى الهائل وفى العمل المنظم المنتج الذى تمارسه شعوب الشرق الاقصى الصفراء - واذا ما اردنا ان نهيبه لانفسنا مكانا تحت الشمس فيجب علينا ان نتعلم بتواضع من اليابان والصين وكوريا كيفية قدرة

بدوره الى زيادة التقارب الاستراتيجى بين الصين الشعبية والولايات المتحدة ، وبين الصين واليابان اللتين تمثلان تكنولوجيا وبشرىا - معا - القوة الضاربة للجنس الاصفر ، او الكتلة الصفراء التى نرى انها على وشك استلام قيادة الحضارة العالمية من الجنس الابيض فى مطلع القرن الحادى والعشرين . هذه حقيقة مستقبلية تستحق فى نظرننا تأملا طويلا .

وفى البداية فلن الولايات المتحدة تستخدم هذه « القوة الصفراء » فى مواجهة « القوة الروسية » وستعدها بالدعم والخبرة لتحقيق ذلك ، ولكنها ستكون قد ارتكبت خطأ تاريخيا فاحشا اخر لان القوة الصفراء ستعرف فى النهاية - بما لديها من ذكاء وتنظيم وفرة على الانتاج والتحدى - كيف تستخدم الدعم الأمريكى لتصفية نفوذ

من قوة الاقتصادية عظمى كانت تتحكم فى اكثر من نصف الاقتصاد العالمى حتى لخمسينات الى قوة فوق المتوسطة بلليل لا تسيطر على اكثر من خمس الاقتصاد العالمى فى الوقت الحاضر . وهذا يجعلها امام خيار لا مهرب منه : إذا أرادت حل مشاكلها الاقتصادية فيجب ان تقلل من حجم انفاقها العسكرى الهائل فى اوروبا بالذات . وعليها ان تختار فى النهاية : إما انقاذ الاقتصاد الأمريكى بالجلء عن اوريا ، وإما المقاء فى اوريا والاستمرار فى تفاقم الأزمة الاقتصادية ومواجهة انعكاساتها على مختلف اوجه الحياة الأمريكية .

والرئيس ريفان سيحكم التاريخ له او عليه ، وسيطف او سيسقط بمدى قدرته على التخفيف من هذه الأزمة الاقتصادية فهل سيستمر هو - وخلفاؤه - فى ممارسة تصعيد التواجد العسكرى الأمريكى فى القارة الأوروبية ؟

اما الاتحاد السوفياتى الذى يعانى من مشكلات اقتصادية وغذائية اعترف بها الرئيس برجنينيف نفسه ، فلهه سربح بكرة المانيا الموحدة واوريا الحادية وسيقلل باجراء تخفيض فى قواته المواجهة لأوريا ، لان ذلك سيزيح خاصيته القريبة وسيتمكن من تقوية خاصيته الاخرى المكتشفة فى الجنوب لشرقى ، اى بمواجهة الصين والشرق الاقصى . حيث سيتحالف هناك مع تايوان (الصين الوطنية) التى تبدأ الأمريكيون بالتحلى عنها تدريجيا ، وسيحولها الى قاعدة ثابتة للأسطول السوفياتى فى بحر الصين ، بالإضافة فى توثيق تحالفه مع فيننام التى دخلت فى حرب ضد الصين ايضا وهذا سيؤدى

العرب والعالم سنة ١٩٣٦

على شعوب العالم الأخرى، ويترك لهذه الشعوب شيئا من حرية التحرك والتحكم في المصير بعيدا عن التقاسم المتكرر للنفوذ بين العمالقة.

ثانياً: تبرز أوروبا كقوة واحدة، وتتوحد ألمانيا في قلبها وتتبعذ أوروبا الشرقية عن موسكو، وأوروبا الغربية عن واشنطن، في ظل نوع من الديغولية الجديدة التابعة التي تؤكد الاستقلال والحياد الأوروبي بين العمالقة، وتصبح أوروبا في هذه الحالة أكثر قربا من شعوب العالم الثالث وأكثر تفهما لها وتفاهما معها كما يبدو من سياسة الرئيس الفرنسي ميتران في الوقت الحاضر. ويمكن للحرب الاستفادة من أوروبا المحادية بشكل أفضل نسبياً من أوروبا الحالية المعزقة بين المعسكرين الدوليين.

ثالثاً: غير أن القوة الدولية الأهم، قوة المستقبل، قوة القرن الحادي والعشرين سيستكون القوة الصغراء (اليابان، الصين، كوريا، فيتنام) التي، ستولي قيادة الحضارة في وقت غير بعيد.

رابعا: إن المنطقة العربية الإسلامية ما زالت في مخاضها الطويل، ولكنها توشك أن تحسم أمرها في صيغة حضارية واستراتيجية جديدة تؤكد خصوصيتها واستقلالها بين القوى، وبمكانها التحالف مع قوة الشرق الجديدة لضرب النفوذ الأبيض الجاثم عليها ونقص به النفوذ الأمريكي - الروسي - الصهيوني. غير أن دراسة تطورات المنطقة العربية الإسلامية تحتاج بدورها إلى أبحاث معمقة تقع خارج نطاق هذا البحث الذي قصدنا أن يكون مجرد طرح أولى لبعض الأفكار ذات الطابع المستقبلي ونحن نستقبل فصلا جديدا في تاريخ الإنسانية، نأمل أن تكون أممنا العربية، رغم الأمه، بل من خلال الأمه، إحدى القوى الخيرة التي سنصنعها بآكد والعمل والابتكار والتقدير لكرامة الإنسان.

د. محمد جابر الأنصاري
بغداد

بحكم الرابطة الشرقية والجوار القاري الطويل والرغبة في مقاومة السيطرة الغربية.

لذلك فإن الفكر الاستراتيجي العربي المستقبلي مطالب بأن يدرس « الظاهرة الصفراء » ككل في اليابان والصين وكوريا وفيتنام والاكتفى بدراسة « الأعجوبة اليابانية » لأن هذه الأعجوبة على ضخامتها ليست سوى العنوان والمؤشر لصعود القوة الصفراء الهائلة، كما كانت النهضة الإيطالية قبل أربعة قرون عنواناً لنهوض الجنس الغربي الأبيض كله فيما بعد ..

والأهم من دراسة الظاهرة، الانتقال إلى رسم ملامح التحالف المستقبلي بين الغرب وهذه القوة الجديدة المساعدة التي ربما أصبحت حليفهم الحقيقي في مواجهة العدوان الصهيوني وتصفية التفويضين الروس والأمريكي في المنطقة العربية، إذا عرفنا كيف شغلتهم خيرة القوة الجديدة ولهمنا طلععاتها وأنداماتها، كما فهم اليابانيون كيف يستفيدون من هذا الأمر من قبل من القوة الغربية البيضاء في تحقيق مخطمتهم.

ونأمل أن تمكن من تقديم دراسات أكثر عمقا في المستقبل لظاهرة القوة الصفراء ودورها العللي في القرن الحادي والعشرين على صفحات مجلة « الدوحة » الهادفة دائما لمتابعة هموم وأمال وطنها العربي الكبير بأسلوب فيحث والعرض الهادئ والفكر المتحررة مع الانكشاف بصفة خاصة - في تلك الدراسات - إلى ملامح التحالف الممكن بين الغرب وتلك القوة في عالم غد الجديد.

ولتجديد معالم هذه الجولة الاستكشافية في العالم الإنساني الرحب من حولنا، نلخص رؤيتنا الاستراتيجية المستقبلية في الملامح الهامة التالية:

أولا: تضطر القوتان الأعظم - أمريكا وروسيا - بحكم أزمتهما الاقتصادية والاجتماعية الداخلية إلى التقليل من تدخلهما في الشؤون العالمية لمعالجة مشاكلهما الخاصة. هذا يخفف ضغطهما

شعوب الشرق على استيعاب التقنية الحديثة وكيفية تحويل الغرد والمجتمع إلى قوة علمية منتجة قادرة على تجاوز التواكل والاعتماد على الغير والميل للسرف إلى الاستهلاك، وهي الصفات التي تنصف بها مجتمعات غربية كثيرة حتى يومنا هذا - للأسف - رغم كل التحذيرات التي تحيط بنا.

أما ما يقوله بعض المفكرين العرب بأننا نحن المؤهلين لتولي القيادة بعد لجنس الغربي الأبيض، فارجو أن يكون صحيحا. ولكنني لا أرى له أي سبب موضوعي على ضوء استمرار تباطؤنا وسرعة صعود القوة الصفراء إلى سرب للتأثير والفعل.

غير أن الحرب يمكنهم الاستفادة من هذا النول في ميزان القوى بين القوة البيضاء والقوة الصفراء.

فالقوة الغربية البيضاء بحكم طبيعتها التاريخية والعقيدة والاستعمارية قوة معدية للغرب والإسلام - في التحليل النهائي - مهما كان الطابع - الدبلوماسي - الذي تغطي به حقيقة مشاعرهم في التعامل المتصلح مع العرب والمسلمين. وهي القوة التي أقامت إسرائيل بالأكراه والعنف والقهر على الأرض العربية، وهي القوة التي مارأت تساند عدوانها وتحالف معها استراتيجيا ضد أية إرادة عربية يتوق فيها الحد الأدنى من مقومات الاستقلال والكرامة.

أما القوة الصفراء فإنها غير ملتزمة تاريخيا ومصالحيا وشعوريا بالفكرة الصهيونية وبأهداف الكيان العدواني في فلسطين المحتلة، وهي أقرب للغرب

قالوا هذا الشهر

● كلما غنيت باسم امرأة
اسقطوا قوميّتي عنّي وقلّوا :
كيف لا تكتب شعرا للوطن ؟
فهل المرأة شيء آخر غير الوطن ؟
اه ... لو يدرك من يقرأني
إن ما أكتبه في الحب
مكتوب لتحرير الوطن

نزار قباني

● لماذا لا أرشح نفسي لرئاسة الجمهورية في لبنان .. فانا ماروني وزوجتي
كتولويكية من « زحلة » !!

فيليب حبيب - مبعوث الرئيس
ريجان إلى الشرق الأوسط والمعروف أنه من أصل لبناني

● لأشك أن نسبة القراءة قد قلت في أنحاء العالم وهذا يؤثر في توزيع الكتب .
وقد وجد الجيل الجديد أنه من السهل الجلوس أمام التلفزيون من أن يفتحوا كتابا
يفراونه ، وحتى العلوم التي تدرس في المدارس أصبحت تذاع في التلفزيون
وتسجل في الفيديو وكأنها تريد أن تقول لنا : نحن في طريقنا لإلغاء الكلمة !

احسان عبد القدوس

● لقد أغلقت صفحة الماضي ولن أتحدث عن ما حدث في تجربة ٩٠ يوما في
السجن ، ولكنني أسأل نفسي هل كان في وسعي أن أكتب تجريبي لو لم يكن الرئيس
حسني مبارك قد قابلني ؟ ولكن : علينا جميعا أن نطوى صفحة لنبدأ صفحة أخرى ..
إن هذا على ما فيه من شجاعة أدبية فقد أيضا ذكاء سياسي .

محمد حسنين هيكل

● يا امرأة .. تقمّي أن أحررها في حين أبحث عن انثى تحرّوني !

نزار قباني

● الأخطر من الحضارة الغربية التي هي بالنسبة لي عبث .. هو تقليدها .

أحمد بن بيللا

● لو كنت حاكما عربيا لوقفت في مؤتمر القمة العربي واختصرت كل خطابات
العالم بكلمة واحدة أقول فيها !
« أيها السادة : اغلقوا ملفاتكم وتعالوا ننضم إلى أهالي الضفة الغربية » .
ولكنني لست حاكما عربيا ..

نبيل خوري

● إذا لم يوجد حزم قوى يربط الجماهير بحركة الحياة ، أي بأعمالهم التي
يرتقون منها بحيث يحترمون هذه الأعمال مهما كانت قيمتها وصورتها ، ستضطرب
الأمر وتأتي المشاكل ..

الشيخ محمد متولى الشعراوى

● إذا نجح مشروع السلام السعودي عربيا فسوف يخرج الولايات المتحدة دوليا

محمود عباس - أبو مازن

عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين



نزار قباني



احسان عبد القدوس



محمد حسنين هيكل



نبيل خوري

اَسْجُدُوا لآلِهَةٍ

بقلم: خالد محمد خالد



آلهة وآله .. في عظمته ويؤسسه ..

هذا الذي سواء الله بيديه ،
واصطنعه لنفسه ، وتحدى ملائكته كي
يسجدوا له !!

كم هو رائع ، وياهر ، وعظيم .. !!
اعطى الأرض ، ووجود والحياة ..
ومنذ بدأ وثمت من الأعماق البعيدة نداء

أمانات الحياة وواجباتها ..

هذا المسافر الذي لا يضع عصاه عن
كامله لحظة ، والذي يولي وجهه دوماً
شطر كمال بعيد ..

هذا الإنسان في علمه وجهله .. في
ثرائه وفقره .. في حريته وأغلاله .. في
تقواه وفجوره .. في صحته وسقمه .. في

كم هو رائع وياهر وعظيم .. هذا
الإنسان !!

درة الخليقة ، واسعة الحياة ..
الإنسان ..

هذا الاسم ، ذو الرنين الصديق ،
الفاتن ، العذب ، المثير ..

هذا المخلوق الكبير الذي يؤمن على

لا يلقا يتردد ويهيج به : كي يواصل السير ، ويرفع مراسيه ، ويبخر الى المستقبل العظيم .

سار مع الغدر ، ومع الحظ ، ومع الذكاء ..

زامل الياس ، وزامل الرجاء ..

ذاق مرارة الاخفاق وحلاوة الظفر ..

عاش بين السفوح ونثرى القمم ..

واجه الفجائع ، وعانق المباحج ، وسار على الشوك حافيا وعلى الصقيع عريفا وفي كل هذا وذاك كانت راية الاقدام تخلق عالية فوق ظلاله التي راحت تحتمل شولا ، وتنضرم املا ، وتتلهجر عفا وذكاء وعزما ..

وكان اروع ما فيه ، واعظم خصائصه الشوق ..

اجل - كان الشوق رائده ، وحلفظه .. ومن كل ظفر عظيم يتاح له تحقيقه ، كان ينبعث شوق جديد لظفر قادم ، وتسرور غبطة جديدة بمسؤوليات تالية ..

كم تمنيت لو كنت شاعرا : لانظم فيه القصيد ، واغنى لعظمته الفلانة .. فانا من عشاق الانسان ، لعظمتين على حبه ، الماخوذتين بعظمته ، المقتونين بسأره .. !

● ●

هذا الانسان كون عجيب لايزال مجهولا . وما اوتينا من العلم به إلا قليلا . ولقد ذهب علماء الدين ، وعلماء النفس ، وعلماء الحياة يجرسون خلال تلك الغارة الغامضة ولايزالون يفعلون ..

اما الدين فقد رأى في «الانسان» رأى الحق حين أعلن انه «خليقة» الله في الارض .. والجرم الصغير الذي انطوى فيه العالم الكبير ، وهو مجلى مشبهة الله ، ومظهر عظمته واقداره .

ويجيء العلم - علم الحياة ، وعلم النفس ، وعلم وظائف الأعضاء - فيضع الانسان تحت منظاره ومختبراته ، فتفجأ اسرار والغاز لا تؤنن بلتتهاء !!

يقول العالم الدكتور «الكسيس كاريل» في كتابه «الانسان تلك المجهول» : «إننا لا نفهم الانسان ككل .. إننا نعرفه على انه مكون من اجزاء مختلفة ، وحتى هذه الاجزاء ابتدعتها وسلطنا ، فكل واحد منا عبارة عن موكب من الاشباح - تسير في وسطه حقيقة مجهولة .. وواقع الامر ان جعلنا مطبق .. فأغلب الأسئلة التي يلقيها على انفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري ، تقل بلا جواب .. !!

إن هذه الكلمات لا تعنى ان العلم عاجز ، إنما تعنى ان الانسان حقيقة ضخمة وعالم كبير ، وأنه ليس من البسطة بحيث تكفى لأدراكه تلك الجهود التي بذلت .. بل لابد من مواصلة مضنية لمحاولات فهمه ، وكشف حقيقته !!

ولابد ايضا من ترويض تفكيرنا على تقبل الملاحظة الموضوعية التي تجعل الانسان موضوع سفيها ، والتي تعطينا تقريبا اصدق صورة لحقيقة الانسان .. إن الدين ، والعلم ، والفلسفة ، والفن والإدب ، قد انبأوا جميعا بلاء صادقا في تمهيد الحياة للانسان وتعبيد طرائقه في او قولوا : إن الانسان عن طريق هذه القوى قد وطأ أكتاف الحياة لنفسه ، وعن طريقها جلى ذاته وظهرها . ولايزال يجليها ويظهرها ..

وإن كلمة «إنسان» لتبلغ من الدفعة مبلغا يجعل كل اضافة لها لغوا .. وتبلغ من السمو مبلغا يجعل نتيجته بـ «السوبرمان» ، فضلا .. «السوبرمان» وصف تخلعه على الانسان لترضى به جعلنا بحقيقة الانسان ، ولتعبير به عن لمنيت عزيزة - وإن تك طيبة - لمستقبلنا نحن البشر .

ولكن ، لماذا «السوبرمان» ؟؟

لماذا الانسان الأعلى . ؟؟

اولا يكفى ان يكون «الانسان» وحسب ؟

وهل وجد الانسان حتى نتعجل مجيء الأعلى ؟؟

في راس ان الانسان لم يتم بعد ظهوره واكتماله .. وهو حين يتم ظهوره يجيء متضمنا كل كماله . ويصير وصفه بالأعلى شيئا لوصفنا الشمس بالضيئة !!

ونحن نخشى ان نخدعنا كلمة «السوبرمان» عن حقيقة الانسان التي يجب ان نتقبلها ونحترمها بكل ما فيها من طين ونور .. ولشواك وانهاير ..

إن الناس الذين عاشوا في العصر الحجري ، والذين سيجيئون بعد عصر الفضاء ، سواء في التمجيد والتكريم .

والانسان في بداية تطورها على الرغم من جهله وعجزه ، لا يقل شأنا عن الانسان القادم في نهاية التطور مع شموحه وسموه .. بل إن الانسان القادم متضمن الانسان الذاهب .. وهو ابنه وحفيده ..

من اجل هذا نولي وجوهنا في هذا الحديث شطر الانسان . الانسان الذي ليس أدنى ، وليس أعلى .. والذي لا يترك الى جواره فراغا لا يوصف يتعاطف قدر الانسان .

الانسان ، الذي بدأ ظهوره ، ولم يتم بعد ، والذي يتجلى شيئا فشيئا ، سائرا عبر نفسه ، طلوبا أعناق كيانه الأزل أو الشبيه بالأزلى على كل إمكانات تفوقه وكهله .

هذا الذي يحول بؤسه الى عظمة ، وروائكه الى فضائل ، وعجزه الى قوة ، وانحطاطه الى رفعة ..

هذا الذي يفرغ اسمه في يومه ، ويهدى يومه الى مستقبله .

هذا الذي عندما تجلى في سقراط وأفلاطون ، وعمر بن الخطاب ، وماركوس أوريلوس ، وبودا ، وغاندى ، وهيجل ، وابن سينا ، وشكسبير ، ولعمرى ، واينشتاين ، وابن الهيثم ، وديكارت ، وابن رشد ، والفارابي ، والمثلث من أمثالهم - لم يكن يعنى انه حقق بهذا التجلى كماله .. بل كان يعنى ان يختبر معارفه التي ستعرف ذات يوم



عيسى



موسى



عنه تعالى



سليم



اليسا



مكتسب



سليم



سليم



لقد



سليم



سليم



سليم

انظروا المسيح ، كم كان دائم التردد
المعنى لاسمه ، ودايم الحفوة الصادقة
به !!

إنه لا يفتأ يكرر ويعبر انه «ابن
الانسان» !!

ها هو ذا يتحدث . إن - ابن
الانسان - لم يات ليهلك النفس الناس ،
بل ليخلص .. «هناحي صاعدون الى
اورشليم ، و - ابن الانسان - يسلم الى
رؤساء الكهنة .. لا يدوقون الموت حتى
يروا - ابن الانسان - اتيا» .. «ومن قال
كلمة على - ابن الانسان - يعقر له» ..
«إن - ابن الانسان - ماض كما هو
معروف عنه» ..

وفي عشرات المرات يصف نفسه بأنه
«ابن الانسان» ويريد كلمة «الانسان» في
حفوة وتمجيد .

استحق بها الزعامة على الأرض وعلى
الحياة ..

هذه هي المخاطرة الكبرى الظاهرة
التي كتبها الله له ، ولفقها عندها بأسرار
الكون مسخرات لأمره ، مذعنات لمشينته .



والى هذا الانسان المظل والمجسور
بعث الله انبياءه ورسله ليعاونوه على
تحقيق انسانيته . واحتفاظ في يمينه
برايته .. ولقد كانت حفوة الله بالانسان
عظيمة إذ أرسل اليه من لدنه رسلا
مبشرين ومنذرين .

وتخلقا باخلاق الله ، كانت حفوة
المرسلين بالانسان عظيمة . فاحتقوا به ،
وإحاطوه بكل ما في قلوبهم الكبيرة من
حب وحزن .

والى الأبد «سفونية» وجوده ، واللحن
العبارى العظيم لحياته الوافدة
الصاعدة الصاعدة .. !!

أجل - كانت هذه العبقريات جميعها
عيمان يكتشف بها طبيعته
واستعداده ، ويستبين بها وجهته ،
ويدرس عليها قدراته ..

وإنه لماض الى يومه الموعود وإياه
الآتية .. تلك الأيام التي يرتفع فيها
جميع افراد النوع الى مستوى القدوة ..
الأيام التي يصير فيها كل فرد جديراً
بجعله كلمة «انسان» حيث تتحول كل
الخصائص العظيمة التي تجلت في
عبارة للبشر : لتصبح طبيعة عادية لكل
افراد البشر !!

هذا ، هو دور الانسان ، وهذه رسالته
التي من أجلها يعمل ، والتبعة التي

اما اخوه «محمد» فما اكثر وما اعظم حماوته بالانسان ..

إن القرآن الذي تنزل عليه يتحدث عن الإنسان خمساً وستين مرة — هذا عدا حديثه عن الناس وعن الانس ، وعن الاتاسي .

«اولا يذكر — الانسى — انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً» ..

لقد خلقنا — الاسى — هي احسن تقويم .. يا ايها — الاسى — ايك كراخ الى ربك كدح فلما فيه .. لقد خلقنا — الاسى — في كند .. علم — الاسى — ما لم يعلم .. «إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ، فابين ان يحملنها واتقلن منها ، وحملها — الانسان ..»

هكذا يشعرنا القران وهو يتحدث عن الانسان بحده عليه ، وتقديره لدوره ورسالته .

ولان الانسان عظيم ، ولان الانسانية جليلة فقد اختار الله رسله الاكرمين من ومنها .

يقول الله سبحانه وتعالى : «ولو شئنا لفرأنا عليهم من السماء ملكا رسولاً» .

وهو لم ينزل ملكا ، بل وجعل الملائكة هي عون الانسان وخدمته ، لان الانسان الصاعد امام تجربة الحياة .. الانسان الذى حمل امانة الوجود بعد ان اشفق من حملها خلقت كثر كانت تسير معه في سباق التطور العظيم ..

الانسان هذا ، كان في عين الله خليفة بان يتلقى من نفسه الدرس والمثل .. وعن هنا جاءت رسلة منه : لقد جاءكم رسول من انفسكم ، عزيز عليه ما عنكم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم ..

ومن هنا يبدأ توقيع الرسل عليهم السلام للانسان .. من اعانهم في توكيد شريعتهم ، وإعلان انسانياتهم ، ووضع وجودهم دوماً داخل هذا الاطار ..

ولقد كانوا وهم يرفضون المبالغة في



والمرسلون جميعاً عليهم صلاة ربنا وسلامه .

عيسى يقول : انا ابن الانسان ..

ومحمد يقول : انا بشر مثلكم .. ويرتل هذا الغناء كل الانبياء .

ولذا لا يفعلون ، وفي اسماعهم اليقظي بين الصدى القوي لقول الله لملائكته «اسجدوا لادم» .. !!

الا من كان يعرف تمجيدها للانسان اصدق من هذا التمجيد فليأتنا به ..

ومن كان يعرف قدر الانسان ، فليخبر نوابه تجاهه .. حاكما كان او محكوما ..

إن اى إساءة للانسان .. اى تظييل لحرمة .. اى كبت لطافته وكظم لانفاسه .. اى استغلال لفرقه وامتهان لشأنه .. اى ترويع له وتعطيل لرغبة الله في ارتقائه .. اى تقييد لآلهه وكبت لاشواقه .. اى تعويق لمسيرته بالكمة او بالحركة .. بالتقول او بالفعل .. اى شيء من ذلك كله ان يكون سوى ترمد على قرار الله بان الانسان سيد كونه ، والمهمين بآذنه على أرضه ، والواعد بما لا يخطر على قلب بشر من الرقى والصعود .

وإن أمر الله «اسجدوا لادم» ليس تكريماً وتمجيدها للانسان باقل مما هو تحذير له الا يسمح بان يخرج من بين صفوفه من يتعدون عليه ويسبئون اليه ، ويبيعون حياته عوجاً ، وينتقصون من حقوقه الكلمة في الحرية والامس والعدل وبقيه الحقوق التي يحل بها في افاق حياته ووجوده .

كما ان أمر الله لملائكته «اسجدوا لادم» يثير رهيب لكل من يسهم بالكمة او بالحركة ، او حتى بالصمت في استبعاد الانسان ، وتعظيم رؤاه عن الحقيقة ، وكبح ارادة السيادة والتفوق فيه .

فيا من ترجون لله وقارا .. قدما كل وقاركم ، وكل تمجيدكم ، وكل عونكم للانسان .

خالد محمد خالد

اطرائهم ، والغلو في توقيعهم . إنما يقررون القيمة العليا للانسان .

كانهم يقولون ان يحاول الارتفاع بهم عن مستوى الانسان فيهم : اى مقام هناك اسعى واعظم تريد ان تذهب بنا اليه ؟!! وماذا فوق «الانسان» من خلق ؟ الملائكة ملا .. ؟ إنهم في خدمة الانسان الصالح الكاثر . هكذا جعلهم الله ..

وحين اراد الله ان يصطفي في الارض خليفة ، تعالت ترنيمات الملائكة ضارعة مبتهلة ان تكون صاحبة الحظ في هذا الاصطفاء . بيد ان الله سبحانه رفق الانسان بعين حانية ونظرة راضية ، وأشار اليه في حب غامر وقال : هذا هو الخليفة .. !!

والانسانية إذن ، هي الجنسية للشرفة التي يحملها المسيح ومحمد

اللسان لساني .. واللسافة ملكنا جميعا

والآن توقفوا !!

استعيدوا اسماكم اللاهنة ، ثم اه .. جدوها إلى صدوركم ، ونفجروا على وفقتكم !!

ثم .. شاهدوا صدوركم من الداخل .

المهمة صعبة .. بلغة الأهل :

أيضا - من الوجه الآخر - المهمة سهلة . فلفظة التناول !!

دعوا عقولكم تمارس الإبداع .. في صياغة لغة جديدة .. تتواءم مع كل محتوى صدوركم .

ونحن العالم ينتظرها بلا محالة

افرحوا - على مهم - .. فليس من الإخصر .. هو يعبر عن التيه .

والثبة حرية الضياع :

دعوها - خلفكم - .. فليس من العار .. أن نخطئ ..

الآن توقفوا ..

هذا ليس اقتراحا .. بل دعوة .. ولتأخذوا .. في الصدى الصالح :

عقولكم .. أني أنكم .. ساحة تلوها .. عنه . صبح .. صبح ..

اللسان لساني .. واللسافة ملكنا جميعا ، و .. العقلية .. أداة خاصة .

وقد يهزنا التشبيه فمصطري أن نحفظ « الملعفات » !!

تؤخره ، وتسبب له الصداق المزمن
وتستعدى الآخرين أن يسألوه .

● أليست هناك فكرة بدون سؤال
سبق ؟؟

● ألا يمكن أن يصحو ذات يوم ،
هكتشف أن محتوى جمجمته يماثل

محتوى جمجمة « عم عثمان » يائع اللفت
والسلك والزبانج ؟؟

لحظة من مصلكم . رجاء .. رجاء
توقفوا قليلا .

إنه يحاول أن يصر .. يحاول أن
يسمع .. يحاول أن يقول شيئا !!

- قال : نعم ، قال هذه العبارة التي
اسمها : يتيمة الناس !!

- قال : مساء الخير يا نجعتي الطالعة
في ليلة غلامه !

يمسك قلعه ، ويحبس قرطاسه تحت كف
يديه ، و « يحك » شعر راسه بعباء ، ولم
يكتب حرفا ، ولم يطق السكوت الداخلي
في صدره ، ولم يحتفل الصخب من حوله
.. غير أنه لا يستطيع أن يتوقف .. إنه
يمشي حتى وهو جالس .. إنه يرحل بين
أربعة جدران !

مع ذلك لم يقل شيئا .. اللسان لسانه ،
واللسافة ملكنا جميعا !

ويبقى ينتظر من يسأله .. من يفتح
جمجمته ليأخذ ما بداخلها ، ويريدحه !
داخل الجمجمة الصغيرة هذه
مسافات عريضة لكنها داخل « فريزر » ..
داخل الجمجمة الفكرية يقطن لو
تفجرت ونسفت رأسه ومات مقتولا
بافكاره بدلا من أن تبقى جوائيه ..

إن ندأ .. مخاض ليلة استمتعت
فيها بسامي الطويل ، وسمعت فيها من
كفاس الضحك الذي أقرأه من زمن طويل
أيضا موضوع الكتاب يمكن أن نضبطه
في كلمات ، ربما يكتبها أديب أصابه الملل ،
ويتعب من الحقائق واشتاق للخيلات ،
فكتب قصيدة رديئة مترنحة الأبيات .
لكن .. ليس أمام هذه الأشياء نضطر
للوقوف ..

توقفوا أمام ليلكم . أمام نهائكم .. أمام
عقولكم ، وخفتكم .

إن « مثاريس » العالم تتساقط في
الليل ، ويستحكم رجاها في النهار !
غير مفهوم ؟؟

حسنا .. ماذا يقول هذا الكاتب ؟؟
في البداية ، هو لم يقل شيئا .. كان

ودوت مجتمه بالتصفيق . العبارة رائعة . العصر هو زمن الخطف ، وهذه عبارة مخطوفة من التبلد ، مخطوفة من فرغية في التوقف . مخطوفة من « الوصل » .. مخطوفة من « الأصول » :

— قال مثالا : اسمعوا .. لم تحسوا ان عبد الوهاب « خطاف » ام كلثوم من سنواتها الطويلة واعادها الى السنة اثنى ثنت فيها « جددت حبك ليه ؟ » .. لقد جعل صوتها يرقص « الفلاس » لقد جعلها اكثر شبها من عابدة الشاعر في زمانها عندما غنت لحنه : ائت عمري :

— قال مثالا اخر : ألم تشاهدوا كيف يخطف « بيرت لانكستر » فتلقته الحبيسة « ديواره كير » في فيلم : (من الآن والى الابد) ويجرى بها ليقتلها بمعانيه ، ولم تقتله بمعاملته ؟ .. وكيف خطف دكتور بيرنار شياپ عروسه « بربراره زولر » وواراه في خمسيناته .. وكيف خطف الدول الكبيرة المستعمرة خيرات الشعوب النامية واستقلالها لتضييعها في تاريخها ؟ ..

قال أمثلة .. واشمل لفهته على طريقة « سورميت موم » ، وصمت !!

● ●

وتناهى إلى سمعه صوت يساله : لماذا هو ، عالم مخطوف ؟ ؟

كان ينتظر .. قبل الاجابة .. ان يصل الاحتراق الى عقب سيجارته ليستكمل ، لكنه ملول .. كسر اللفافة ، وقال :

— العالم مخطوف وخاطف .. ان سكتنه يخطفون انفسهم ، فلم يعهد قوت كاف للترثيث .

ان الناس يخافون الحرب الثالثة وقد ولعوا فيها .. فهل بدأت في 5 يونيو ١٩٦٧ ؟ ؟

وهل مات الناس في السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ؟ ؟

وقد ملأوا مرتين قبل ذلك في عام ١٩١٤ ، و ١٩٣٩ ، واقتل ذلك كانوا يموتون بقلقتهم .. تقتصم الحروب

الاهلية والمقاصل ، وتقتصمهم الاضطرابات الجائنية .

ان كل شيء توسع ، والاصوات تضخمت ، والفرحة قصيرة .. فلذا احب قشيب فتاة سمنها بعد شروق الشمس ، وادأ كتب شاعر قصيدة .. عارضها في اليوم الثلثي ، واذا استقلت دولة ربح على صدرها الاستعمار قرونا .. نتاحت داخلها بعد اسبوع ، واذا اكتشف العلماء علاجاً للشلل ابتكروا بعد شهر سلاحاً للحصد ، واذا ينس شاي من ارض النجاح في العمل تحول عند منتصف الليل الى « هيبى » يلبس بطلونا مرقعا ، و « ينكتش » شعر راسه ، ويفترش الرصيف ، ويقول كلاما نظريا فقط !!

● اتعنى ان الناس يموتون لكثرة ما هم احياء ؟ ؟
— قال : العجيب هو العكس .. انهم يزادون حياة لكثرة ما يموتون كل يوم !!

ايهم لا يموتون ياسيدى .. ايهم محضون ؟ فقط ، هكذا قلت :
« يا بلدى .. » غير انى تكبرا الاختلاف دليل على القوصى النفسية ، دليل على القبلرة الخلفية .. دليل على ان من يختلف يحصى ، ومن يحصى مريض بالاختلاف .

● لكننا مضطرون للمعرفة .. عليك ان تجرب لتعرف ، وهذه احلام في ذهنك ..

انك « انتقصان » ومقهور الركنش :

— احد علماء الفضاء قال مرة : مثل هذه الاحلام خير زاد للفتلب على الواقع ؟ ؟

● واحد الشعراء الانجليز الشبان قال بعد هبوط « ايوللو » على سطح القمر :

القمر : اريد الآن ان انظم قصيدة على سطح القمر لارسم صورة للكلوان كيف تتحد :

« مخطوف .. إنه يخطف نفسه من واقعه . إنه لم يستطع ان يرسم الوان مشاكل الارض . هل رايت صورته ؟ ؟

● لا .. لكنى اهتم بكلامه !

— لا .. ان الالبيب حجب انسانيته .. وكيف نفسه !!

● سؤال اثنى : لماذا نطلب من العالم ان يتوقف ؟ ؟

— جواب : لكى ينطق انفسه ، لكى يعيدها الى صدره . ان انفس الناس اليوم في عيونهم .. ان صدورهم مشبعة !

● سؤال : ماذا يخطف الناس ؟ ؟

— جواب : يخطفون انفسهم من انفسهم .. انها حالة « من القلق » حالة من التفريط واللفظ معا !

● سؤال : الى اين يهربون ؟ ؟

— جواب : الى بدايتهم .

● سؤال : ولماذا نحتاجه ؟ ؟

— جواب : نحتاج الى جيل جديد .. يفهم ما يقرأ .. يعي ما يفعل .. يفهم فيما يشاهد .. يسمع جيدا !

● سؤال : والاديب ، انت ماهو علك ؟ ؟

— جواب : اعالج المشكلة باسلوبها !

● سؤال : كيف تتمكن ؟ ؟

— جواب : باختصار ... بعمل ما جاء في هذه العبارة التى قرأتها : (لادب في اختلاف بحر الامية الى مرفأ الالبيب .. زاد من اختلاف زمان الكلمات ..

اللتقاطعة ويختك هذا الاسبوع . ونواس جحا ، وزيلان النكتة ليقرأوا مفيدا ، او يلعبوا متعة اكبر » !!

● سؤال : لكن العالم اليوم ثقافى ، وحضارى ، ومتمدن ، وسلاح ان العبارة متوافقة !

— جواب : اننى اريد ان تقرأ بعينيك ، وذهنك ، ولا تدع غيرك يقرأ لك .

● ●

والآن ؟ ؟ ..

توقف هو .. اشعل السيجارة الحادية عشرة ثم ضحك ، وانهى الكلام قائلا :

— « يبدو اننى ادمت كل شيء .. رغم ان المسألة « عكسة » اصعب !

لقد احببت « تبقي » لانه اصبح كلمات اغنية مرحة وجذابة .. ترددها بعض الاذاعات التى تنطق بالعربية ..

فلم يتبق لنا من لغتنا إلا النطق !!

حاد الحضارة

بقلم: د. حافظ الجمالي

والمدارس جملة . ونشر المعرفة ، واقتباس علوم الغرب ، لينتهي المطاف الى ضرورة انشاء حكومات دستورية تستغنى عن الحكم الفردي ، وتجعله مسئولية مشتركة بين اهل الحل والعقد ، العلماء ، والاختصاصيين وكان السبب الاخر الذي اسرع بعملية الوعي هذه ، لدى العرب ، هو اصطدامهم بفرنسا في مصر ، على يد نابليون عام ١٧٩٩ ، وكان يكفى بطبيعة الحال ان يدرك الدواعي ان اول قراءة للهروغليفية ، واول ترجمة لها ، واول كشف عن اسرارها لم يتم على يد مواطن ، يعيش جانباً ضخماً من حياته يجلب الاهرامات ، والاقصر ، والمعابد الاثرية المتناثرة ، وما كان عليها من كتابات مصرية قديمة ، بل على يد اول عالم بالإنتر ، وقد مع نابليون الى مصر . ولا يعنى هذا ان علم الآثار نفسه علم حديث ، وما وتطور بين ما نأما وتطور من علوم عصر النهضة ، بل يعنى ان العالم الاثري شامليون طرح على نفسه هذا السؤال : كيف تقرا الهيرغليفية ؟ ، فالتفت الجواب ، ولكنه لم يكن اول من طرحه ، بل إن «ذا النون» الصوفي المصري الذي توفي عام ٢٤٥ هـ - ٨٥٩ م. كان يدعى انه يعرف قراءة الهيرغليفية ، ويريد قدراً في عبور العس لمعرفة هدد ، ولولا ان هذا النوع من المعرفة يعلى شأن صاحبه إلى ما اعاده صوفينا العظيم . وبالتالي فانه لا بد ان التساؤل حول اسرار الكتابة المصرية القديمة كان قائماً لدى حجة مفكرة ، ولو انها صغيرة ، بل إن اكتشاف هذا السر ، كان يعنى ان يكون اسهل في

مع عبرهم من الشعوب الأوروبية . كانت كلفة ، منذ منتصف القرن السابع عشر ، لفصح الواقع العثماني المتخلف ، تجاه واقع غربي متقدم . ولئن كان السلاطين العثمانيون يعززون بعض هزائمهم الأولى الى سوء الحظ أو الى ضعف المحميين ، وعجزهم عن فهم اختيار المرج ، والساعة . والمكن ، فإن تنامي الاختلالات كان كلفاً لحمل الواعين على مفسر بـ «نيرس» ليدرس وصف مرج ، وسعة ودنار ازل لده . صهر من غنغ نيليم . بل تم سويين عن قصور حضاري ، لم يكن معه يد من الهزيمة ، وأن الحرب لو تكررت مئة مرة ، لما كان وراءها إلا النتيجة نفسها ، أي الهزيمة . ومن هنا كان القادة الأتراك ، أو قل بدأ هؤلاء بملاحظة السبب الموضوعي الذي يجعل النصر في أية معركة ، حليف الآخرين ، لا حليفهم ، ومن هنا ايضا بدأ عهد التفكير بالإصلاح لو بما كان يسمى باسم التنظيمات الخيرية ، والخطوط الشريفة ، مثل خط كولخانة الشهير عام ١٨٣٩ ، والاستعاضة عن الانكشافية بالجيش الحديث ، وانشاء المدارس العسكرية ،

لو ان انساناً ما ، أي انسان من العالم الثالث ، لا على التبعين سئل عن أغلى امانيه ، واسعد احلامه ، لأجاب ، أو لقلنت انه سيجيب : إن حلمي هذا هو ان تصبح بلادى متحضرة ، تصنع المكنات ، والمطارات ، وغير ذلك من وسائل اخضاع الطبيعة لحاجات الانسان . والدفاع عن وجوده ضد اعدائه . وحققاً فإن هذا الحلم مشترك بين جميع الشعوب المتخلفة ، من افريقي اسيا ، الى اخر انغال افريقياً مروراً بالوطن العربي .

لكن الشعب العربي يتميز عن غيره من هذه الشعوب من حيث ان له ماضياً حضارياً مثاقفاً ، بدأ ، في حينه ، وكأنه كل الحضارة ، لا بعضها ، تلمعا كما نقول الآن ، عن الشعوب المتقدمة ، بانها تملك كل الحضارة . فإذا بدأ للعربى اليوم ، ان حنيه الى استعادة ماضيه ، بقصوره المعاصرة ، هو الحنين الأول ، فإن هذا الشعور يتضاعف دوماً بواقع التخلف الذى لنحدر اليه بعد تاريخ عريق في التقدم والمدنية .

وكذلك يتميز العربى - على مثال الواعين من قادة الدولة العثمانية ، بأنه اول من شعر ، في البلاد المتخلفة ، بواقعه المائس ، وحاجته الى التقدم ، بسبب من المجابهات المخففة الكثيرة ، التى كانت تعرض لها الدولة العثمانية اولاً ، وبسبب من تقص العربى ، فى تلك الأيام ، لمشاعر الدولة التى كان يخضع ، طوعاً او كرهاً ، لسيادتها - إن تلك الاختلالات المتتالية التى انضحت من جراء الهزائم التى كان يصطب بها العثمانيون ، فى كل حرب ، مع الروس أو

محمد على



نابليون



زمن ذى النون ، منه في زمن شامولون . لكن صوفيونا ادعى المعرفة مجرد دعوى اما شامولون فقد عرف وجعل الآخرين يعرفون . غير ان هذه المعرفة لم تكن إلا جانيها هامشيا من الصدام الحضارى الكبير الذى تم بين القرنجة والعرب فى ذلك الحين . ويبدو لى ان محمد علي باشا هو الذى فهم معنى هذا الصدام اكبر الفهم ، واستفاد منه اكبر الاستفادة ، واوفد البعثات العلمية من اجله ، وانشأ جيشه وبنائه على اسلحه ، وبدا اول نهضة جدية فى مصر ، بوحي منه . وإنى لأحسب احبانا ان المدرس العظيم ، لا يستفيد منه إلا القليل . ولأول مرة كان السلطان العثمانى هو الذى يطلب من محمد علي باشا مؤازرة ثقافية ، على حين ان هذا الأخير كان يظن انه يستوحى ما يعمل مما سبقه اليه السلاطين .

وعلى ذلك فان العرب كانوا اول من استيقظ على الواقع المختلف الذي يعيشون فيه ، وحتى قبل اليابان بحق من ستين سنة . ومع ذلك فان شعوب كثيرة متخلفة قفرت فى الحضارة قفرا ت أوسع ، مما فعله العرب ، على تحلف البقلنة لديهم عن البقلنة العربية (مثل الهند ، والصين وأمريكا الجنوبية) ، وإذا كان الناس يرددون دوما عندما ان أمريكا اللاتينية متخلفة ، مثلنا ، فلا بد من الإشارة ، على سبيل المثال ، الى ان متوسط دخل الفرد فى أمريكا اللاتينية (وبدقة اكبر متوسط انتاج الخام) يبلغ ٢٠٠٢ دولارا فى الأرجنتين و ١٦٩٩,٣ فى التشيلي ، و ١٣٠٩ فى البرازيل ، و ١٣١١ فى السلفادور و ١٦٦٨ فى الأوروغواي و ١٤٨٨ فى الباراغواي ، على حين انه ما من متوسط دخل فى الدول العربية يبلغ الألف دولار ، او يزيد عليها إلا لم يكن من دول النفط وحدها . اما الصين والهند ، فحسبهما ، على فقرهما ، انهما ، على ما لديهما من اعداد سكان ، هائلة ، تملكان اسرار الطاقة النووية ، والقدرة على صناعة الاسلحة منها ، وإننا ، فى هذا المجال ، وفى غيره ايضا ، نتسكع على ابواب

الميسورين ، ليقدموا الميافلتنا غير ذات خطر من هذه المعرفة .

ابتداء من الابرّة !

لا بد من التساؤل اذن : لم يطول بنا الحنين الى الحضارة - الصناعية طبعاً ، لا الاخلاقية بالتأكيد ، ذلك اننا مخلوقون فى عالم القيم ، بلا ريب - لم يطول ويتطاول حتى لكانه ليل امرىء القيس الذى لا يتجلى ، ثم لا يسفر صحبه او ما يقال انه صحبه عن الامثل والأفضل ؟ ولم تبدأ النهضة فى مصر منذ ١٧٠ سنة وتبدأ فى سورية منذ ستين سنة ، وفى المغرب منذ علم ١٩١٢ ، أى مع اتصال هذا القطر بالحضارة الفرنسية ؟ هذا إن كان كل ما سبق هذا التاريخ قطيعة كاملة . ويبدأ فى الاقطر العربية الأخرى ، فى لحاليق ، ما ، قبل سورية او بعدها ، ثم تنظر فتجد انه ما من قطر عربي إلا يبلغ تقريبا ، على اسنور الحضارة ، نفسه ، بلا فرق . بوعى بالحقيقة ؟ لا فى العرب ولا فى الغرب ولا فى المسافة . ولم توجد دولته اسم اسمه ، كبر سكتها ، بل ربما المتخلفة جدا . او المتطورة بعض الشيء ، دون ان يقصر بها هذا كله عن بلوغ المستوى الحضارى الذى نعرفه لأوروبا العربية ؟ ولم تذكر جامعتها ومراكز البحث فيها ، كما لو انها على قدم المساواة هى وأوروبا ؟ بل لم سهل عليها هذا الذى تراه غالية فى الصعوبة عندما ؟

إنى أذكر الآن عرس «جوران» على الخليفة المأمون ، وما حفظه لنا التاريخ عن ليلة هذا العرس ، وكيف ثارت الدناير بين المدعوين ، او على النفس ، كما لو انها تقاتل من كثر لا تحمله ، وكيف وزعت رقائق كذب عليها اسم بعض القرى والمزارع ، فمن اصطب رقة منها ، امتك مباشرة ما كتب عليها . لكنى لا اذكر هذه التفاصيل إلا لالتصور ان «جوران» هذه كانت ببلا ريب حتما تلبس ثيابا انيقة جدا ، وإن هذه الثياب مخيطة بالابرّة حتما ، لا كالانواب الهندية او الباكستانية اليوم التى تلف على

الجسم لفافا بسيطا ، بلا خياطة ضخمة ، وأقول : من أين كان الناس فى ذلك الحين يحصلون على الابر ؟ إن أوروبا لم تكن متقدمة انذاك ، ولم تكن ذات حضارة صناعية . شياى الوسائل ، او من أى المصادر كان الناس فى بلادنا يأتون بالابرّة ؟ لقد سالت منذ أيام قليلة بعض المهندسين الصناعيين عما اذا كنا فى بلادنا نملك مصانع للابر والدبايس ، اعنى فى سورية . فلذا يس الفهم ان الدبايس موجودة دون الابر . ولماذا ؟ لأن صناعة الابر تحتاج الى مستوى اعلى من التقنية لكنتى تسأل : كيف تهون علينا إذن صناعة المبلغ ، اذا كنت تصعب صناعة الابرّة ؟ وكيف نطمح الى امتلاك الطاقة النووية ، اذا كنا لا نحسن لا هذه ولا تلك ؟

ولكم يضحكنى ، ولكن بمرارة كبيرة ، ان اجد صنوبرا من الماء ، لدى او لدى الآخرين ، يحتاج الى بعض الإصلاح ، وار انظر «السيك» شهرا بعد شهر ، لاؤوب به ، كعصر كبير ، وانجزنا ضخم ، فاذا اتى واصلح ما فسد ، بدا الى بعد قليل انه زاد الفساد بدلا من ان يحسن الإصلاح . والقول : رياه : هؤلاء الفرنجة يصنعون لنا كل شىء ، وحتى الصنابير ، ونحن لا نحسن إصلاح بسيط الاشياء من القل فساد ... وتتابع فى ذهنى صور اخرى شبيهة بالمثال الذى ضربته ، وتساءلت فى نفسى : فى العام الماضى نتج لدينا فى سورية ١٤ ألف طابق فى القسم العلمى .. ولكن ايها الفضل للوطن : احمل بكافوريا بعلايات دول الوسط بكثير او قليل ، ام «سيك» يصلح الحفريات ؟ ولكن الانكى من ذلك اننا نملك عددا ما بين الطلاب ادنى بكثير من عدد الناجحين فى الكافوريا ، الادبية والعلمية ، إلا انهم يحملون نطفن الى كفاءة هؤلاء ، من اصحاب الاختصاص المناسب ، لإصلاح صنابير الماء ؟ اما انا فاشك فى ذلك اكبر الشك .

سيارة وليست لعبة !

لكن هذا كله ليس إلا جانيها اسود من

الحضارة

الحياة الحضارة . فهل غلب الجانب الأبيض نهائياً ، أو هو موجود أيضاً . حسبى إذن أن أرى بعض الملاحظات . ● يحتاج كل صاحب سيارة إلى إصلاح خلل ما فيها في يوم أو آخر . ويحتاج خاصة إلى بعض قطع التبديل ، ويروعه أنها بسيطة جداً . وإن سرعها عال أو غال . ويدفعه الفضول إلى السؤال : ألا تستطيع يا صاحبي أن تصنع أنت هذه القطعة البسيطة ، بدلا من استيرادها من الخارج ، ودفع هذا المبلغ الباهظ ثمنها لها ؟ ويكون الجواب في أكثر الأحيان :

« يا سيدي ، إننا قدور على صناعة هذه السيارة كلها ، من أولها لأخرها ... لا أنا وحدى ، بل مجموعة معينة ، أو عدة مجموعات منا ، نحن معاشري الميكانيكيين لكن هل يسمح لنا بفتح مثل هذا المشروع ؟ »

والأحظ أن هناك قناعة ضمنية عميقة بأنه لن يسمح لأمثال هؤلاء بفتح مثل هذا النوع ، ولابد أن لهذه القناعة العميقة المشتركة ، من مبرر قلتم في الواقع ، ليس أصحابها هم المسؤولون عنها حتما .

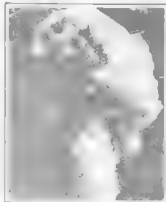
● وتحتاج أبنيتنا السكنية إلى إصلاحات شتى في جانب أو آخر . ولكن قطع التبديل كلها مستوردة . وتطرح نفس السؤال ، على النجار ، والحداد ، واختصاصي التدفئة والتبريد ، فإذا بك تجد الجواب نفسه ، وتقول في نفسك : لابد من أن يكون لهذه القناعة المشتركة بين جميع هؤلاء الصناع ، من كل الأنواع ، مبرر من خرج نفوسهم ، لا من داخلها .

● لكن الأهم من ذلك تجربة قادها وزير التموين السوري وكلفت تجربة ناجحة جدا . وخلاصة الأمر أن أزمة التموين في الخبز كانت قائمة على اتشددها في طول البلاد وعرضها ، عندما جاء هذا الوزير ، وتسلم منصبه ، حتى أن المواطن ليحتاج إلى انتظار على باب الخبز يتراوح بين ربع الساعة ونصفها ، على أقل تقدير .

ودعت الحاجة إلى استيراد مخايز البية ، تصنع لنا خبزنا التقليدي .. إن أولاد الدير لا يألون في بلادهم خبزنا . هم الذين يتولون ، بدلا منا ، صناعة المخايز له ، ولو شفتا ، ذات يوم ، أن نطلب من الغربيين مصنع آخرى لحلوليتنا التقليدية ، من كثافة ، وبقلاوة ، وقطائف ، وتورنك ، وسنبوسك ، و « أم علي » المصرية ، لكننا متأكدين أنهم سيمدوننا بها . وعلى كل فقد استوردت المخايز الآلية ، وخفت الأزمة إلى حد كبير .

وخطر ببال الوزير ذات يوم ، أن يستدعى مهندسيه وأن يعرض عليهم تقليد هذه المخايز الغربية ، بما ينسبها ولكن بالصناعة المحلية . ولقد ترد هؤلاء ، واطلوا التردد وخفوا من عدم النجاح .. لكن الوزير طمأنهم ، وقال لا عليكم ، إن خسرنا التجربة ، فسرد حديدنا إلى مصنع «الخزوة» كمادة أولية .

ونفس بشر نفسه من فهمه نفسه بعد رجوعه إلى دمشق . ثم دبل ورد : « انسى نفسك » . فتردد على ربيع النعمان الذي يدفع للمصانع العربية . وبالعلة المحلية بالدرجة الأولى . وعلى ما أعلم في عدة مصانع من هذا النوع ، أو قل عدة مخايز ، هي الآن قيد الإنشاء ، وخلال مدة ما ، يسيرة ولاشك ، سيكون في وسع سورية أن تقدم



هذه المخايز الأفضل من مثيلاتها الأوروبية بغير قليل . إلى كل من يطلبها . ولش تكلمت في هذا المجال على ما أعرف ، فلاشك أن الاختصاصيين السوريين قد أنتجوا في مجال آخر ، ما يعادل الصناعة الأوروبية ، بل إن مهندسا سوريا ، أخرج للناس ذات يوم ، سيارة من صناعة دمشقية ، أو أكثرها دمشقية . سميت باسم سيارة الشام ، ولو أن المسؤولين في وزارة الصناعة أذاعوا على الناس ، بكل الوسائل ، ما يجب أن يفهم منه أن هذه السيارة تزييف في تزييف . ومع ذلك فإن سيارة تسمى امالك في الطريق ، لا يمكن أن تكون مجرد لعبة أطفال .

عوائق مصطنعة

والذي استخلصه من هذا كله هو أن المعطيات الموضوعية للقيام حضارة صناعية ، حتى ولو كانت مجرد تقليد في البداية ، أصبحت جاذبة ، وفي وسعها تبدأ الإنتاج ، والفكر بالمستوى الحضاري القائم في سورية . ولأنك إن مثل هذه المعطيات ، تتوفر في غير سورية ، ويبرز أكبر أو أصغر ، تبعا لمسوى ثقافة البلد . لكن العلة ، كل العلة ، هي أن هذه المعطيات لا تستثمر . أقول هذا وفي ذهني معلومات عن عدد الجامعيين من الطلاب ، لا من الأساتذة . إنهم أكثر عددا في سورية الآن منهم في فرنسا نفسها عام ١٩٣٩ ، ويذهب كل أنواع المختصين ، من الهندسة الذرية ، إلى علم الاجتماع ، فيمكن ألا يستطيع هؤلاء أن يجعلوا بلادهم على مثال إيطاليا عام ١٩٥٠ أو عام ١٩٥٠ . ولابد أن في مصر خمسة أمثال عدد الطلاب والمخرجين والإسادة الجامعيين في سورية . فيمكن ألا يستطيع هؤلاء أن يجعلوا بلادهم على مثال إيطاليا عام ١٩٥٠ أو ألمانيا عام ١٨٨٠ - ١٨٩٠ . إن من الصعب أن يفهم الإنسان ذلك ، ولكن الواقع يوضح أن بليينا لا يزالان متخلفين عن مستوى أوروبا عام ١٩٠٠ ، وكذلك كل الدول العربية ، نعطية كانت أم

غير نقطية .

وهناك طبعاً من يقول : إن الحضارة بنت تطور طويل ، لابد من قطع مراحله ، خطوة فخطوة ، ومن الصعب أن يتم ذلك كله في غضون خمسين أو مئة سنة . وهذا صحيح من حيث المبدأ ، لأن تقدم العلم في الغرب كان هو الذي صنع الحضارة الغربية ، وكان مسار العلم ومسار الحضارة متوازيين . وكان تقدم العلم بطيئاً نسبياً ، ولأن تضاعف حجم المعرفة مرتين منذ المبادئ حتى عام ١٥٠٠ ، ثم تضاعف مرة أخرى بين عام ١٥٠٠ و ١٨٠٠ ، وثلاثة أضعاف بين ١٩٠٠ و ١٩٤٥ ، وأربعة بين عام ١٩٤٥ و ١٩٦٠ ، وخامسة بين ١٩٦٠ و ١٩٦٨ . فإنه كان لابد من أن تضاعف الحضارة الصناعية على هذا النسق ، ويعضد الفتح أيضاً . لما عدنا قلته لا مجال لانتظار تقدم العلم . فهذا قد صنعه الآخرون ، وكتبنا جيل واحد من الإنكباء لتمثل كل أو أكثر علوم العصر ، على نحو ما فعل البابانيون ، وأما التراكم الراسمالي ، والسوق الداخلية للصناعة ، مما يعتبر لدى بعض المنظرين شرطاً لدمو الحضارة الصناعية ، وحاجة ذلك كله إلى التراكم الراسمالي ، فلننا نحمد الله على أن هذه الشروط متوفرة موضوعياً ، ولا حاجة بها لشيء آخر غير انعكاسها في النفوس ، أعني أن نذكر ، نفسياً ، توفر هذه الشروط موضوعياً . كل شيء إذن مهيا لدمو الحضارة ، فإذا كانت خطاها تتعثر عندنا ، فلأن «إنساننا» ، والإنسان المسئول خاصة ، لا يحسن استثمار هذه الشروط الموضوعية .. وعبئاً نملك أرضاً خصبة ، إذا لم يكن هناك من يريد استثمارها ، أو من لا يحسن هذا الاستثمار . فلو قيل إن التخلف الطبيعي في بلادنا في العشرينات ، والثلاثينات والأربعينات وحتى الخمسينات ، كان هذا القول صحيحاً جداً ، أما أن يبقى هذا التخلف حتى الآن ، فهذا هو الأمر اللامعقول واللاطبيعي ، لا في سورية وحدها ، بل في أكثر من بلد عربي واحد . ولأن عذر التخلف في بلاد أخرى ، ينقصها المال ، أو الأرض ، أو الإنثال ، أو الماء ، لما وجد

له عذر عندنا ، بآية حال . فكان هنالك عوائق مضادة ، أو مصطنعة ، أو مخترعة ، أو نقلت هنالك ما يشبه اللاعزم أو اللاارادة أو الزام على التقدم .

التعبير عن الذات

لا بد إذن من «إخلاء سبيل» المبادرات الفردية ، ومن دراسة أفضل الحدود التي يلجأ في إطارها ، عن «حرية المواطن» ولا سيما حرية التعبير عن الذات ، سواء تجلّت هذه الحرية في التعبير المقول ، أو المكتوب ، أم كُفّت في القيام بالمشايير بحفز من الدولة ، أو بالاستغناء عن هذا الحفز ... وبصورة عامة لابد من التخلي عن المستبقات الإيديولوجية التي لا تفرق ضرورة التطور على سلامتها ، وبكلمة أفضل وأوضح لا يبرهن عظمت الحياة العادلة . وأندرها أكثر ما دمكر عر عدم الرعية والعزوة والهوى والمير وكل ما هو ذاتي لا يخضع للعقائيس الموضوعية . ولو أيضاً تنقضي خطوط التطور المتوازنة لوجدنا ، أو ما نلاحظ ، توازياً شبه كامل بين كثرة الحريات العربية ، وبين الهدوء المتزايد في هوة التخلف ، وبين التزايد في غلبة الشروات الفردية ، وضعف العقلانية في الحياة العادلة ، وتصلب الشرايين الفكرية .

وإننا أعرف أن جانباً ما من جوانب الحياة العادلة ، سيظل أرعن ، أهوج ، مفعماً بلطيش والاعفانية ، وأن في هذا الجانب ما يكلي ويزيد عن حاجة الطلائش والأرعن . ولا أطالب تبعاً لذلك إلا بشيء من العقلنة يزيد عن حصّة «الجهلنة» . فإذا انتفى ذلك ، فلنقرأ على التقدم السلام .

الفارس العربي المهتك :

ولقد قضيت شطراً كبيراً من حياتي وأنا أدرس الفلسفة والعلوم الإنسانية في الثانويات والجامعة ، وكُفّت الصوف التي أدرس فيها صغيرة تارة ، وكبيرة أخرى . ولكنني لم أجد في حياتي مرة واحدة ، صفاً واحداً بلا طلاب

اتكباء ، وآخرين على شيء من الغباء . وعندما ننظر إلى الدول العربية الثلاث والمشرقية ، على ما أفقر ، ولا أجد واحدة منها متقدمة بوضوح على غيرها . فسرعان ما أقول في نفسي : هذه الدول كلها تشبه أي صف في أي مدرسة ، أفيمنك أن يكون كل طلابه متواضعي الذكاء ؟ لأن صف هذا فإنه يفتالي كل القوالب الطبيعية . وعلى ذلك فإنه ليست الحضارة هي الصعوبة ، أو المستحيلة ، وليست نقولنا هي الكسحية أو الغيبة ، وليست الامكنيات العامة هي المفقودة ، ولكن كل ما في الاتفاق يشير إلى أن التقدم معطل بشيء ما قد استطيع تحديده . ولكني أؤثر أن يكون هذا التحديد من عمل جماعة مختصة .

وأخيراً فليست الحضارة كلها تقدماً في الصناعة ، أو في الإنتاج ، أو في مقدار الدخل المتوسط ، على ما لهذه القرائن من دلالة كبيرة ، ولكنها كذلك قيم ، وصورتعامل إنساني ، وهدهود ، بال ، ورائحة نفس ، واطمئنان على الغد ، وحدهدني عن الخوف ، لا حد أعلى ... فإن فُقدنا حسنى ، الحضارة الصناعية ، فلا أقل من أن لانفقد ، حسنى ، القيم .. أصا الاستغناء عن الحسنيين معاً ، والكبت من الدخال والخارج ... فذلك كثير وخطير ... ولا أدري إن كان تاريخنا لم يهب أجدادنا كل أنواع الشر فلم يمنعههم باكير الأذى ... ولعله قد أن الأوان لطى صفحة الشرور المتلاحقة ، لنوازن بعض الشيء بين أيام الشروايم الخير ، أيام الشقاء وأيام الهناء ، أيام البؤس وأيام الأنس ... فإذا لم يكن هذا الأوان ، فينبغي أن نعرف كم من القرون يجب علينا أن نقضيها في الشقاء ، بعد القرون الماضية ؟ .. وكما قلت مرة أسماء بنت أبى بكر الصديق . بعد أن طال صلب ابنها عبد الله بن الزبير : أما أن لهذا الفارس أن يترجل ، فيجب ، أو قل لعله يجب أن تستاعل ، وقد طلت أيام الشقاء علينا ، ترى أما أن لهذا الفارس العربي المنكأ أن يستريح ؟

حافظ الجمالى
دمشق

الالتزام الأخلاقي في مجال التنمية

كثير الحديث في الآونة الأخيرة عن وضع نظام التقصص على مدى جديد ، وقد نشأت الحاجة إلى وضع هذا النظام نتيجة للهوة العميقة الواسعة ، التي تزداد عمقا واتساعا على مر الأعوام ، وبين الدول الفقيرة والدول الغنية ، أو بين الدول النامية - دول العالم الثالث - وبين الدول المتقدمة صناعيا ، أو بين الشمال والجنوب كما يقال اليوم إيماراً للسيطرة في التحكيم .

بإسعاد العالم المتقدم وإسعاد العالم النامي ،
 الإنسان هو الإنسان في كل زمان ومكان ،
 وهنا يكون إلهاب الحفلة ، وإثارة المشاعر
 الأسفلية والمواضع الوجدانية أهم الجوانب
 في عملية التفعيلة ، ويكون الهدف الرئيسي هو
 إثارة « المجتمع العالمي » و « الحضارة
 الحديثة » .

وفي الوقت الذي ترتفع فيه هذه الأصوات الاستيعابية داعية إلى «التعاضد العلى» ، ينادى بعض من الشباب العلمانية بزعزعة الترابية بين شعوب العالم ، وهدمها وتفتكها ، وغنيها وفطرها ، تتعالى أصوات أخرى في الدول الكبرى تستحدث حكوماتها على تخفيض برامج العمومية الخارجية ، وعلى التركيز على النواحي الداخلية . وحل المشكلات الداخلية أولا وقبل كل شيء ، وعلى أساس هذه الدعوة الأخيرة أخذت المساعدات الحكومية تتناقص لصالح الدول الكبرى للدول الصغرى تتناقص وتتناقص ، ابتداء من عام ١٩٦٨ ، ويعد أن كل أسهم هذه الدول في مساعدة الدول النامية يتقلص ، فلا من دخلها القومي في سنة ١٩٦٦ ، يتقلص في سنة ١٩٦٧ إلى ٣٩ ٪ من ذلك ، فحل ، وهذه هي الأرقام التي وردت في تقرير بيسون الشهير الذي اُنتل أيضا إلى أن برامج العمومية الخارجية تتم في جو ، مثل - وبرية وانقضاء الوهم -

ذلك أن الدول الكبرى كـ «تحتصن» أوطانها «معيّنة تصبغ إلى تحقيقها وراء ما تقدمه من معونة». كل تبتد هذه الأوهام نفعاً من الكثف عن «حقلنا الداخلية» أخرى إلى تلك البلدان المتقدمة نفسها. إذ تكثف الأامر عن وجود «جيوب من الفقر والبطالة» نفعية من اعناق صحتهم ذاتها. وكثر تفوت بين الجامعات والطوائف في المجتمع

[illegible]

المعيار الاخلاقي

لا جدال في أن دافع المصلحة - هو دافع الرئيس في العلاقات الدولية، ولا يمكن الدافع الأخلاقي إلا سيادة أو سيطرة على هذه العلاقات إلا في النادر من المجهود، والصير من الحظ. وليس عصرا الجاهل بدعا في العصور، فما زال دافع المصلحة هو سيد الدوافع هو حطاتها، ولكن الجديد ظاهرا هو ظهور نوع جديد من التفكير يتناول البعز إلى عملية القوة على أنها عملية خلافية إنسانية في المقام الأول، بعد أن كان يتعدا إليها مفصرا على أنها عملية سياسية اقتصادية، وبالتالي فهم مصفون عليها - فبعبارة إبداعية - بعد أن كانت مجرد قيمة مادية، أو فعيلة، وهذا مجرد عملية التسمية، معناها الاصطلاحي الحقيقي، بأن تكون تطورا وتقدما للشعوب والأفراد لا مجرد هو للموارد والانتاج، وهو ما يستهدفه رجال التخطيط ومخترونه، وتصبح عملية التنمية هيئتها علاقة جوهرة بين الإنسان والإنسان،

ولقد عقلت الجمعية العامة لأول مرة المتجددة
في سبتمبر من هذا العام دورية خاصة لخواصه
الحوار بين الشمال والجنوب بهدف حل
المشكلات العالقة بينهما. ولكن من المقرر أن
تستمر هذه الدورة عشرة أيام. ولكنها امتدت
إلى أسبوعين ثلاثة على امتل التوصل إلى شيء
واضحت والفرق دون أن تبلغ من عدد المرات
سبنا، اللهم إلا الاتفاق على عمل دورات أخرى
وإجراء مزيد من المناقشات. ومزيد من الحوار.
وعندما يطرح موضوع المناقشة على مائدة
المفاوضات بين الأبرع والعراق. وفي اليوم
دائما، كما تبقى بذلك طبيعة الأشياء. أن
يكون الأتقاء من المتحكون في سير
المفاوضات. وفي عصر الفراء الذين يجلسون
معهم - غير متكلمين - على مائدة واحدة -
ومن المتوقع أيضا، أن تكون المعوية التي
تكرم بها الأشياء على الطراز في محور
الأزمة، وهي مفتاحها في أن واحد -- ولقد
مزيد من المعونة والمساعدة وبلاتك مطلب
إلى البلدان الخفية. ولكن، هل هذه هي
الصورة الوحيدة، أو الصيغة الواحدة التي
ينبغي أن يكون عليها الموقف بين الشمال
والجنوب، بين دول العالم المتقدم الخفية،
وبين دول العالم الثالث الفقيرة ؟ وما هو
البلد الذي يتحكم في هذا الموقف والذي
يدفع الدول للكمية إلى تقديم المساعدة للدول
الضعيفة ؟ أمو المصلحة ؟ إلا يمكن أن يكون
ذلك، مبدأ آخر غير المصلحة. دافعا إلى
تقديم يد العون من هذه إلى تلك ؟ إلا يمكن أن
يكون هناك، حق، للدول الفقيرة على الدول
الغنية في طلب المعونة. يجعل هذا الطلب
صائرا من عزة وكبرياء، لا عن بلد واتصاف ؟

الواحد ، وهو تفوت بزيادة شدة وحدة مع السرعة التي تنمو بها تلك المجتمعات في مجال تقدم الصناعي - حازوا على - التمرکز لقوى ، لتلك الدول ، انعكسا - للتمرکز الثاني ، الذي تتخذ تلك الطوائف والجماعات نفعاً عن مصالحها وذوداً عن مصالحها ويتطلعا إلى الرفاهية التي تنجم بها الطبقات العليا من تلك المجتمعات في الشرق والغرب (وما أحدثت عمل بولندا ببغيدة ، وكذلك ثورة لطلاب واضرابات العمال المختلفة في العالم الغربي) . ولكن هذا الانسحاب إلى القومية والذاتية والانتانية من جانب الدول الكبرى مدعماً بلذات نوع من الجود الذي لقيته جزاء معونتها للدول الصغيرة ، وكانت تأمل بوعي لا ، أو أكثر - أن تعود عليها هذه المعونة منى من الخدمة معد ان تنزع الدول النامية في التقدم ، وتكون هذه العلاقة على هيئة اشتراك لا كرها ، ولطريقتهما في العيش ، واسلوبها في الحياة ، أي ان تجعلها في السراء والضراء ، بيد ان الأمر جاء على غير ما تتوقع ، إذ فلتت في تلك الدول للصغرى سلسلة من الثورات والانقلابات والصراعات وهكذا انتهت الدول الكبرى إلى هذه النتيجة وهي انها قد اضاعت أموالها في غير طائل ، واستثمرتها في غير علاه .

وهنا أخذت الدول الكبرى تتساءل عن بوافعها إلى تقديم المعونة - إلى البلدان التي تريه لها الحلال الدولية هو مساعدة الدول النامية على تنفيذ خططها للتنمية . وهذا أثر نوء بالفشل في إنجاح تلك الخطط المادية إلى ما قدمناه من ان حكومته تنتج سياسة إلى تخفيض معونتها . ولكن هل يتوقف الأب في الاتفاق على ابنه إذا رغب في احد الانتحانات ؟ هل يجزم المواطن في ولاته لوطنه لجرد ان حكومته تنتج سياسة اقتصادية أو خارجية لا تريهها ؟ بالطبع لا . ولكن هذا هو ما يحدث في العلاقات الاصلية التي لا تنقسم عراها ولا تتغير مهما تحولت عليها التقلبات ، وطورت مدفع الأحداث ، وهي التزامات غير قهرية تنبع من الذات ، ويعطيها للرأضيا مخلداً .

فهل يمكن ان تقوم بين بلدان العالم هذه لعلاقة الحميمة من الالتزام الاختياري الذي

مترابط به أفراد مجتمع واحد لا انقسم للعلاقات التي تقوم بين بعضهم والبعض الآخر .؟ وبعبارة أخرى : هل يمكن ان تقوم للعونة على - اساس دائم - لا يتخضع للتغيرات والتقلبات التي تطغى بها وسائل الاعلام صباح مساء في أنحاء العالم كله : شرقه وغربه .. شماله وجنوبه ؟

وهنا نمر للعبار حقيقة لا ريب فيها وهي ان بلدان العالم لم تلتزم بعد بغيره الاخلاقي يتحكم في تصرفات بعضها تجاه البعض الآخر وحتى مع وجود دستور للامم المتحدة وقوانين تخضع للعلاقات الدولية هذا الدستور ، وتلك القوانين ليست معتمدة في السلوك الفعلي للدول . وهذا راجع إلى تنازع المصالح وتضاربها من جهة - وإلى اختلاف الابدولولوجيات والاديان والثقافات من جهة اخرى . والسؤال المطروح الآن هو : هل يمكن ان يسمع من تلك العقائد المختلفة التزام واحد ، ولان اختلاف النعسر عه في كل منها ؟ هل هناك - امر مشترك - واحد بين شعوب الارض جميعا ، ، امر عالمي - يمكن ان يواجه تحدياً عالمياً .؟ هل هناك - معيار اخلاقي . واحد يمكن ان تتخذ دول العالم قاطبة ويؤمن به ؟

2392 مؤايف

والجواب : انظر نصه لخدمة محبوبة إلى الدول النامية لتتبع من ثلاثة مؤايف الثلاثة .

● الصديق أو الانسان : بمعنى ان يتصدق لغيره على الخير لكي يتخلف من شسوءه مكنين ، ويتخلص من تاثير الضمير ، ويخلف في الوقت نفسه من الام الفراء الذين يعترضون سبيله ويشعرون بحوه بالحدس ، ويمنظر المجتمعات التقليدية إلى الفراء بوصفهم صحابا ابرياء للنظام محذوم للاشياء ، فهي تخطر إلى الفخر مفرتها إلى الكساورت الطبيعية التي تقع قضاء وقدر ، ومن ثم لا يمكن القضاء على الفخر قضاء مبرما ، وإنما في الممكن تخفيفه فحصب .

● المسئولية تجاه الفراء : بمعنى ان يشعر الرجل الفضي مأنه مسئول إلى حد ما عما يعانيه الغير من فقر ، وبذلك كان لزاما

عليه ان يمنح الغير نسبة ضئيلة من ثروته التي لو احسن توزيعها ، لكثت كفاية لتلبية احتياجات الجميع مما كانت الدعوة إلى العدالة الاجتماعية في توزيع الثروة ، وقائم الجمعيات والهيئات الخيرية التي تهدف إلى تصحيح لتفاوت بين الفراء والاغنياء .

● اتفاق العطف من جانب الفراء : ذلك ان لجماعهم الظفيرة يمكن ان تلجا إلى اعمال العطف تجاه الاغنياء ، مدفوعة بياستها من حالة الاملاق التي تعانيها - وتتولى طبقة الاغنياء هذا العطف الذي قد تلجا إليه الطبقات الخيرة - بالكتلار عن اجراء من ثروتها .

وفي الحالات الثلاث تكون الدوافع إلى تقديم يد العون للفراء هي على التوالي العطف والشعور بالظلم والظوف ، وهي ملائمة دوافع تمد جذورها العميقة في الضمير الانساني والفكر ابشري ، وكان لها تاثيرها الذي لا سبيل إلى إنكاره على الرأي العام في الدول المتقدمة للمعونة ، ولما طاع في الناس في تلك الدول يندفع متطوعا متبرعا لمطالته واحدا من محبته لتقديم معونة منزعمة عن الغرض ، وهو يعتقد انه إما يفعل ذلك علاجاً لشعور الذي ارتكبتها امته في استعمارها للبلدان الظفيرة او كانت مسئولة عنها ، فلا جدال في ان نشطوا كثيرا من التخلف في العالم لتلك ترجع إلى استنزاف الامتصاص لوارده الاقتصادية ، وكثرت حريات ابيته وتعقيل موهبه التفكير والمذاق والروح ، الخ . فكان طبيعيا ان تشع الدول الاميركية بشعور من لردت تجاه مستعمراتها السبالة ، وبغيرها في اصلاح شء مما الفست . - ولا يقتصر هذا لشعور على الدول الاستعمارية الكبرى ، بل يشمل ايضا الدول الصناعية المتقدمة بوجه علم التي اعتمدت في تنمية مجتمعاتها على تصدير منتجاتها إلى البلدان النامية واستيراد المواد الخام من تلك الدول بالبخس الاسعار ، واستغلال اليد العاملة في مصانعها وجروها على السواء . ولعل اسوا مثل على هذا الموقف هو تجارة الرقيق التي كانت تارمها الدول العربية الكبرى ، وهي الدول التي تعد مسئولة عن الفخر الرقيق السوداء كما كانوا يسمونها ، وعلى الرغم من اختصار الاستعمار عن معظم دول العالم ، فك فلت تلك الدول تدور في فلكه اقتصاديا وثقافيا ، إن لم يكن سياسيا ، ومزالت معتمدة في تحقيق اهدافها الاقتصادية على الدول المتقدمة صناعيا ، ولهذا كانت شروط التبادل الاقتصادي مجعفة - بوجه عام - للدول النامية ، ذلك ان الدول الكبرى تأخذ المواد الخام من البلدان النامية بأسعار في كفاية لتحديد الاحتياجات الموقته للدول الخفية ، ثم يبيع منتجاتها المصنعة من تلك المواد الخام بأسعار أعلى من الاسعار

● لاجدال في أن المصلحة وليس 'الأخلاق' هي الدافع الرئيسي في العلاقات الدولية

● الدول الكبرى تحتضن أوهاماً معينة تصبى إلى تحقيقها وراء ما تقدمه من معونة

سمات العصر الحديث بين أفراد الأمة الواحدة فكذلك يمكن أن نحدد سمة من سمات الأمم المختلفة داخل الإطار العالمي ، ويحدث أصبح احتياج الأمم بعضها إلى المعنى الآخر حقيقة لا مرء فيها لا نستثنى من ذلك أمة كبيرة أو صغيرة . ولهذا يفترض التعاون بين الدول ترشيداً لاستخدام موارد العلم ورفع مستوى الأمم والأفراد في آن واحد ، وبالتالي تكون التنمية هي المبدأ وهي الغاية من تقديم المعونة ، ويتكون الأسس الذي يقوم عليه القانون الدولي - من ناحية التطبيق العملي - هو الزعم المتغلغل في التنمية ، فهو أن التعاون بين بلدان المتقدمة وبلدان التنمية أحد يرايد لاستخاتل التجارة بينهما ، وتولدت العلاقات الدولية تسلساً ، وأصبح لاجئ مهينا لنشوب الحروب ، وسيادة الهيمنة

ومساعدة الشعوب الأخرى على التنمية معناه إغاثتها على تأسيس حقها في الإنضمام إلى عضوية المجتمع الدولي التي لا يمكن دونها أن تتعمد الدول سلام دائم ، وحياة سفرة . والبديل الوحيد لهذه النزعة الانسانية الضالعة هو هيمنة الدولة الكبرى على العالم أو التفلس على هذه الهيمنة بين أكثر من دولة ، وبالتالي العودة إلى استعمال التسوب التي ظهرت حديثاً باستقلال ، أو استعمال شعوب لم تعرف الاستعمر من قبل .

اجتماع المسح جيمع

وهذا هو ما يدفعنا إلى القول بأن الدول الكبرى حين تساعد الدول الصغرى فلها تساعدها نفسها في حقيقة الأمر من حيث أنها تقضي على مجتمع دولي واحد ، وتشاركه في سلام منشود ، ولهذا الفرض انشأت الأمم المتحدة ومؤسساتها وكالاتها الدولية المتخصصة ضماناً وتنظيماً للعلاقات المتعددة قطبية بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة ، ومهما تكن المعوقات والتعقيدات التي تعترض طريق هذه المؤسسات الإنمائية الدولية والوليدة ، فإنه لا مبدوحة عن الاعتراف بأنها تتحدث باللغة العلنية للوجود التي تتجاوز حدود القوميات والإيديولوجيات وبأنها تمثل أدليات الصحيحة على طريق المجتمع العالمي الجديد

وكما أن الالتزام الأخلاقي « يخلو من مضمونه ، ويتجرد من معناه أن لم يخرج إلى مجال التطبيق والفعل » فإنه لا يتقدم في عصره أن لم تزد الدائرة التي يسطرها لتساعداً ، فالتمتع لتاريخ انقدم في الأخلاقيات قشرية يجد أن هذا التقدم يتم على هيئة توسع وامتداد للتواجبات والالتزامات لتشمل تجعلات بشرية أوسع وأكبر ، القليلة ،

لعل ؟ قد يكون من المفهوم أن يلتزم الفرد في مجتمع ما بهذا القانون الأخلاقي تجاه مواطنيه نظراً لوحدة المصير المشترك التي تربط بين أبناء الوطن الواحد - ولكن ، كيف يتبع فرداً في دولة متقدمة بأن يلتزم بهذا المبدأ نفسه تجاه بلد مختلف ، وأن يأخذ نفسه بشيء ؟ التضحية من أجل أبناء بلد لا ينتمي إليه ؟

محو سبلام رادم

إن للأمر المطلق الذي وضع « كانت » صيغته المشار إليها صفة الشمول والكلية ، ولكنه من حيث التطبيق في العلاقات الدولية فإنه يحتاج إلى قيام حكومة عيلة . وهذا الحكومة العالمية ملألت حكماً طويلانيا لم يبرج بعد إلى حين الواقع . ولوسدا يفرح ، كانت . هي كاتمة - نحو سلام دائم . أن ترم دول العالم لها ميمها ، هذا اجتماعاً مع متخلف كل متخلف - مستغلاتها ، وتنافس على هذا الخط حتى لا يترك حقاً

لنوايته استعلى ، وهو شرط مبدئي يعمى أن يتحقق قبل أن تتعمد كل دولة - وبالتالي كل فرد - بسلام دائم بدلاً من أن تظل دائماً عرضة للقرارات المتخلفة والتهديد بالحرب . كما في عصرنا الحالي فإن اشترك دولة ما في القوم دولي يتطلب شروطاً اقتصادية واجتماعية معينة وتنشخص هذه الشروط التي استغلال ممكن لموارد من جهة ، وزمارة في حجم تجربتها من جهة أخرى . ومن ثم لم يعد لسلام مجرد تهيئة الظروف السياسية التي شجع للدول بمقتضى اتفاقات تجارية فيما بينها ، بل هي يقتضى إقامة النظم والمؤسسات وإنقاذ الوسائل التي تتيج للدول كافة - وبخاصة الدول النامية - أن تستغل مواردها الفضل ممكن بمساعدة الدول الأخرى . وهكذا لم يعد لسلام مطلباً إيجابياً ينشأ عن تنسيق أو تعميم تطورات الدول المختلفة التي يسعى كل منها إلى تنمية نفسه بطريقة الخصخصة . وذلك لا يتواءم الصلاص على التجميعات فادر ما يتوافق على الترميطات الدينامية التي تستهدف غليات إنمائية متغيرة . وكما تعلم أن التخصص قد أصبح سمة من

المساعدة في الدول المتقدمة حيث تؤدي للفلسفة إلى إغراق الأسواق منكم السلع ، وموحر القول أن البلدان النامية تلعب دوراً للدول في عملية السوق العالمية ، على حين تريح الدول النامية ربحاً إضافياً من البلدان النامية ، عند طراري الدائرة الاقتصادية بفعلة وتنشيره .

الشعور بالذنب

اضف إلى ذلك أن الثقافة العربية مسنولة إلى حد كبير عن الدعوة إلى العقابية التاريخية والتقدم التكنولوجي ، معاً هذا مدول لعدم كله - أرادت ذلك أو لم تزد - أن تأخذ بأسباب التقدم الحضاري في الإطار الذي رسمته الثقافة الغربية ، أعمى إطلر ، العدمية والتضيق . ، لهذا أراد الفكر الغربي أن يكون متساقاً مع نفسه ، فيدبى عليه أن يظل متناج تلك النزعة العائبة الضالعة ، التي جعلها من صالحة .

بيد أن الشعور بالذنب لا يمكن أن يدوم طويلاً ، لأنه من المشاعر التي يود المرء التخلص منها سريعاً ، وبالتالي فإن المنهم يصبح متهماً ، ويقوم بتوجيه النقد إلى البلدان التي سبق أن استعمرها لأنها لم تستعصم أن تقيس من استقلالها . والعطف نفسه يمكن أن يكون دافعاً إلى الضجر والملل ، بل إن البلدان موضع العطف تميل إلى التخلص منه لأنه مهين لها محفز لنشائها . وكذلك الخوف لا يمكن أن يصنهر حائزاً على المعونة ، وقد يؤدي الخوف من العنف إلى اصططاع العنف ، ولهذا لا يمكن أن يقوم « التزام الأخلاق » دائماً على هذه الأسس العاطفية الثلاثة التي تستم لمقلقلب والتحول والوقنية .

و « التزام الأخلاق » معناه أن ترى كل حياة إنسانية جديرة بالاعتبار وبالر لكل إنسان عليها حق الإحترام بوصفه إنساناً ، والنصيغة التي وضعها « كانت » للأمر المطلق في الأخلاق : « عمل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي أي شخص آخر كغاية لا كوسيلة » ما برجت هي الصيغة التي يقوم عليها « التزام الأخلاق » تجاه الآخرين فهل يمكن أن يكون هذا القانون الأخلاقي هو نفسه القانون الذي تناسس به للعلاقة بين

الطائفة ، المدينة ، الأمة ، الدولة ، العالم كله ، وهذا ما يمكن أن نسميه التقدم الأعلى للأخلاقية ، وإن يكون من الواجب أن يواكبه تقدم ربي ، أي تقدم على طبيعة الأخلاقية نفسها حتى نرداء عطف ومعهد ، وربما لمسا عبر لاجدس للمعند الأخلاقي في هذه الأمة الكريمة في سورة المسعدة : **إِنْ جِئْتُمْ بِدَلٍّ كَثِيرَةٍ عَلَى يَدَيْ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَدَ فِي الْأَرْضِ فَأَكْبَدْنَا قَتَلَ النَّاسِ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا (آية ٢٢)** .

الانقراض الأخلاقي يمكن أن يكون إذن رسالة ذات شهيدين : تحاليف الذات والمساعدة على إحياء ذوات الآخرين ، أو معاناهة الشامل إحياء الناس جميعاً . وهنا لا تكون لتقدمة مجرد نشاط خارجي ، أو واجب على المجتمعات أن تؤديه ضمن سائر الواجبات الأخرى ، بل تصبح ضرورة مرتبطة بمهامية الإنسان وحرية ورياسته الروحية ، وتعتبر حينئذ عن طموح الإنسان إلى النمو والتقدم والكمال ، فلا تكون التسمية مجرد واجب أخلاقي قائم على أساس مبادئ أخلاقية معينة ، بل تكون هي الموقف الأخلاقي نفسه بلا منازع ، من الذات ومن الإصطفية لكل وينبغي هذا الموقف الأخلاقي أن تساعد الآخرين على أن يصبحوا أكثر إنسانية ، والمساعدة معاناهة تقديم الوسيل للوفاء ونفوذ ، فصيل ، ولا يكون ذلك إلا بالعمل على استخدام الموارد الطبيعية لصالح البشرية جمعاء ، وتنمية الثروة وتوزيعها بالعدل على الناس ، فالملوك هو إضفاء الطابع الإنساني على شروب الليال الاقتصادي الدولية بحيث نحاول لنظره الحساسة انصبة ، نظرة الروح والخسار ، وإن نجري أنواعا أخرى من

لتبيلات تكون أكثر اتساعا وتووعا من قشريات القائمة حاليا . وبفضل هذه الإنصبة - إن صح هذا التعبير - نلقد السلع تدريجيا - لميتها الكمية والتقديرية لتصبح علامات على لشطاء الاداعي ودعوات للحوار الاجتماعي ، والمعرفة ، والحياة الحافلة بالحيوية والتنوع . وتصبح الرغبة في العطاء - وهي من أهم الاقتصاد الدولي ، على ألا يفهم هذا الدفاع بوصفه مرادفا للاحتسان ، بل بوصفه مقوما من مقومات الروح الإنساني ، وعنصرا أساسيا من عناصر المذعة العيرية في الإنسان . وهذا الاقتصاد الجديد يدفعنا إلى التخلص من اقتصادنا القديم القائم على التناقص ، ويشمل تدريجيا على أمور لا سبيل إلى التعبير عنها بالرقم كالعلاقة بين الأفراد والعلاقة بين الأمم ، وأسلوب الحياة ، ونظام الثقافة ، والسعادة والحرية .. الخ . ولم تعد هذه الأمور كلها الآن مجرد أحلام طوباوية ، وذلك ل الوسائل التي أصبحت في متناول التكنولوجيا بلغت حدا من القوة جعلها مؤداة إلى الخراب والدمار إن لم توجه إلى التنمية المشتركة - من الممكن توجيه التكنولوجيا المتقدمة وسخاها الصالحة لنموية إلى الأغراض العسكرية أو لإغراض السليمة على حد سواء . بهذا إبداء كافي للمشكلة لا تنافي إلى الاقتصاد بين الدول المتقدمة أو الخراب

من العدمية

وهذا الطابع الحيادي للتكنولوجيا يجزنا إلى تفرقة عامة بين التنمية والتقدم ، فالتقدم في كثير من الأحيان لا يشيء الاستعمال من الانتفاة وينشر من المعرفة والعادات ما يؤدي إلى ، التقدم - التناقص ، بيد أن هذا التقدم لا يتجاوز حدود الاستيعاب أو للحاكة أو التبعية ، أما للتنمية فهي استغلال القيم والمكتنايات الخاصة بكل شعب على حدة ، وهي تفرقنا الأصيل بدرجة إلى للحتمات على استخدام ، أدوات - التقدم لصحتها ، فليس من الضروري أن يكون للمفرد الغربي - أي الإستراتيجية الغربية - التقدم التكنولوجي - هو المعيار المحترم لكل تنمية . وهذه التفرقة ضرورية للتمييز بين المساعدة الحقيقية على التنمية والمساعدة التي يتستر وراءها الاستغلال لاستعادة سيطرته على دول العالم الثالث ، والتناقص ليس مرادفا للتجشس بل إلى النوع هو أساس لتعامل الدفاع بين الشعوب ، والشعب للمعتمد بتقليده ، الدواك لتخصيته هو وحده الذي يستطيع أن يقيم علاقة سليمة مع شعب آخر يختلف عنه ، إذ يكون لديه حيثما ما

يقوله . وكثيرا ما يصاحب الطموح إلى التنمية تطلع للمحت عن الهوية ، ورغبة في أن يكون لشعب ذاته ، فلا عجب أن تكثر في هذه الأمة الإبلات المكسرة للهوية الثراث في بلدان العلم الثالث

ولا يتعارض البحث عن الذات مع الانفتاح على الآخرين ، كما لا تتخلى القومية مع التضامن العالي ، ذلك المثل الأعلى الذي وضعت الثقافة الغربية بشعوب العالم كافة ، له التناقص البين إن أن تأتي الدول الكبرى اليوم فتمتنع عن مساعدة بلدان العلم الثالث التي اعتنقت هذه المثل العليا في الحرية والإخاء والمساواة بعد أن أوشكت هذه التعليم أن تؤثر ثمارها ، ولا يمكن أن تعيش أية مدينة إلى هي غلفت على نفسها الأبواب ولم تشارك غيرها في ثمار حضارتها ، خاصة وإنها هي التي عملت على نشر هذه المبادئ ، وسعيا الجهد وتحملت الطاقة ، فهي عندما تنكر لحطب الشعوب الصغيرة فلما تنكر لصوريتها ، وترفض النموذج الذي ألقته للاحذاء .

وبما كان هذا التناقض الواضح في موقف اشتمل من الجنوب هو الذي يصر لنا موجات الإحتجاج الصارخة التي انتقلت من الشعب لثقافة في الدول المتقدمة ضد النظم القائمة . فله صدهم ما حقيقة الأمر ذلك التعارض فواضح بين ما يتلقى به سامتهم من مبادئ سسية ، وبين ما يمارسونه من سياسات متباينة ، فهذه سبيل التسلح والعنصرية والتخلف ، والتناقص العلم إلى اغبياء وفراء ، كل هذا لا يكف عن وخز صمائل البلدان قاصية ، وما سخط الإبلات الشلية إلا علامة على سوء الخطوة الذي يضره الشعب للجنوب . والسؤال المطروح الآن هو : متى شطك الدول الكبرى سلوكا يتفق مع مبادئها للعلنة ومثلها العليا التي تبشر بها هذا الأخر لقرن الناس عشر ؟

مواجهة الخطر المشترك

إن الخطوات الأولى التي يحطوها العالم إلى نحو التعاون تدل على أن البشرية تتطلع إلى الوحدة ، ولها تتقدم على جهة واحدة لمواجهة خطر مشترك . وإن يحلق الأفراد والأمم مساهمتهم الخاصة إلا إذا قبلوا التنمية بوصفها مهمة تتجاوزهم وتتوحدهم في أن معا . وقد أصبح استغلال موارد العلم واكتعمال لجسم المشري غليظة لا تفصل إحداهما عن الأخرى ، وصارت المساعدة الإنمائية ضرورية للشمل صورتها للجنوب .

فؤاد كاسل

● ان الخطوات التي يحطوها العالم الآن نحو التعاون تدل على أن البشرية تتقدم على جهة واحدة لمواجهة خطر مشترك



ومرّت أربعون سنة : محيّ زيادة حياتها ومآساتها

بقلم: الدكتور كمال نشأت

المعاهد الدينية - وكان غالباً في اديره والمدرسات راهبت - قد ترك اثره في نفسها الحساسة ، خاصة انها كانت تحس بوحدة قلبية ، فهي وحيدة والديها .. وهي وحيدة في الدير الذي تعانده الطائفت في المناسبات كالاعباد ، وما هي «هي» تسجل في مذكراتها صورة لهذه الفترة من حياتها .. تقول على لسان (عائدة) وهو الاسم الذي كتبت المذكرات ونسبتها إليه (اخذت «عائدة» كتبت ، ولا سيما أن عيد الميلاد قد دنا ، واخذت أيام العلم الأخيرة تسرع نحو هوة العدم كانت تكتب لأن رفيقاتها الصغيرات إذن يقادرن الدير ليصرفن الاسبوع بين اهلن المقيمين في المدينة او ضواحيها . وعائدة من بلدة معيدة كل للعد ، لذلك لا يزورها من ذويها في العيد احد . وستقضي هذه الأيام وحدها بين أولئك النسوة الصلمات المصليات للزاهدات ، اللاتي كانت تشعر بان منهن غير السعيدات رغم امتلاكهن المظاهرى ، فتودع رفيقاتها الواحدة بعد الاخرى متعنية لهن عيداً سعيداً . حتى إذا مضت اخرهن انطلقت إلى الكنيسة وحجبت وجهها بيديها واجهشت بالبكاء وكان مساء العيد حزينا ، وجوّهُ مغكراً ، والدير صامتاً كتوما ، مرغياً للقلوب القديمة بضن بخفاياها ، وكان لعائدة

عاصرتها هي قد ابرزت كثيراً من الكتاب والمفكرين ، ولم يبق التاريخ القريب منهم إلا العملاقة الذين تجاوزوا شكل المقالة والخواطر الذاتية والقضايا العامة الأنية فكتبوا الترسات والأبحاث كما كتبوا في اللغة النخبية . وفي الترجمة المحللة لشخصيات تاريخية كثيرة ، وفي القصة والرواية كما فعل طه حسين والعقاد ، وظل في الحدود الزمنية لهذا الجيل كتاب مرحليون ، كان لهم اثرهم في هذه الحقبة من تاريخنا الأدبي منهم الغرافي والمنطوطي .

●●

ولدت «ماري إلياس زخور زيادة» في لناصره عاصمة الجليل في فلسطين ، من أب لبناني يعمل معلماً ، وأم قسطنطينية من الناصرة ، ولم ينحيا إلا ابنتهما هذه ، فكانت «هي» طفلتها الوحيدة ، اشتغل الأب بالتعليم في هذه المدينة الصغيرة التي نالت شهرة لأن المسيح عاش فيها صباه وفترة من شبابه ومن هنا أصبحت مزاراً معروفاً . عاشت «هي» ثلاثة عشر عاماً فيها ، ولقضت أربعة أعوام في معهد للراهبات ، ثم انتقلت إلى لبنان حيث قضت خمسة أعوام في معهد للراهبات أيضاً في قرية «عينطورة» وليس من شك في أن جو

في يوم ٢٠ أكتوبر (تشرين أول) من العام الماضي تكون قد سرت على وفاة الأدبية النابغة «هي زيادة» أربعون سنة كاملة ، إذ انها توفيت في العشرين من أكتوبر عام ١٩٤١ ، وحيدة منسية . وعلى الرغم من معيشتها ، والشهرة التي حققتها ، في وقت كانت المرأة العربية فيه قعيدة المنزل ، بعيدة عن الاشتراك في الحياة العامة ، فإن هذه الشهرة لم تستطع أن توصل لها مكاناً بحيث تفرغ نفسها على الناس ، فتحفظ بذكرها المجلات والجرائد والأذاعة والتلفزيون كما يحدث لعبرها من الأدباء والمفكرين .

وإننا نتساءل : يرجع ذلك إلى انها كتبت من الكتاب المنشئين الذين كان ادبهم يدور في قالب المقالة والخواطر النظرية كالغرافي وأغلب كتابات الأدبي انصب على تصوير خواجه ذاتية وإنها كتبت مهتمة - إلى جانب ذلك - بقضية المرأة العربية ، في فترة أصبحت المنطوطي ؟ يرجع إلى أن كل اهتمامها في الحياة العامة هذه المشاركة الفعالة في مجالات الحياة المختلفة ؟ ربما تكون الإجابة على هذين السؤالين هي السبب ، فإن المرحلة التي

« إنما حياة الإنسان على
الأرض جهاد مستمر رغم
كونها محض عبور ورغم
أننا نموت في ذاتنا كل

يوم .. »

« هي زيادة »

يؤمن أن تفعل ما شئت دون قانون
بقيدها فتقضي أكثر أوقاتها في شرفة
للموسيقى المنفردة في أطراف الحديقة
تخيم عليها الأشجار ذات العصور
العابرة . هناك جلست طويلا والسما
نظم رذاذا . ثم نهضت إلى البيانو
وما كادت تس اصابع العاج حتى
سحبت يدها قائلة : « ما أشد برد
البيانو ! » ثم أضالفت : بل البرد في يدي ،
البرد في روعي ، البرد في وحدتي
وغربتي وألقت براسها إلى حشبات الآلة
للموسيقية ، على أن يدا لطيفة اجتذبتها
مداعبة شعرها وخدها ، فصرخت الفتاة
قائلة « أتركني ! لا أريد أن يشفق عليّ أحد
لأنني لا أطلب الشفقة .. » .

... إلى القاهرة

وعادت «هي» إلى الناصرة بعد أن
لنعت من دراستها في «عينطورة» ،
عادت لتعلم فراغا كبيرا حاولت أن
تبعد بقراءات في الأدب الفرنسي ، فقد
كانت تجيد الفرنسية وبعضها من اللغات
الأجنبية الأخرى . إلا أن هذه القراءات قد
توفقت زمنًا لانتقال الأسرة إلى القاهرة
عام ١٩٠٨ . سافرت الأسرة إلى هذه
الدولة التي كانت مترا أدبيا وفكريا على
الساحة العربية الكبيرة ، وهناك عمل

لجوها في الصحافة فترة أصدر بعدها
جريدة (الحرسية) ، وفي مصر فتحت
مواهب «هي» فبثتات تكتب في جريدة
فيها ، وأخذت كتاباتها تظهر بعد ذلك
على صفحات الجرائد والمجلات المصرية
كما كثر وقوفها خطيبة أو محاضرة في
لنوادى المختلفة ، وفي عام ١٩١١
أصدرت ديوانا بلغة الفرنسية اسمته
(أزاهير حلم) وأختارت اسما مستعرا
هو «أيزيس كوبيا» ، إلا أن «هي»
كشخصية أدبية لم تعرف على نطاق
الصعيد الأدبي إلا بعد أن استقبلت كبار
الأدباء والمفكرين في منتداهما الأدبي
بمنزلها كل يوم لثلاثاء . كانت «هي» في
هذه الفترة شابة متألقة ، جميلة ، لبقه
تعرف كيف تدبر الحديث ، وكيف تجلس
صوفة المفكرين والمثقفين المصريين
والعرب الذين كانوا يزورون القاهرة . لقد
كان يوم الثلاثاء عيدا للفقير ، ولقاء
خصبا للأرواح الخصبية .. لطفي السيد ،



حسن علي حيدر



وطه حسين ، وعباس العقاد ، وحافظ
أبراهيم ، والرافعي ، وإسماعيل صبري ،
والنشري ، وولي الدين يكن ، ومنصور
فهمي ، ومطران ، ومصطفى عبد الرزاق ،
والخازني ، وغيرهم .
يقول إسماعيل صبري ذاكرا يوم
الثلاثاء في بيتين اشتهدا بعد ذلك :

روحي على دور بعض الحى هائمة
كظاهرة الطير نواقا إلى المــــماء
إن لم أمتع بى نظري غــــدا
لا كان صبحك يا يوم الثلاثاء

يوصف طه حسين هذا المتفدى
الأدبي .. يقول : «كان الذين يخلطون إلى
هذا الصالون متفائلين تفاوتا شديدا ،
فكان منهم المصريون على تفاوت طبقاتهم
ومنزلهم الاجتماعية ، وعلى تفاوت
أسانهم أيضا ، وكان منهم السوريون ،
وكان منهم الأوروبيون على اختلاف
شعوبهم وكان منهم الرجال والنساء ،
وكانوا يتحدثون في كل شيء ،
ويحدثون بلغات مختلفة بالعربية
والفرنسية والانجليزية خاصة ، وربما
استمعوا للصيدة تشند أو مقالة تقرا ،
أو قطعة موسيقية تعزف ، أو أغنية تنفذ
إلى القلوب . وقد أتبع لي أن أكون من
خاصة «هي» بفضل الأستاذ لطفي السيد
فكنت أتاخر في الصالون حتى ينصرف
الزائرون ، وما أكثر الليالي التي أنصرف
فيها الزائرون جميعا ، ولم يبق منهم إلا
الأستاذ لطفي السيد ، ومحمد حسن نائل
للرصفي - رحمهما الله - وأنا .. وفي
تلك الوقت كانت «هي» تفرغ لنا حرة
ساحة ، فنسبح من حديثها أو إنشائها ،
ومن عزفها أو غنائها ... »

ويقول العقاد عن براعتها في الحديث
كأدبية وسيدة صالون : (لا يحضرني
مثل لذلك أدل على البراعة من إدارتها
لحديث في مجلس حضره نحو ثلاثين
كاتباً وأديباً ووزيراً للتشاور في
الاختلافات البعيدة الخمسين للمقتطف
وكان اجتماع هذا المجلس عندها في إبان
للنزاعات السيسية التي وصلت بكثير
من الكتاب والأدباء إلى حد التقاطع
والعداء .. قضينا عندها ساعتين نسينا

حياته ومآساته

فيها أن في البلد حزبا أو منازعات سياسية بفضل براعتها في التوفيق بين الأراء والأمزجة ، وقدرتها على توجيه الحديث إلى أبعد الموضوعات عن الخلاف والملاحاة) .

وعلى الرغم من أن عينا قد اثار مشاعر زوارها وعاجبهم ، ومنهم من احبها ، ومنهم من ادعى انها تحجيه ، فإن احدا منهم لم يجرؤ على مفلاتحتها في الزواج منها ، ولا نستقنى عبر للتزوجين .. لا لأنها مسيحية وأغلب للعجيين بها مسلمون ، ولكن لأن ظروف المجتمع المصري الشرقي في ذلك كانت ثق سدا قويا امام هذه الفكرة .

خطرت لى هذه الخطرة وانما تشاهد في شهر اكتوبر الماضى في تلفزيون بغداد سلسلة عن حياة عباس العقاد اسمها كاتبتها عامر العقاد - والعقاد عمه - «العلاق» . وقد تعرضت للسلسلة إلى علاقة العقاد بعمى ، وإذا بالعقاد في هذه السلسلة يبدو في صورة للحب المحفوظ ، والرجل الجريء في صياغة النساء ، وإذا بعمى عاشقة مولده تتراف الدموع وتطارده العقاد بليكة ذليلة .. وهنا وقفت حائرا .. فالعقاد ان الرافعى كان يحبها ويدعى انها تحبه ، ويقول بعض من كتبوا عن العقاد انها كانت تحبه ، اما زكى مبارك فقد كان يخص بعطف لطيف السيد على عمى ، ويقال إنه كان يعمل لسائته في هذه السلسلة ، وقد تناولت في كتابي عن مصطفى صادق الرافعى الذى صدر عام ١٩٦٨ في سلسلة الاعلام هذه القصبة خاصة ما يتعلق منها بالرافعى ، ولكن لدى لاشك فيه هو أن عينا احبت جبران خليل جبران ، فرسانتها ورسائله دليل مادي على هذه العلاقة الروحية التي قامت بينهما ابتداء من عام ١٩١٢ حين

ارسلت «عمى» خطبا إلى جبران تعرب فيه عن اعجابها بآدبه واستمرت المكاتبات بينهما حتى قطعتها الحرب الكبرى ثم عادت بعد الحرب لتتقطع بموت جبران عام ١٩٣١ .

عمى تعتزل الناس

ويموت يعقوب صروف مرشدنا وصديقها عام ١٩٣٠ ، ثم موت ابيها الذى تلاه موت امها وموت حبيبها جبران بعد هؤلاء اشدت أزمة وحدتها ، فاعتزلت الناس ، واهميت التدخين ، فاهترت اعصابها وانهارت نفسا وجسدا . وقد حكى لى الصحفى اسعد حسنى مد سوانة انه في «الفترة الاخيرة من حياتها ذهب يسجد سجد موبى لزيارتها ، وكنتها فاجتا وهي تفتح لها باب لتلقاها فماتت نال منها الشجوب والهزال وهدمتها شيخوخة ميكرة ، فانصرفا سرعة منها لاجراجها .

أمر عيم المراسي



محمى السيد



وقد سمع اهلهما بحلقها المتردية ، فجاء قريبها الدكتور جوزيف زيادة من بيروت وصحبها معه إلى لبنان . وهناك دخلوها مستشفى (العصفورية) وهو مستشفى للأمراض العقلية .

واندلعت الحرب العالمية الثانية ، وشغل الناس باخبارها ، وفي العشرين من شهر اكتوبر عام ١٩٤١ ملقت «عمى زيادة» وحيدة ، مكسورة الجناح والمشاعر . وقد اقيم لها حفل تأبين شاركت فيه صفوة من الادباء ، كان منهم العقاد الذى رثاها بقصيدة قال في بعض بيتها :

ابن في المحفل عمى يا صاحب عودتنا ما هنا فصل الخطاب عرشها المير مرفوع الجناح مستجيب حين يدعى .. مستجاب

خلقت «عمى» وراءها ٦٥ كتابا تدور كلها حول خواطر منلوثة اقرب إلى روح لشعر إن لم تكنه ، وحديث ومقالات تتناول قضية المرأة العربية وتحررها . وقد كانت صاحبة اسلوب شاعرى شفاف ولعلنا نلمس هذه الصفة فيه حين نقرا قولها في رثاء عصفور من عصافير الكناريا : « طائر صغير نسجت اشعة الشمس نعب جناحيه ، وانجنى الليل عليه فترك من سواده قبلة في عيني ، ثم سطت عليه يد الإنسان ، فضيقت من دائرة فضائه وسجنت في فقص كان بيته في حيلته ، ونعشه في مماته ، طائر صغير احببته شهووا طولا ، غرد لكابتى فاطربها ، ماجى وحشنى فادسها ، غنى لقلبي فارقصه ، ونادى وحشنى صامها حنايا ..

د . كمال مشات - بغداد

الانظار

قصة بقلم : يوسف الشاروني

في حجرة التحقيق جلس صابر - ابن تلك القرية شبه الجبلية شبه الريفية حيث يضيق وادي النيل - يروي للمحقق كيف استراح اخوه في قبره :

منذ اربعين سنة سهرت قريتنا احتفالاً بزفاف اخي عامر ، ووسط انطلاق فرغاريذ والرصاص ابتهاجا بالزفاف ، انطلقت رصاصة في قلب اخي ، وسالت نماؤه امامنا فوق ملايس عريسه .

الخمى على العروس وولولت النساء ، واعلن شهود الحادث ان القاتل زيدان ، لتقم من عامر لانه تزوج سعيدة التي كل يحبها .. عندما افقنا من ذهلنا حولنا الفتك به ، لكنه كان قد اختفى عن قرية كلها . اربعون عاماً لا نعرف عنه شيئاً . لكنني كنت قد اقتسعت على الانتقام ولو بعد مائة سنة .

واليوم عاد زيدان - بعد ان اصبح تجراً كبيراً من تجار الاسكندرية ، وجدا لاحفاد والبياص في شعراسه - محملاً لاهله بالهدايا وبالشوق لرؤيتهم وبنوهم الامان بعد سنوات الهرب والخوف . تعبر كل شيء ، حتى سعيدة ملكت ، كل شيء .. الا انتفاري . راح يعلق القرباء لتنهال عليه قبالاتهم ، ووسط انطلاق فرغاريذ انطلقت رصاصتي في قلبه . كان عائدنا يظن ان دم اخي عامر راح هدرًا لكنني كنت انتظر . قضيت على فرحتهم كما لقضوا على فرحتنا منذ اربعين عاماً . والآن يمكنني ان اقيم العزاء في وفاة اخي .

واخرج صابر - ذو الستين عاماً - مطروفاً من جيبه ناوالة للمحقق قائلاً : ددد ماننا جنهيه - هي كل ما ادخرته خلال هذه السنوات - لهذه المناسبة ، سلمه لاهلي ليقيموا سرادقاً للعزاء ويشبعوا جيلة عامر من جديد .

وقبل انتهاء التحقيق ، فجأة سقط راس صابر على مكتب المحقق ، وعندما جاء الطبيب اعلن انه فارق الحياة .



سامي

عملية "أم القطن"

التي أشعلت الثورة وأضاءت الطريق

بقلم : عصام ششيع



فني الصن

العملية الأولى

ولنعد إلى التقييم الصيني للثورة الفلسطينية حين كانت ما تزال جنينا في رحم ، وحين صارت وليدا قفرا على النبي وتلقى الضربات ، بل وتوجيه الطلعات ، ولندرس ذلك على خارطة الواقع ، فعملية الفدائية الأولى ، بدأت ونفذت بأسلحة ووسائل شبيهة بدائية ، وبامكانيات محدودة في العتاد والرجال . وقصة العملية الأولى توضح ذلك : « قبل ان تخدق الفزالة خلف الأفق ، والنشمس تبعث باخر خطوطها الذهبية ، اومات لزوجتي « ام ابراهيم » ان تحمل النجرة » التي كنا قد ملأناها بالمتفجرات المصنوعة محليا فحملت ام ابراهيم النجرة ، وسلمت في طريقها إلى « العين »

رصاصتها الأولى نحو العدو الصهيوني في ١ - ١ - ١٩٦٥ .

وقد تمثلت هذه الظروف العصبية ، في واقع التجزئة الذي خلفه الاستعمار وراءه في العالم العربي ، وفي حجم السيطرة والهيمنة التي كانت للامبريالية في ذلك الوقت ، وفي الأهمية الاستراتيجية للمنظمة العربية ورواها إضافة إلى الطبيعة للفلسطينية ، وحالة الانبطاقية للحركة الصهيونية ، وحالة انتشار الضمير التي عاشها الفلسطينيون ، الأمر من امتثال اعداء

للمصلحة . لكن لقوة فلسطينية اختزفت جميع الحواجز الموضوعية في طريقها ، وتطلعت على جميع قوى العدوان الخارجي الضخمة التي جابهتها خلال مسيرتها طيلة السبعة عشر عاما الماضية ، وكان ذلك كله بفضل إدراكها لمسالتين في غاية الأهمية والخطورة : الأولى : ان الكفاح المسلح ودماء الشهداء هما الطريق إلى اكتساب الشرعية وحق الوجود والاعتراف سواء في ذلك من الإصدقاء أو الأعداء .

والثانية : ان التناقض الرئيسي الذي يتوجب عليها ان تواجهه ، ولا تغفل عنه لحظة واحدة ، انما هو التناقض مع اسرائيل وحاضنتها الولايات المتحدة الاميركية ، وإن اى انتصار او تقدم تحققة الثورة الفلسطينية وجهايرها العربية ، في مواجهتها مع هذا التناقض الرئيسي سوف ينعكس على الوطن العربي بأسره ، ويؤدي بقلتي إلى ضمور التناقضات الداخلية او ذاتية والتي هي في المحصلة النهائية تناقضات من الدرجة الثانية .

يقول الكاتب والمحلل العسكري العربي المعروف السيد الهيثم الابوي ، « ان نجاح الثورة الفلسطينية في البقاء حية حتى الآن ، يشكل في حد ذاته انتصارا يرقى إلى مستوى المعجزة » . ويرى السيد هاني الحسن - لمستشار السياسي لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، ان الزعيم الصيني الراحل « ماوتسي تونغ » قال لوفد فلسطيني زار بكين في عام ١٩٦٤ ما يلي : « لقد درست قضيتكم ، والظروف المحيطة بها بدقة .. انها قضية صعبة ، تتداخل فيها المشاكل تتداخل استنق فكري (سمك القرش) ، لذا تمكنت من تحرير ثورة والاستمرار فيها ، فادنى ساكن سعيدا لدراسة قوانين جديد لحرب شعب في ظروف لا تتطابق عليها قواعد حرب الشعب التقليدية » .

ثم يروي السيد هاني الحسن حادثة لطري فيقول ، انه زار بكين في عام ١٩٧٤ ، واجتمع إلى رئيس وزراء الصين آنذاك ، والرجل الثاني في القيادة قضيتكم « شوان لاي » ، الذي ابلغه ما يلي :

« لقد درست قضيتكم ، ووجدت فيها شيئا محيرا ، وهو ان ظروفها الصعبة ، ولياليها السوداء لا تطول إذا ما استمرتم في النضال بوالهم ان تجدوا جبهة تستمرون فيها بعمل مسلح ذي صوت مسموح » .

ومن الواضح هنا الفارق بين التقييم الصيني للثورة الفلسطينية في عام ١٩٦٤ ، وبين التقييم في عام ١٩٧٤ . وهذا الفارق يعود إلى الظروف الصعبة بل الباقفة الصعبة ، التي نشأت فيها الثورة الفلسطينية التي اطلقت



لقائمة اللطيب

بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة ، ضمن الأرض المحتلة ، وعادت جميعها إلى معسكراتها سالمة .. وإننا لنحذر العدو من القيام بأية إجراءات ضد للتدبير العرب الأمنيين أينما كانوا ، لأن قوتنا سترد على الاعتداء باعتداءات مماثلة ، وسنعتبر هذه الإجراءات من جرائم الحرب .. كما وإننا لنحذر جميع الدول من التدخل لصالح العدو بأي شكل كان .. لأن قوتنا سترد على هذا العمل بتعرض مصالح الدول للدمار أيوما كانت .

عاشت وحدة شعبنا وعاشت نضاله لاستعادة كرامته « القيادة العامة لقوات العاصفة »

مولد الثورة

ومع العملية الفدائية الأولى في « أم القطن » كان مولد الثورة الفلسطينية ، وقد سجل تاريخ هذه الأمة العظيمة صفحة مشرقة جديدة - هي صفحة النضال والثورة ، بعد هجوع طويل في ظل الاحتلال الصهيوني العنصري ، وفي ظل التشرد والبؤس والحرمان والقمع الذي فرض على الشعب الفلسطيني . ومنذ انطلاقتها ، أعلنت الثورة الفلسطينية ، أن هدفها هو تحرير أرض فلسطين ، وتحرير الإنسان العربي ، والاهتمام على الكيان الصهيوني المزروع في قلب الأمة العربية .

لكن الثورة الفلسطينية ، مع تشدها على التمسك بالهوية الفلسطينية وإيضاها لتشخيصه الفلسطينية ، لتسبب موضوعية تتعلق بمرحلة الكفاح المسلح الرائدة ، فإنها كانت وما تزال عريضة

الدقيقة البكر من اليوم البكر من الشهر البكر من عام ١٩٦٥ ، وضمت ربع ساعة كانت من أدق اللحظات في تاريخ عمرنا .. ولحاجة تطايرت أشلاء البناء في اللجو ، فلقد كان الانفجار شديدا إلى درجة أن « أم إبراهيم » التي كانت تنتظرنني سمعت الصوت ، كما سمعه آخرون في قرية ، إذنا .. كما أخبرونا عند عودتنا إلى القرية .. ولدى سماعنا صوت الانفجار الذي هزنا من الأعماق ، شعربا لنا نظير في الهواء ، ولا ندري أكان ذلك من الفرح ، أم من قوة الانفجار .. وعابرينا مؤثمة في أرض الوطن لننتقل إلى مواقع آخر

واختتم « أبو إبراهيم » روايته عن العمل الفدائي الأول بالقول : « وفي طريق العودة ، شاهدنا سيارات العدو تتحرك من « بيت جبرين » إلى « دير نخاس » ، وهي تطلق نيرانا غزيرة في كل اتجاه ، كما شاهدنا سيارات أخرى تتحرك بسرعة من « أم القطن » إلى « موقع الموتور » .

البلاغ الأول

وفي بيروت صدرت المصحف في ١-١٩٦٥ ، وهي تحمل البلاغ الأول للثورة الفلسطينية على صدر صفحاتها : « انكالا منا على الله ، وإيماننا بما بحق شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المقتصب ، وإيماننا بما يوجب الجهاد للقدس .. وإيماننا بما يوجب العري للثائر من المحيط إلى الخليج ، وإيماننا بما يؤازر أحرار وشرفاء العالم ، لذلك فقد تحركت أجنحة من القوات الضارية في ليلة الجمعة ٣١-١٢-١٩٦٤ ، وأمامت

(عين الماء) ، وهناك وضعت الجرة ، ثم غلت إدراجها .. »

ويبقى « أبو إبراهيم » (أحمد إبراهيم الشمالي) قائلا : سرنا .. إننا .. وعبد العزيز جبران ، والشهيد وديع ، ويوسى محمود ، في حوالي الساعة الثالثة من ليل ٣١ - ١٢ - ١٩٦٤ ، وسلكنا طريق « بيت علام » ثم « وادي أبو الخيل » ، ثم « خلة النعجه » من أراضي قرية « وادي نخلس » ، ثم إلى « دير نخلس » نفسها ، ومنها إلى « أم القطن » حيث يوجد « موتور الماء » هدف عملياتنا ..

ويستطرد « أبو إبراهيم » فيقول : كانت « غرفة الموتور » مغلقة ، و « خلة أم القطن » تنام حلة في هذه الليل .. والسكون مطبق تماما على المواقع ، وكان « الموتور » محاطا بكمية كبيرة من براميل الوقود ، فوضعا الجرة في الموقع ووصلنا بها فتبنا بطيء الاشتعال يبلغ طوله حوالي متر ، ثم وصلنا الفتيل بالصاعق ، واشعلنا الفتيل ، وهنا .. أخذت افدتنا تخفق بشدة ، ونحن نتنظر « القمر » وهو اسم عملياتنا الفدائية الأولى - وكنا نوجس خيفة من أن لا تنفجر جرة الديناميت ..

وارتفعت درجة الحرارة في أجسادنا على الرغم من البرد القارس ، الذي كان يلغ أجسادنا ، فقد كان البرد شديدا في تلك الليلة ، فيما كانت ساعات الانتظار تدور قلقة ، بالرغم من أننا قمنا ماكر من عملية واحدة لاستطلاع العدو ، حيث كان اثنان منا ينتظران خارج مبنى الموتور للحراسة ، فيما تولى اثنان آخران تثبيت العيوات الناسفة ، أما ساعة التثبيت فقد كانت محددة على

عملية "أم القطن" التي أشعلت الثورة وأضاءت الطريق

« الوجه واليد واللسان » .. وطلعية حرب التحرير القومية الشاملة ، إذ إن تحرير فلسطين يعني في نهاية المطاف ، تحرير العالم العربي بأسره من الكابوس الصهيوني والاستعماري ، ومنطقاً لتنهوض عربي شامل ، ولقيام وحدة عربية حقيقية تقف سداً في وجه المطامع الاستعمارية ، وتعمل من أجل ولادة عالم أفضل .

من أم القطن إلى فندق سافوي

لقد قلن كثيرون لدى سماعهم بالعملية الفدائية الأولى للثورة الفلسطينية ، في المسألة لا تعدو أن تكون زويدة في فئجان ، أو نوعاً من أنواع المغامرة ، وإن العدو الصهيوني قادر على سحق مبادراتها ، إذا ما هلك الفلسطينيون بذلك لكن الذين عاشوا بعد الفتح من كانوا الناس (ينيلز) من عام ١٩٦٥ ، رأوا بام أعينهم كيف تنامت الثورة الفلسطينية حتى تعلقت وسارت من انتصار إلى آخر ، واجتازت حاجزاً بعد حاجز ، كما شهدوا التطور المذهل في نوع العمليات الفدائية وكيفية .

بل إن العدو الصهيوني نفسه ، إضافة إلى الدوائر الاستعمارية الخاضعة له ، أصيبوا بالذهول لذلك للقنمى والتطور ، ولم يستطع هؤلاء إخفاء ذهولهم وإرتباكهم ، بعد عملية « فندق سافوي » بقل أبيب ، حيث اقتحم تسعة فدائيين قلب الكيان الصهيوني في تلك المدينة في آذار (مارس) ١٩٧٥ ، وخاضوا مع العدو معركة طويلة ، ابتدأت في الحادية عشرة ليلة ، وانتهت في الثامنة والنصف من صبيحة اليوم التالي ، أوقفوا خلالها في صفوف للصهيانية ، أكثر من خمسمائة إصابة بين قتيل وجريح ، إضافة إلى تدبير الفندق وعدد من المباني المجاورة .

الصهيوني نفسه بعد عملية فندق سافوي ، لنحكم على أهمية الثورة الفلسطينية وقدرتها كعملية لحرب التحرير القومية الشاملة .. ففي المناخ العام من الاضطراب والقلق الذي أسفرت عنه العملية بين مليون صهيوني من سكان قل أبيب ، عقد رئيس بلديتها مؤتمراً صحفياً قال فيه : « عندما وقعت العملية الفدائية السابقة في » سينما حين » بقلب قل أبيب : لا يمكن إلقاء قل أبيب بصورة كاملة ومحكمة ، والأآن أستطيع بعد عملية فندق سافوي ، أن أكرر - وأنا عسكري أيضاً - ما قلته قبل ثمانية أشهر : « لا يمكن إلقاء المدينة بالحكم » .

أما وزير الشرطة الصهيوني « شلومو هليل » ، فقد قال : « يجب أن نتعرف بأن هذه العملية متطورة جداً من جانب الفدائيين ، ويمكن القول إنها محكمة » ، وأضاف : « لا يمكن إلقاء قل أبيب ، كما لم يكن ممكناً إلقاء الحدود الشمالية » ، ولايضاح حالة الهلع التي انتسبت للسوتوطنين الصهيانية في أعقاب عملية فندق سافوي « لا بأس أن نورد الحادثة التالية :

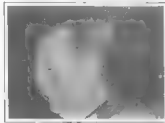
« بعد أيام من الانزال البحري الفلسطيني على شواطئ قل أبيب ، شغلت الإذاعة الإسرائيلية برامجها لتعلن الخبر التالي : في نحو الساعة الحادية عشرة توجهت سيارات الشرطة بسرعة نحو « مدرسة غولوب » الابتدائية في « ككر سليم » بعد عدة تقصّلات ، أبلغت الشرطة خلالها ، أن أشخاصاً مسلحين سيطروا على المدرسة ، وقد تم إبعاد مئات الطلاب عن المدرسة ، وعن مدارس أخرى ، وسالت الفوضى ، وقفر الطلاب من الفواقد وهربوا إلى منازلهم ، ثم وصل مئات من ذوي الطلاب إلى المكان ، بعد انتشار النبا ، للمساعدة في نقل الأولاد ، وبعد أكثر من ساعة ، علقت الإذاعة الإسرائيلية لتعلن : « بعد أن تمت عملية الإخلاء ، تبين أن الخبر عن وجود مسلحين في المدرسة ، لم يكن صحيحاً » .

عملية دلال المغربي

وقد جاءت « عملية الشهيد كمال عوان » ، التي قادتها الشهيدة المظلة « دلال المغربي » في ٢٦-٣-١٩٧٨ ،

ولم تكن عملية فندق سافوي ، هي العملية الفدائية الوحيدة المتطورة ، ولكنها النموذج الأكثر تطوراً في الواقع من حيث التقنية العسكرية ونوع العمليات ، فهناك على سبيل المثال « عملية معلوت » - ترشيحا ، التي قتل فيها أكثر من ثمانين صهيونيا ، وعملية « سينما حين » في قل أبيب التي قام بها فدائي واحد ، وعملية « ثلاثة القدس » التي أسفرت عن مقتل ١٤ صهيونيا وجرح أكثر من سبعين آخرين .. الخ ، وقد كانت عملية فندق سافوي التي تمثلت في الانزال البحري الفلسطيني على شواطئ قل أبيب واجتياز الفدائيين لحاجز الحراسة البحرية الإسرائيلية في عرض البحر ، ثم اجتياز الحراسة على شواطئ قل أبيب ، ثم اجتياز حرس الحدود الإسرائيلي ، في « الشريعة » و « الجوش » ، التطور الطبيعي لعملية « أم القطن » ، ويكفي هنا أن نستشهد بما قاله العدو

ماونتي تريج



الثورة الفلسطينية منذ اللحظة الأولى ليلادها ، تحمل جميع معاني الأصالة العربية من تضحية وفداء وتكرار للذات ، وبعد أن كان العربي الفلسطيني يعيش تحت شعار «الفلسطيني الجاهل» ، صارت صورته بعد عام ١٩٦٥ م تحمل الإحلام الثورية لجميع الشعوب المستعبدة والمقهورة والمستعمرة ، فلقد لقيت الثورة الفلسطينية الأصدقاء قبل الأعداء درساً بالغ الأهمية ، يتلخص في أن البندقيّة هي الأسلوب الوحيد لانتزاع الحق السليب ، وأن طريق الكفاح المسلح هو قصر العرق لاسترداد الأرض والحرية والكرامة . وإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، وإن طريق الشهادة والشهداء ، هو السبيل الوحيد لاختصار الزمن ، وإفهام قعدو ، أنه لن ينال ماء جفنيه على سرادة من حرير ، كما كان يعتقد قبل اعتصابه الأرض والوطن ، بل سيظل سائر الأجيال ، يلطم قتلاه ، ويلقي دماءه حتى القطرة الأخيرة .

اجل .. لقد كانت انطلاقا الثورة الفلسطينية لسبعة عشر عاما خلت ، بارقة الأمل التي وضعت نهاية لمرحلة الضياع والتبكي على الحق السليب والوطن المغمص ، والتي بشرت في اللقال بعيدا مرحلة العمل الجاد من أجل رفض مقولة الأمر الواقع ، والانطلاق في طريق التحرير .

الحق لا يموت

وما ليد من تأكيد هذا ، أن العصا الفلسطينية خلال السنوات السبع عشرة الماضية ، قد أبرز أهمية الثورة الفلسطينية في اطلاق مرحلة جديدة من الكفاح في سبيل تحرير الأرض والوطن ، وتثبيت حق تقرير المصير ، وفي كون الثورة الفلسطينية وفدريتها على إحياء روح النضال ، والأشغال بار الكفاح ، مثبتة بذلك أن حق أي شعب لا يمكن أن يموت ، مادامت جذوة النضال مشتعلة وراية الكفاح خفاقة .

ولقد كانت الثورة الفلسطينية ، بتخلاتها المظفرة ، استمراراً لثورة أصيلا للنضال الفلسطيني العربي منذ عام ١٩١٨ ومجيء الانتداب البريطاني إلى فلسطين .



دلال المغربي



عزرا وإبراهيم



صالحين مجرى

الفلسطينية والمصال الفلسطينية ، وستكون للصفاة الفلسطينية محطة تقف عندها الأجيال العربية المساعدة طويلا ، لتقرأ فيها كيف استطاع الشعب الفلسطيني ، أن يحرر نفسه من الاحتلال ، ثم الانطلاق في أرضه صلبة وعزيمة لا تعرف اللين أو التراجع لتخطى جميع الصعاب المستعصية والعوائق المنيع ، والانطلاق نحو تحرير فلسطين - كل فلسطين ، ورفض هزيمة عام ١٩٤٨ م وأمداداتها وتنسبعتها .

ولسوف تتوقف الأجيال العربية المساعدة أكثر ما تتوقف عند قرامتها لتاريخ اعتباراً من ١٩٦٥-١٩٤٨ ، حين انطلقت الرصاصات الفلسطينية الأولى نحو العدو الصهيوني ، المعتصب للأرض والوطن ، معلنة ميلاد الثورة الفلسطينية بعد سبعة عشر عاما من الفزع والتشريد والعذاب .

في الأول من يناير لسبعة عشر عاما خلت ، استطاع الشعب العربي الفلسطيني ، أن يشرق جدار الضياع والهزيمة والتمزق ، الذي انتصب في وجهه ، وأن يلد بأصقلته وروحه النضالية العالية ، طاهرة فذة في التاريخ العربي المعاصر .. فلقد كانت

لتسجل ملحمة اسطورية في صفحات لتضال العربي الفلسطيني .. فقد وضعت تلك العملية العدو الصهيوني في « حجمة الطيعي » الذي لا تراه سوى العيون الخافية ، كينا هنا ، يضم خليطا متناظرا من البشر المتوسمين عقليا ونفسيا ، يعيشون على ذكرى اساطير بالية ومحتجرة ، ويحملون « بارض لليعاد » من النيل إلى الفرات !!

ولعل أهم النتائج التي اسفرت عنها عملية الشهيد كمال عدوان « على الساحل الفلسطيني بين حيفا وتل أبيب » أنها أثبتت بجدارة وبجرأة ثابرتين ، أن لذارع الفلسطينية التي تناضل من أجل تحرير الأرض ، قادرة على الوصول إلى أية نقطة في أرض فلسطين المحتلة متجاوزة بكفاءة معزوفة النظريات الأممية ، والأحزمية العسكرية من كثرونية وبشرية .

إن بضعة رجال ، تقودهم فتاة ، تمكنوا من اختراق جميع تلك الاحزمية وقوضوا جميع تلك النظريات الأممية ، عندما تمكنوا من الوصول إلى وطنهم ، وإلى مسرح العملية الحاصلة لهم ، ونفذوا المهمة المطلوبة منهم والتي « سافروا » إلى فلسطين من أجل تحفيها .

وقد فعلوا ذلك بوعي من إيمانهم بوطدهم غير عابئين بحسبيلات العدو وزوارقه الحربية وحواجزه المشرية ، وتم لهم في النهاية السيطرة على المنطقة الواقعة ما بين حيفا وتل أبيب في عملية نمت عن تطور في نوعية العمليات الفدائية يومها تصدتت فلسطين واجهة العالم كله ، وعاد إليها لونها النضالي الأصلي عبر وسائل وإجهزة الاعلام العالمية ، ويكفي أنه كان من نتائجها المباشرة أن رئيس حكومة العدو مناحيم بيغن اضطر إلى تاجيل زيارة لواشنطن بسبب فعالية ، كما أن وزير الحزب ائذان « عزيز فليستمان » قطع زيارة للخاصة الاميركية ، وعاد مسرعاً إلى تل أبيب .

بل أن حكومة العدو أعلنت للمرة الأولى في تاريخ الكيان الصهيوني حظر التجول في « اسرائيل » .

تاريخنا المعاصر

عندما يكتب تاريخ العرب المعاصر ، سيفيق المؤرخون طويلا أمام القضية



المحتل من حروب كست

عملية أم القطن التي أشعلت الثورة وأضاعت الطريق

فمن ثورة عام ١٩٣٦ إلى معارك عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، وحتى صدور البلاغ الأول عن العملية الفدائية الأولى في مطلع عام ١٩٦٥ ، إلى معركة الكرامة في عام ١٩٦٨ ، إلى الغزو الصهيوني لقواعد الفدائيين والخيميات الفلسطينية في جنوب لبنان في عام ١٩٧٨ ، إلى معارك تموز (يوليو) الماضي (١٩٨١) في جنوب لبنان وشمال فلسطين المحتلة ، نمت حركة البلقى الوطنى الاصيل للاغتصاب الصهيونى للأرض العربية في طول العالم العربى وعرضه ، في تلاحم وتفاعل مدتهشين مع كفصال الفلسطينى ، مما جعل مرحلة ما بعد عام ١٩٦٥ ، كغلبة بناتاهيل الفصل الفلسطينى والعربى ، لتدخل في مرحلة اعتماد الوعى القومى بالحق القومى فى الفلسطين المحتصة ، وقد جاء الانقلاب العربى حول الثورة الفلسطينى ا ليسهم فى كسب بنابيد قطاعات واسعة فى العالم الخارجى الى جانب الحق العربى ، مما دفع ببعض حلفاء العدو الصهيونى ، الى مراجعة حساباتهم ، وتكوين نظرة أكثر موضوعية عن ذى قبل وأقل انحيازاً ودعماً للمحتلين الصهاينة.

وهكذا يكون مبدأ الكفاح المسلح نفسه - لا غيره - قد ضمن الهوية الحقوقية والشريعة الدولية فى مواجهة الإذاعات للصهيونية ، وإخذ فى الحد من نمو العدو الصهيونى إن لم يكن قد أوقفه فعلا ، كما أسهم فى رزعرة أركان الكيان الصهيونى الذى يثاء العدو وهو يعتقد انه سيكون كياناً أزلياً ، لا تضربه الأمواج ، ولا تهبط عليه الرياح والأعاصير . لقد كان لظاهرة الكفاح المسلح ، أثر واضح فى الثورة انتفاضات داخل الكيان الصهيونى من طائفية وعصرية أثنية ، وكان من نتائج بروز هذه التناقضات أن بدا كل يهودى داخل ذلك الكيان يضع علامة سؤال

قواه فى كل أرض وصنع ، وعزل من فى الداخل عن أخوانهم فى عمق الأرض العربية ، فوجئوا بأن الكفاح الفلسطينى وحده لا تتجزأ ، وأن هذا الكفاح يكتسب يوماً بعد يوم ، مواقع جديدة ، داخل فلسطين المحتصة ، لأنه نابع من عمل تسعى متفاعل ، ونضال بطولى متلاحم ، وهو يشكل بداية مرحلة جديدة من مراحل النضال . وإذا كان لابد من كلمة أخيرة فى الذكرى السابعة عشرة لانتفاضة الثورة الفلسطينى البطلة ، فهى أن الألفاق أمام الأجيال العربية الصاعدة لتحرير فلسطين وتحقيق الأملاح العربية ، قد غابت رحبة وواسعة .

بل أن كل متعمق فى قراءة المعنى العميق للأحداث المتوالية فى مسيرة الصراع العربى - الصهيونى ، يلمس فعلا ، أن الثورة الفلسطينى ببعدها القومى الشامل ، تلف الآن على أبواب مرحلة جديدة مشرقة وأكثر املا فى تحقيق النصر ، وما الهبوط والانحسار اللذين تشهدهما الثورة فى غمرة سيرتها الطويلة ، سوى النذير بنهاية مرحلة ، والانتقال الى مرحلة أكثر تقدما وغنى بالقدرة على الفعل والجسم . وإن يطول الزمن بعد ، حتى تنفجر بدايات المرحلة الجديدة ، والقفزة النوعية الوثابة .

عصام شريح

كبيرة حول مستقبله فى فلسطين المحتصة ، ثم حول مستقبل الصهيونية التى شحنته بالآلوهام المستحيلة . وما بين عام ١٩٦٥ وعام ١٩٨١ ، قطعت لقوة الفلسطينى اتشواظا جديدة فى بقاء كيانها الوطنى ، وفى تنظيم وحشد طاقات الشعب الفلسطينى ، فأعادت نهاء القضية هذا التقلب كنهامى وقضى وسومى عابث . وبعد مد روح القدس والكفاح من جديد ، لتصبح قواته للسلاح ، قوة رئيسية فى الصراع الدائر على الأرض العربية مع الحركة الصهيونية ، كما تمكنت الثورة الفلسطينى من تحقيق استقطاب دولى وعالمى واسع حولها ، واستطاعت فتواجد فى جميع المحافل والمؤتمرات الدولية التى اعترفت بنضالها العادل ، وبالحقائق الوطنية للشعب الفلسطينى وفى طليعتها حقه فى تقرير المصير فوق أرضه وترابه الوطنى .

أما المفاجأة التى كللت إحدى ثمرات كفاح المسلح ، والتى لم تخطر على بال العدو الصهيونى ، فقد كانت انتفاضات المواطنين العرب داخل الأرض المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، بل ودخل الوطن المحتل فى عام ١٩٤٨ ، فقد جاءت الانتفاضات المتلاحقة ضد العدو ، لتكشف عن مدى قوة الثورة الفلسطينى وطول ذراعها لضاربة ، فى الوقت الذى ظن فيه الصهاينة أنهم نجحوا فى تقنيت الشعب الفلسطينى وتجزئته وبعبارة

الإسلام .. أمثمن رأس مال فني الإسلام

قصة أول مدرسة إسلامية في غابات سيراليون

بقلم : عبد العزيز السيد المصري



الحسن للاهلال

حرقهم الصراع السياسي والاقتصادي بين قوى الاستعمار ، وأقام لهم الانجليز مستعمرة سموها « قريتاو » المدينة الحرة .

سيراليون التي الت الي المستعمر الانجليزى ففتح مصاريع اسوانها واسعة للمبشرين الذين تعاقبوا عليها لآكثر من مائة عام وحرم على مسلمي الشمال ان يدخلوها الا متسللين فرادى او رعاة بقر او تحت شعارات صوفية باهتة هتسة .

الافريقية العتيدة ، بدءا من امبراطورية ملى .

سيراليون .. بلد المس ، والاناناس ، ونخل الزيت ، والكسدا ، والكاكوا ، والسعسم ، والفول السوداني .

سيراليون موطن القبائل المتعددة للتبائية اللغات والعادات ، الثمضى ، والمندى والمندنجو ، والفولا ، والكورانجو الخ .

سيراليون مقر الكريول العبيد الذين

سيراليون .. جبل الاسود كما سماها البرتغاليون مستعمروها الاوائل حين نقاهى إلى اسماعهم هزيم الرعود يدوى في صدور الوديان ، وتهوم اصداؤها من وراء الجبال .. فترددوا طويلا قبل ان تقا قدامهم أرضها.

سيراليون هي طرف حزام المد والجزر على شاطئ افريقيا الغربى حيث كانت تتصادم امواج الإسلام مع امواج الوثنية سنين طويلة فى عهد الامبراطوريات



سيراليون بلد جماعة البورو المقدسة
قوثنية والديانات المختلفة المذاهب
ومدارس المبشرين ذات الملل واللغات
للقبيلية، والمساجد التي يخص كل منها
قبيلة ويصطليح كل منها بمذهب صوفي
يتشيع له .

وأخيراً سيراليون البلد الواقع في
حوض غينيا وتبيرا أشبه بحدوة الحظ
على جبين النشاط الغربي لأفريقيا .



كان أول عهدى بها في أواخر عمام
١٩٥٩ م حين أولدت مبعوثاً إلى جماعة
الإخوة الإسلامية .. كنت لا أملك إلا
حماصة الداعية الذي يتوق الى أن يفعل
شيئاً نافعا أي شيء ، ولم تكن لدى
الخلفية التاريخية أو الاجتماعية اللازمة
للتعامل والتكيف مع هذه البيئة الغريبة
فجديدة التي وجدت فيها ، فكل ما قرأته
عنها هو كتاب « سيراليون أو مقبرة
الرجل الأبيض » . كان على أن استمد
معرفة مباشرة من سكانها وأهلها ، كان
على أن أجد الوسيلة لتحدث تلك
لشفاة الصامته وتنتظر اليك بعينين
ثاقبتين تستشف أعمالك وتصل إلى
أغوارك ، فقد تعودت أن تستريح في كل

أن تتحد لأنها لا تريد أن تفتوى تحت
لواء زعامة من قبيلة أخرى ، وعليه أن
يثبت أمام الإحمدية القاديانية التي
ينتشر دعائها ويمتد نفوذها في أوساط
فصاف المتقين من المسلمين ، ثم أمام
نفوذ الفولانية الذين يرون أنفسهم
وحدهم أصحاب هذا الدين وأولياء
شئونه والقائمين على أمره ، لأنه قدم
على أيديهم الى هذه البلاد ، ثم أمام
مجمع الأئمة في « فريتاون » العاصمة
وهو المجمع الذي يرى في الرجل دخيلاً
جاهلاً على مجتمع علماء المسلمين ، ثم
أمام جماعة البورو السرية الوحدية
برصيدها الرهيبة من أساطير السحر
وقدرات « السوكويانا » ساحرها الأعظم
الخارقة التي تثير الخزع في نفس كل
مواطن مهما كان قدره وبلغت لقاقلته .

لقد كان نبأ وصولي لشبه بكارثة
أصابت الرجل .. كيف يتدبر الأمر ؟ ..
كيف سيعود لي مسكنة ؟ .. كيف يرتب
لعملي ونشاطي في إطار قوانين ونظام
للدولة .. كيف وكيف ؟ وماذا يكون الحال
لوصرت إلى ما صار إليه غيري من
الدعاة المتطوعين الذين كثيراً ما قدموا
من صحاري المغرب والجزائر وموريتانيا

غريب .. وكانت جماعة الأخوة الإسلامية
مجرد فكرة واسم دعا إليها رجل صلب من
قبيلة التمتي اسمه الحاج سوري
أبراهيم كانو ، تعلم في مدارس المبشرين
فغبروا اسمه ودينه وهو طفل ، فشق
بهم وخلع كل شيء وعاد لاسمه ودينه .
وصاحب دعاة الإحمدية القاديانية
ليتعلم عنهم الدين والقرآن ، ولكنه رفض
بأصرار عقيدتهم في فتح باب النيسوة
ويبحث نبي مجدد للدين الإسلامي بعد
محمد بن عبد الله خاتم النبيين .. وفي
طريقه الى الحج طلب العون من سفارة
مصر في أكرا .. وكانت حرب أكتوبر سنة
١٩٥٦ وما أن خمد دخلها وعادت
العلاقات السياسية نوعاً ما الى
طبيعتها حتى كنت في طريقى الى
سيراليون .

كأن الرجل فقير يعمل « حزاراً »
وكانت سنة قد كبرت . ولكن حماسه
لديني وتجريته عليّ جعلتني أكتب
لصاحب « كميون » - وأدب صحتي ؟
في تخيل أن يمسد أمام حجرات التبشير
بظلالها اللطيفة والحبلى والمغلى ، وفوقها
في دوائر الحكم اذذاك ، وعليه أن يقاوم
الدعوات الإسلامية القبلية التي ترفض

مدينة - غري تاون ، عاصمة سيراليون التي تطل على أجمل مياه في غرب أفريقيا



من شيوخ الصوفية ، ولم يصمدوا امام
جل الاحادية ومحاورات
للشعرين الافريقيين اللذين ، فتركوا
للطفلة ورحلوا عثمدين .. ان كل ما فعله
سلمو العظم مثلثين في مصر انهم
زسلا هذا المعلم .. على حين ان دولا
لها لقله تدع الجماعات الإسلامية ذات
الصيغة القبلية الانصافية بكل وسائل
لدعم وتمدها بكثير من اسباب القوة ..

الاخوة يرحبون

وبليت في « فريتاون » انتظروا وانتظر
بطل الانتظار حتى دعيت اخيرا الى
مقابلة وفد جاء لزيارتي .. كان وفدا
لا يزيد على عدد اصابع اليد الواحدة
على راسه رجل فاره الطول ذو ابتسامة
خفيفة فيها من الحياء والتواضع ضعف
ما فيها من الغيبة والبهجة ، فقد كانت
هناك سحابة كثيفة تعدم على همد
الابتسامة .. دخلت وسلمت فردوا السلام
وادمشتني طريقتهم في التحية .. كان
فرجل منهم يخلع حذاءه ويتقدم نحوئ
منحنيا واضعا يده اليسرى على لراعه
الايمن مسلما على بيده اليمى . ثم
يتراجع يظهره الى مكانه لا يحول ناظره

عنى .. ثم اعقبت التحية فترة من
الصمت شعرت فيها ان عيونهم تنفذ الى
اعماقى تحول ان تستطلع صورة
لستقبل منهم يرحونه ، ولحلم ملنا
صوروه . وطال الصمت فسالت : هل فيكم
من يتكلم الانجليزية ؟ فاجب الرجل
لفاره الحبي بلغة انجليزية راقية : نعم
.. ولكنهم لا يريدون ان يتكلموا .. انهم
يريدون فقط ان ينظروا إليك .. لقد مل
شوقنا وشوق ابائنا وجدونا الى رؤية
معلم عربى مسلم .. دعهم يملئوا عيونهم
بصورتك ليصفوك الى ذويهم عندما
يعودون .

وكنت هذه بعثة اولها القوم هناك
ليتعرفوا على المعلم القادم ويبدوا رايهم .
ويبدو ان مروتة البعثة حين عادت قد
راق القوم ، وشد ان الحاج سورى كمو
قال ليث ان عاد بعد ايام ليأخذنى معه
إلى « ماموركا » عاصمة الاقليم
الشملى وخاضره مدينة تونكوللى .
وخطر مراكز الاتحاد بين العباد
والنقابات وقدر سحر قسمة التمس
فى المنطقة الحاج ماساها . بيت جديد
لاهمنى قربان له وباسد لحماه
الاخوة الإسلامية .. ورحب بنا اخواننا

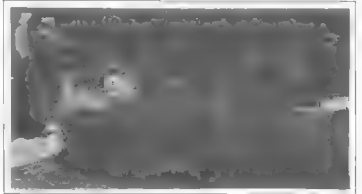
المهاجرون اللبنايون هناك وابدوا من
كرم الترحيب ما يحمد لهم الله والعروبة
وتبرع لخدمتى رجل طيب اسمه مومو
اى محمود وبقيت اياما وليلى طولا
لشبه باولئك المعزولين فى الحجر
قصوى ، لا اؤور ولا ازار ولا ارى بين
الحين والحين سوى الحاج سورى
وبعض الاخوة اللبنايين .. وذات مساء
لرتقى سلم الشرفة الممتدة امام البيت
فيس اقربى يطا الارض باعداد
وتنقل تحوطه مجموعة من المثقفين ..
كل كلامه خشنا على غير المعتاد من
القسولة ، فيه عنف ونهجم ونجريح ،
ورفض ان يشرب تحيتى لانها على حد
تعبيره نوع من الرشوة .. ودار حوار
يتسم بهذوء والصبر والحلم من جانب
لضيف العربى القادم من بعيد ،
ويلفظه والتبجح وابدأ الالفاظ من
اجناب الآخر .. وكان للحكمة – واللى
هى احسن – الكلمة العليا .. وانطفت
سيران كثيرة .. وانكسرت سهام جراحة
عديدة ، وتواضعت رموس شمخت
بالكرياء الكلاب .. وشرب الرجل
تحيتى !!

واصبح الصباح لاجد وفود الناس من
كل مكان فى المنطقة قادمة للترحيب بى
والاستماع إلى .. لقد كان الجميع
يلتفتون انفسهم فى انتظار هذا اللقاء .
كلوا يخشون ان يرحل داعيتهم
كما رحل اخرون .. ولكنه لم يرحل .

الكتاب .. كان البداية

لقد كان الصمت الخامل والقراءة
للمستقبضة عن المنطقة وتاريخها وباسها
وعاداتها ، والاتصاف الواعى لكل ما يقال
وتحليله ووزنه بانق الموازين هو المرحلة
الاولى فى العمل هناك .. وتبرع السيد
يوسف شامل المهاجر اللبناى بخزن
قديم ليتعلم فيه الاطفال اللغة العربية
والدين .. ووضعت فيه دكة بداية ،
واقبل عدد ضخم من البنات والاولاد على

صاحبة من العاصمة . على كل وسط جمال الطبيعة الساحر





للخبر وبدأ الكتاب .. وسألت :
 يكوموا في مدارس ؟ فقلت نعم ..
 يكونوا في مدارس .. لأن تعليم المرحلة
 الأولى كله في يد المبشرين والأحذية
 قندينية ، من دخل هنا خلق دينه
 واسمه وصلته بأسرته ، ومن دخل دينه
 شوهدت عقيدته بفكرة المهدى المنسوبة
 والمسيح الموعود الذي جاء .. وأمن بتبني
 جديد بعد محمد صلى الله عليه وسلم ،
 ومن هنا كان لابد أن تبدأ الخطوة الثانية
 .. لابد من بناء مدرسة .. مدرسة حقيقية
 يتعلم فيها أبناء المسلمين جميع المواد
 التي يتعلمها نظراؤهم في المدارس
 الأخرى إلى جانب اللغة العربية والدين
 الإسلامي . وطرحنا الفكرة ، كما تلقى
 بجد في نهر راكد - أمام مجموعة
 الأخوة الإسلامية المحدودة العدد
 والدخل من عمال وفلاحين وخرفيين ..
 وكان الجواب .. الصمت .. فهم لا يمكنوا
 في أيديهم شيئا ، وليس لهم من يسألهم
 في الدأخل أو الخارج - يعضون
 حسرتهم والمهم في صبر عجيب وإصرار
 على الحفاظ على دين أبائهم هؤلاء
 الذين كان يقرأ خطبهم خطبة الجمعة
 من الديوان المطبوع وهم يؤمنون وراء كل
 كلمة حتى على الدعاء للسلطان الناصر
 قلاوون ، لا يفهم ولا يفهمون شيئا مما
 يقول .. هؤلاء الذين كل الرجل منهم إذا
 مرض يذهب إلى أحد للحجاج فيدفع

ما يستطيع ليأخذ ورقة مطوية صفراء
 من كتف إحياء علوم الدين للفرزالي
 ليضعها على موضع الألم ليشفي ..
 هؤلاء الناس الذين اختلقت العقيدة
 الإسلامية في رؤوس بعض الفواتهم
 .. معلمى الدين - فجعلوا المسيح إلههم
 والتبى محمدا مبعوثه إلى العرب لأنهم
 أدنى من أن يفرغ لهم المسيح نفسه ..
 هؤلاء الناس هم أنفسهم الذين كانوا
 يرفضون أن يدخلوا أبنائهم وبناتهم هذه
 للدارس حفاظا على إسلامهم غير
 ناظرين إلى ما قد يفوتهم من مناصب أو
 ثروة أو جواهر .. لابد من بناء مدرسة لهؤلاء
 الأطفال .. وما السبيل إلى ذلك ؟ لقد
 هدى الله سبيلنا السبيل .. واخترت من
 بين أطفال الكتف خمسة عشر طفلا
 .. خمسة عشر من أبناء الفقراء ..
 .. وأبديت لهم أن يصفوا وسميت
 .. في البيت .. وأعد لهم ربايح
 .. حاشى كفى ..
 .. فرج عاجز - يده - يدي ..
 .. وأتت ..
 .. الحربة وأثر الفقه في رعاية الفخر فرجع
 النبي صلى الله عليه وسلم قدره وتساء
 والثانية عن « بلال » مؤذن الرسول صلى
 الله عليه وسلم وأول أسود يعتنق
 الإسلام .. والثالثة عن « حنيفة » مرضعة
 الرسول صلى الله عليه وسلم التي
 أغناها الله ببركة النبي الفقير .

وكل جهد يفوق الطاقة في التدريب
 على النطق العربي ثم في تمثيل الأدوار
 بعد فهمها فهما تماما ، وما صاحب ذلك من
 فقرات تشرح بعض تعليمات الإسلام ،
 وسور قصار من القرآن الكريم ،
 ومخادلات ميسطة بين الأطفال وأنشيد
 وترجمة ذلك كله إلى الإنجليزية واللغة
 لقلبية المحلية الغالبة وهي التمنى ..
 ويعد شهرين متواصلين أجرت صلته
 العرض في الفندق الوحيد بالمدينة ،
 فندق - آدمز .. وأعددت المسرح بتبني
 مستقيدا من خبرتي أثناء عملي بالدارس
 النموذجية في مصر .. ودعوت إلى الحفل

صفوة قليلة من أعيان المدينة وعلى
 رأسهم المحافظ وشيخ قبيلة التمسى في
 المدينة .. وبدأ الحفل بتلاوة طفل لأيات
 من القرآن الكريم ، ثم أعقبت التلاوة
 محادثة بين طفلين بالإنجليزية أولا عن
 معنى الأيات التي تليت ، ثم محادثة
 بلغنى .. عجب .. أن في استطاعه طفل
 عادي أن يفهم القرآن الكريم .. هذا الطفل
 الأفريقي الصغير يفهم ما يتلو .. لا يعرف
 بكلمات لا حس فيها ولا فكر .. أن العلوب
 تستطيع - إذن - أن تتصل بنبع القرآن
 الألهى مباشرة لتستضيء وتتجدد .. أن
 تلك معنى أن المسجد لن يعود آخر مكان
 تسمع فيه شيئا يفهم كما يقول أعداء
 الإسلام .. وأندفع بعض الحاضرين في
 حملة شديدة والدموع تسيل على
 جودهم يخطفون الممثلين من فوق
 المسرح ويدسون في أيديهم بعض المال ..
 وتكرر المشهد .. فاقترح أحد الحاضرين
 أن يوضع طبق كبير على جانب المسرح
 من أراد أن يدفع لهؤلاء الأطفال شيئا
 يضعه في الطبق ليكون ثوابه لبناء
 مدرسة يمتون تعليمهم فيها . وانتهت
 الحفلة بمبلغ من التبرعات لا بأس به
 تجمع في الطبق ، ولجسنا غامر
 بالعبطة والسعادة والفخر يملأ جوانب
 كل أفريقي شاهد هذا الحفل الصغير ..
 ويتنازل - آدمز - صاحب الفندق عن أجر
 الصالة تبرعا منه واظهاره لأعجابه بهذا
 العمل الذي سماه معجزة .. لقد كان
 أحديا قندينيا ولكنته كان أفريقيا مسلما
 قبل كل شيء .

وجاء دور المدرسة

ومضت ثلاث ساعات من نهار اليوم
 قتلى .. وجامتى الحاج سورى متاهلا
 لأمع الوجه ومعه رسول مدير التربية
 والتعليم في الأقليم يرجو أن يعاد تقديم
 الحفل على مسرح كلية المعلمين استجابة
 لألحاح جماهير المسلمين .. وأقيم الحفل
 مرة أخرى بعد ثلاثة أيام وسط خضم
 زاهر من المشاهدين .. وتضاعف قدر

صناعة الأبواب والمقاعد والأدراج وجميع لوازم المدرسة الخشبية .. ثم بيعت الاختشاب الباقية وجذور الأشجار ليسهم ثمنها في شراء المواد الحديدية والزجاج وجمالونات الحديد والزنك لتغطية سقف المدرسة .. كان المشتركون جميعا يتعاملون البناء قبل هبوطهم من قتل مع غروب الشمس ليملاؤوا عيونهم للتعبية بمنظر حبات العرق التي تتحول إلى جدران صلبة من الأسمنت .. اعرف فلما منهم كانوا لا يجدون ما يأكلون وكانوا يتعطفون عن ذكر ذلك .. ولكن الأعيان كان يفضحهم بعد يوم طويل من العمل .. وكمن نطقت قلبي لما حين سقط أحد الألفوات « معلمى القرآن » فلقد الوعى .. ثم علمت بعد جهد جهيد انه لم يتناول طعاما منذ يومين .

وتم بناء المدرسة .. لم ينقף عليها أغلى من الجهد المخلص الصارق .. وكل ما أنفق عليها من أموال كان لشراء ما لم يكن صنعه في طوق العاملين فنياً /تكنولوجيا/ وقام أطفال المدرسة الكبار بطلاء جدرانها بالجير في تعاون ونظام تنبه بما فعله أبائهم .. وحدثت نفس القنلا : لا يعيد هذا الحدث إلى الذين ما حدث عند بناء أول مسجد في الإسلام ؟ إن معجزة الإيمان هي في هذه القوة الخالبة المبدعة التي تبني وتخلق فتضع كيانها فيما تفعل فتصير هي نفسها ذلك الصرح الشامخ الذي شيدت تراه فترى كل الوجود المستبشرة والأذرع للضمائر والظلوب القابضة بجملة الإيمان والغيرة عليه .. اننى اذكر مئات الاسماء التي أسهمت بآثراتها المعروفة للخالقة في هذا العمل .. ولا انسى فرحتهم وهم يستقبلون أبناءهم بالأغلى وهم قادمون إلى مدرستهم يحملون ما يصلح من أثاث كتاب « مخازن يوسف شامل » جزء الله أحسن الجزء » صاعدين الذل إلى أول مدرسة حديثة بنيت في سيراليون للمسلمين ، مدرسة الأخوة الإسلامية بمجمبوكا .

عبد العزيز السيد المصري



الذالى يعالجون الرضى بلوراق من كتاب

الأحراش والأشجار وتنظيف المكان ، لو إلى كل مسلم لديه الزراعة أمضها الله يومين ليسمى ذلك كثيراً من مصاعب العمل .. القيت الفكرة .. فاحتضنتها الأرض الطبية .. وتفتحت الاجتماعات من مساء إلى مساء باؤدت صياح متتو جميل .. صليت صلوته في صلاة التراويح بحلقى لاسي ، دوليس كسند جذور قلل في أول معارك الإيمان ضد الضعف والعجز .. ومرت الأيام ، ونفذ وجه الأرض الأحمر يتكشف من وراء غطاء الخضرة الكثيف .. وبيت قمة التل الأرجوانية كانها تاج يتوهج تحت أشعة شمس الغروب .. واستلقت الأشجار الضخمة هنا وهناك على جوانب الأرض الحمراء . ووصع نصميم لبناء المدرسة وخطط للأساس .. واستقرت نظرة على كوام الجنود الضخمة . ونساعل صوت خلف متامل إلا يمكن الاستفادة من هذه الجنود ؟ واجاب صوت خبير من بين أعضاء الجماعة : نعم .. انها صنف جيد من الخشب .. كيف ؟ .. هي استطاعة الذين اقتلعوها أن يحولوها إلى ألواح خشب إذا وفرنا لهم الماكينات وتحوالت الكتل بعد أسابيع إلى صفوف مترابطة جميلة من ألواح الخشب .. وما أن ارتفعت جدران المدرسة حتى بدأ التجارون من أعضاء الجماعة الذين تبرعوا بجزء من اجرهم للمدرسة ..

اقتبرعات كثيراً .. وظهرت وجوه جديدة في صفوف جماعة الأخوة الإسلامية ، وتبرع بعض البنانيين المهاجرين من سكان مجبوراكا ولونيشار - موكيني ويو وصفد وغيرها بكرم وسخاء ، ونسابت المياد إلى دعوتنا وانتقلنا بفرقتنا المسرحية من مدينة إلى أخرى ، وفي كل مكان نذهب إليه يؤسس فرع لجماعة الأخوة الإسلامية ويزداد التبرع .. لبناء أول مدرسة إسلامية ابتدائية لتعليم أبناء المسلمين « غير الأحمدية » وفق أحدث المناهج بالإضافة إلى تعليم اللغة العربية والدين الإسلامى .. وعقدت أول جمعية عمومية لجماعة الأخوة الإسلامية واختير الحاج سوري كاتو بالاجماع رئيسا دائما للجماعة يعاونه مجلس استشارى ، وتسابق الأئمة وأعيان المسلمين إلى اعلان انضمامهم إلى جماعة الأخوة الإسلامية .. وكان علينا أن نختار مكانا للمدرسة .. ولم تفل الحيرة فالد اخذ الحاج مجلسنا شيخا لعمنية بالمنطقة بيدي ذات يوم ونشئ في تل ضخم يطل على مشرف المدينة وقال : اترى هذا التل ؟ قلت : نعم . قال : لقد نمرعت به لجماعة الأخوة الإسلامية لتقيم عليه مدرستها . وكانت مفاجأة كبرى من رجل كبير .. ودهشنا لرى المكان على طبيعته .. وكان حرسا بصعب لفظا إليه تملؤه الأشجار الضخمة التي يعجز عن تطويق جذعها أربعة رجال .. كان علينا أن ننقى الأرض من الأحراش وأن نقطع هذه الأشجار الباسقة ونقلع جذورها من الأرض الصلبة ، ونظفنا إلى ما في أيدينا من مال .. وأرجعنا البصر مرات إلى الأحراش القلعة امامنا ثم ترجعنا وكل منا يطحن في رأسه ملايين الأفكار .

وفي المساء كل في المسجد اجتماع بعد صلاة العشاء .. ويسمع الناس .. حقا نحن فقراء .. ولكن لابد أن هي استطاعتنا عمل شيء .. بذل جهد ما .. نستطيع أن نوفر الكثير من التلقات .. لو أن كل مسلم تبرع لله باسبوع عمل من أجل بناء هذه المدرسة لاستطعنا اقتلاع

● وما أكثرهم هؤلاء الناس الذين هم في طريقى ، أو أنسى في طريقهم ' واحد من هؤلاء كنت أؤزده في منجره . كان متفخاً كاتلاووس أو كديك الحشش - اللهم زه وبارك - مع كل كرش الوجاهة وفروش العسى الفاحش : وطوال ساعة كاملة ، راح حضرتة بحدتى عن الانسانية المعقدة ، وواجب كل واحد منا في تخفيف الام الآخرين من حولنا . واملنا باعتزاز له ما من احد مخلص في هذه الدنيا الخالدة ، واكثرت فيه نخوته . ووعيه الانساني الفريد ، في رص مانت الرحمة في قلوب الناس . وسجلت المادة كل النقم أو تكاد ، وهما كنت مستغرقاً في سماع درره واستحسن مشاعره ، وفه في بابه سائل يرجوه عوناً من مال الله ، فما كان من صاحبنا المنتخخ الاوراج والمحفظة . إلا ان قل له بلطف وحنان : (روح يا بني ، الله بيعتلك ...) !

● ● ●

- لي قريبة عجيبة ، راحت تشكو لي كثرة الكذب على السفة اسمائها وبساتها . وسألتني حائرة : كيف السبيل الى انقاذهم من هذه العادة السيئة باستاذ . وتساءل (الاستاذ ..) الذي هو محسوبيكم . لاند ان فى الامر سر . او سبياً ؟ قالت : ماذا تعنى يا بني ؟ قلت : - اعنى من شايه امه ما ظلم ... !
- لتدرون لماذا ... ؟

لانتها عادات ان تطلب من ابنتها الصبية مثلاً ، ان تقول لجارتها اذا طرقت عليها الباب اسم من منور موجودة في البيت أو سر على التليفون قائلة - بحسب تعليمات الام المرسلة لك - اسمي رحت عن احياطة . وكذلك الولد وولد الولد . حتى يفسدوا في في الكذب حتى على امهم ..
فهي يوه - تقول قريبتنا - عانت ، منته مباحرة حدا عن ميعاد عوبتها من المدرسة ولما سألني تحفيها - ان كنت يا بنيت ؟ احسها مهدوء وثقة : رحت مع صديقتي لاعد الحياطة . يا سباب !

● ● ●

- هي زميلة صحافية ، تعمل في مجلة نسائية ، وبالأذات في حل المشكلات العطفية والاجتماعية لغيره . وهل محجوب إذا قلت لكم ، إنني ما ذهبت مرة لزيارتها في منزلها ، إلا ووجدتها باكية شاكية مما تعاني من مشاكل لها أول وليس لها آخر ، مع زوجها ومع اولادها وحتى مع جيرانها واقاربها ... وسألتني مؤخراً : ماذا تقول في مشاكلي ..؟ اجبتها ضاحكاً (طيب يداوي الناس وهو غليل ...) !

● ● ●

- تزوجا عن حب ، على اساس ان يكون التفاهم عشهما والتعاون ثروتهم والحب زادهما في الحياة كي يتعلبا على مصاعبها وعلائها ومسؤولياتها . وبعدما رزقا بباكورة (السعادة) وتكاثرت المشاكل اليومية من حولهما ، دب الخصام محل الوثام . وصار كل منهما يلعن اليوم الذي قاده الى (القفص الحديدي) وكان اسمه (القفص الذهبي) . وراح كيوييد بفقهه شامتاً وهو يصوب سهامه الى ناحية اخرى !

■ ■ ■

- من متقلصات الاسماء . ان انساناً ما يكون اسمه (كريم) وهو من بخلاء الجاحظ . او امين واساعة الانتمان فلسفته . او حليم والعصب بين عتيه . او ناجح وهو راسب مرم في تعليمه . او امين وهو عسر يكتب باليسرى . او يكون اسمها جميلة . وهي تقول للفتح : قم اجلس مطرحك واخيراً .. لي صديق اسمه (رصين) ، وهو ضارب طبله في فرقة موسيقية ...

- ويعد ، هل تصدق .. لقد رالت اعنى يلقود ميصراً . كان الميصر ، اعنى بصيرة .. سلامة بصانركم قبل ابصاركم .. !!

ناس في طريقي!

عبدالله الشيتي
بكويت

حسني شحادة

● استشهد المناضل
الفلسطيني ماجد أبو شرار
في الغربية
بتاريخ ٩ أكتوبر ١٩٨١ ●

ليس بالسياسة وحدھا.. يحيا المناضل

الفن .. لـ
دور ورسالة

للمناضل الشهيد ماجد أبو شرار



ولكن الأعمال ليست سواسية كلها ،
بعضها يضيء ولا أثر له ،
وبعضها قوى يوجه الأحداث ،
فلا عجب أن تجيء الأعمال متفاوتة الأثر
والقيمة ، متباينة الخصوبة والثمر ،
فالأعمال التي تتلعب أيامها على وشيرة
واحدة ، كأنها يوم واحد مكرر ،
تمضي وكأنها لم تكن شيئا مذكورا ،
أما الأعمال التي تجيء أيامها تقالا
بأحجامها ،
تمضي ، تترك وراءها أثرا كبيرا على وجه
الزمان ،
ويرثا غريضا تلاحر مه الأجيال ،
فتنسم العصر بفعلها ،
وأصابعها يصنعون الحضارات ،

الحياة ، لأن أصداء الثلاثة ستخلق اسماع
الأجيال ، امتدادا في صميم الذات ، لتحقيق
الهدف ، لذلك وهبتها عيوننا قدرة على رؤية
قصص الآتي ، فقد انتظم المهر الهادر الذي
أنت ومن سبقوك من الشهداء ، دقات من
منعته الماهر .

العمل لحظة في مدى الزمان ، قد تطول وقد
تقصر ،
طريق نُسلكها الأجيال وتتوالى عنها
الأجيال ،
هنا موقف من مداه وعرض أحلامها ،
كقصيدة حسن معناها ، وجسم أيقاعها ،
مطبعة طعانه ، وببب تصدد سبيل وعزم ،
ومقطعه الأخير حكمة الأيام ،

تضامحت أرض الإسراء والمعراج مقدسيها
في عبيبه ، مع كل خطوة خطاها بعيدا عن
جبال الخليل ، وأشجار الجليل ، وبيهار مثل
لصبيح ، وشامسة غرزة الذهبية ، كل يرقب
مجمة الأصباح ، التي أمس إيمانا صائقا ، أنها
ستطلع عليه يوما ، وهو بين أحضان « دورا »
سبط رأسه .

« أيتها الفارس الشجاع ، ركبت في لحظة
شعاع الصبح المسافر إلى روما ، لتكتب بآخر
قطرة من دمك للفلسطين ، لتصبح يا صديق
أصبا ، ورفيق العمر . اسما وذكرى . لتصبح
مستشهدك فجرا يقهر الصهيونية ، ويورد
لعرة ، لمحرير الأرض . وفقدو « ماجد »
أبو شرار « بطلا من أبطال التحرير .
إن استشهدك ، اكتمال النضج ، وتنويع

ليس بالسياسة وعدتها بغير المناضل



الى غد أشهد سواداً .. هنا .. كانت ملا جذور .. بلا
دعائم .. ملا أهل .. ولكني يوماً ساعد .. لأن
شمس مدينتي مازالت تلمع في البحر ..

التبني والسلاح :

مكمل البطل، قصة مهداة الى روح البطل
ببراهيم ابو دية، القائد الفلسطيني في ثورة
١٩٣٦، وقد نشرت عام ١٩٦٧، فيها يتحسس
طريق الجهاد ويتمسح لرب المناضل يقول :

قلقة اولئك الذين يعلنون أن العاصفة وشيكة
وسأنتي مريخة عبدة ملحة .. اما الكثرة فقد
استسلموا لراحة لا لذة فيها .. منهم من يعلمون
في اراحة سيعبها تعب .. أي تعب ..

سلة التبر، قسمة النساء المجاهدات .. اللاتي
كان يران المجاهدين في الجبال والوديان
والكهوف للثقل والمشب والسلاح ..

تدور أحداث هذه القصة عن فتاة تحمل سلة
في اللبن تعرضت لثناء سيرها لأنواع من عنت
وصاف الجحود المحتلين .. ولكنها تمكنت من
إكمال سيرها .. ممرجة الى مغارة الرجال
المجاهدين .. وكانت المغارة .. قسماً .. أحدهما
تحتوي الجنود المحتل .. والاخرى .. لها لا
تحتوي تمياً ولكنها تحمل ذخيرة وسلاح .. تمكن
به المجاهدون من اصطحاب حمود المحتل ..

عقول الرجال تقول لا

الزنجية، قصة ملية بالبر ، ذات مرام
وابعاد عميقة في النفس ، يحس قارئها أنه يجول
في صحراء .. يبحث فيها عن طلال ولما .. ولكن
لا أدري لماذا ولعت يدي عليها ، لأنه أورد هذا
القطيع .. متحدثاً الى تعلق الزنجية التي أنزعجت
مرافقتها له في غريته ، فأيما أنجه بصره يرى
التأمل يربو اليه بعينين واسعتي الحدقتين ..
فيقول :

والشي .. أن استيقظ ذات صباح فاجد نفسي
ميتاً .. وحتى اذا مت .. هل سموت الحياة ؟
يحزن الرجال تقول لا .. ولنا القول الحياة لا
تموت ..

وفي قصة « الشمس تنوب » يحكي ماجد ابو
شرار .. جدياً عن أحداث حياته الخاصة .. من
حيث الزمان والمكان .. ولعلها قصة حب شريفة
عاشها الشهيد ، مع بطلة قصة « عريب » .. وكيف
فضي العدو الصهيوني على جمال هذا الحب ..
● يقول ماجد :

« تعود لعمدة الدخيل تنصت فوق بيوت
غزة من جديد .. ولشد « عريب » إلى بقوة ..

لشهيد ماجد ابو شرار

فواسع وفكره المستقلة .. التي تدم عن
لرضية ثقافية واسعة .. جعلت مدرس اللغة

العربية يجب بكتباته .. ويكلفه بفراستها ..
ملقاء معبر ومبرات مؤثرة ..

بعد أنهاء مرحلة الدراسة الثانوية ، توجه
الى جامعة الإسكندرية لدراسة الحقوق .. وعاد
ليعمل مدرساً في مدرسة ربح للجاليين
للفلسطينيين ، حيث ترك مصلته على زملائه
وتلاميذه

حكاية .. حبل

وكان الشرف الذي نال من شرف
حمار بعد « ختمه » وفي وقت كان الحمار
لحمار الزينة سلة حمار .. تروي « نسمة »

بملامح خروجه .. وحسن طبعه من معسر
في ذاته .. فتلى عدداً من القصص القصيرة .. في
مجلة « الأدب » البيروتية ، وفي مجلة « الآفاق »
الجديدة .. المقدسية ، وبين مطبوعاتها .. يوجد
المحتوى الكامن في نفسه .. عشق فلسطين ..
وتعديد إبطائها .. والعمل لتحريرها ..

قصة « حكاية الرجل » .. قصة فيها وجد وطم
فيها استنهاض الهمم .. ذوي يكاء على أمثال
دوست .. بل رسم لحكم بالية .. وتعبيد لدرج
العودة .. بأسلوب دمر روع .. يكون في مقدمته
كانت في مدينته لها بحر تلمع فيه الشمس كل
مساء .. كانت لها أبنية متواضعة تأخذ شكلها
تحت السماء الزرقاء .. فلا تطول لتنتطح الفضاء
حول مدينتي مزارع .. وسد كفت تلال رمل لها لون
أشقر .. حول مدينتي كانت تتمايز ببقرات يرتقل
لثملها مذاق متعش .. وإزهارها رائحة عطرة
كان في في مدينتي بيت يقوم عند آخر انحدار
للتن الراملي الأشقر .. الذي كان يحرس المدخل
الشرقي لمدينتي ..

عمرى تسعة وثلاثون عاماً .. ولنا الآن في
مدينته لها بحر .. معه للشمس تولد كل صباح .. تلك
لها بحر فيه الشمس تلمع .. وهذه لها بحر منه
الشمس تولد .. كان هناك لي بيت وأرض .. وهناك لي
بيت بلا أرض .. هناك .. كان لي ماض .. ولنا هناك
ملص .. يومياً بطلاقة سوداء .. تسلمتني بعدة وترق

ويكتبون بمدامهم التاريخ ..
فيعينون مع الدهور لعلما ..
ماجد ابو شرار .. علم مضي .. قدمه
تنبؤده العزم على التحرير .. ومن وراءه
الإسقاط يكملون الدرب الذي عليه سار ..

المطلقة الشخصية

● فمن هو ماجد ابو شرار ؟
مفاته الشخصية تقول
الاسم : ماجد محمد عبد الفخر ابو شرار ..
النسبة : فلسطيني
المولد : « دورا » من أعمال خليل الرحمن ..
الحالة الاجتماعية : متزوج .. وابناءه :
« بسلا » واسماء .. وعزه .. ودالية ..

الديانة : الإسلام
المهنة : في حركة دؤوب : - مدرس في
مدرسة رفح .. - لبيب يكتب القصة في مجلة
« الآفاق الجديد » المقدسية - صحفي في
صحيفة « الأيام » السعودية - رائد من رؤاد
حركة فتح - مسئول الاعلام الفلسطيني
للوجد ..

- عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتبة
والصحفيين الفلسطينيين - عضو المجلس
للمركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية - عضو
للمجلس الوطني الفلسطيني - عضو القيادة
العليا للعمل في الوطن المحتل - عضو اللجنة
للمركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني
« فتح » ..

في البدء كانت اللغة العربية

دأ كما يبدأ الناشئة في فلسطين ، رافق
لياه في عمله منتقلا في مدينته وإقراها .. حتى
تنتقيا في غرة هنتم جيران منزل ورملاء
تراسة .. في مدرسة الإمام الشافعي الثانوية ..
في المدرسة كان مفعماً وبشخصية قوية يمشه
محلفته موضع المحبة والإحترام من لتعلمين
والطلاب ..

هو الحركة الكشفية .. حتى وصل رتبة
قائد .. وله في هذا المجال أنشطة وحكايات ..
كان يقف بالمستمرار فلماذا يملك حوله جميع
الكتائبيين .. متعاوناً .. متحملاً لكل مسؤولية
ويقوم بأى عمل ..
في الدراسة .. كان متفوقاً في اللغة العربية
وخاصة في الإنشاء .. حيث تتجلى رؤاه وحيله

والفعليل تتذكر ، والحياة تخفي في الشوارع ،
اعتمد الدخان تقارب .. تقارب .. الدخان
نركمى ... والحياة في جفسي تختصر ، سسل
جار لوج يسيل في سقاي اليسرى .. والدخان
اللون يلفني ... عياني تتجلى بلهفة وجفوني عن
مور .. أي نور ... يدي تصدم جسد غريب ... إنه
هدهي مزيح .. أيد فريفة تشحب الجسد من
جفسي ... ويرفقي ترافعي ... ويحرك يدي في
راسي .. إنها تدوب .. تدوب .. إنها النهاية !

فلق وراء الهاتف

قصة أخرى تصور لاساءة الفلسطينية ..
عائلة من بكاء هجرت ملها .. واستشهد رب
العائلة .. ليترك زوجة وخمس منات .. وتشتكي
لم سرووم في تربية مناتها .. وتكثر سجاج
وتتخرج من الحانوية .. لتعمل في إدارة الهاتف ..
وتنتفض الأسرة يرانين ، سجاج .. ولكن
الاعتناش لم يدم .. فقد تم بناء عمارة المسم
الأي .. واستغلت الإدارة عن كل المعاملات وعد
انشاء ..

إن تصوير ماجد في قصته ومعلم قصصه ..
تصوير يكشف عن علم لاساءة .. مأساة الهجرة
والجوع .. هذه المأساة التي حوت في نفسه
الآلية جرحاً عميقاً .. هفت فلسطين إغنية ..
ومنها وقراها شدة .. وسهلها وجيلها وجرها
وسرتها واستيقظها أحسن وأحسن جمال عده ..
لذلك أصبح تحريرها محور حياته .. أصبح هدفه
ويعتد

فلون ماجد

ربها من يافا .. وأسفا سجاج .. زهرة ندية
رامعة .. سنت في مناح رائع وفي بلد جميل ..
سواء غطاء أزرق .. وأرضه بساط أخضر .. والكل
له سعيد .. سعادة ساطعة الهاديء تدفقه كل
حين موجة عذبة لبحر خير .. وتمتد في ألفة
عسمة لتنفك الرمرة .. وتبقى بها لفسوة ..
واستهتر إلى صحراء .. بلا ماء ولا ضلال .. وتمد
لك اليوم .. والزهرة تعيش باوراق زائلة .. تدور
رائحة ولا شذى .. حبيسة رص جفلة ومناح
فلس ..

وامهار الجدار :

هذه القصة على نحو جديد .. كنا نعلم في
لخصص .. ذكريات جميلة .. وإوصافاً بدعية ..
رأسه حب .. ولحظة سعادة .. يسرقها خلسة من
بين المسطور .. ولكن في هذه القصة عبر فيها عن

نهاية الصبر .. وغلبة الضيق ... يريد أن يصنع
شيئاً ... يريد أن يشارك بإيجالية ... يريد
مخرجاً ..

يقول :

«عيش انا التجربة .. التجربة التي نعرفها
.. نعرفها كى .. ولكننا لم نلق بها ابد .. ان
.. سالتني بها .. انحلت مهام طالت ... فلن اعجز ..
ويكون اللقاء ..

ثم يورد هذا المقطع وكأنه يحدث احداً :

يا ماجد

.....

الم نكل منذ البداية إنك لن تستسلم ؟

.....

سألتني أنا من الزنانة ... وسأصل إلى
القرار :

● ●

لقد شعرت بعد قرأتها ما نظره بهاجد ..
فصص .. أن خطاً واحداً يمتلك هذه الفصص
.. شي لا يخلو من حيلته .. فهو التمسك ..
والتمسك بها .. التمسك بتعليمها
عميل يس الحيلة أن تكونت إليها التمسك ..
إن فخص ماجد .. فخص يتم عن فكر
مستقبلي .. ينفذ إلى الطبيعة الخمار الذي يتحرك
يبتعد إلى جوهر المساة .. وتجسدها قصصه
شمير .. ووجود .. ومصير .. وليست ابداعاً لفظياً
أو مثلاً خطياً انياً .. بل هي تحفة غير مائترة
للوعى القومى .. حتى أن للتعبع لما كتبه ماجد في
تلك الفترة .. يلحق انه يعبر عن التحديات التي
تتعلق بها أعماق اللاجئين الفلسطينيين ، الذين
كانوا يهاجرون الأم التمزق والانفصال .. هي رمزية
غير مبهمه أو غامضة .. تنسم ببراعة التكتيك ،
وعمق الرؤية ، وتحديد الهدف .

لقد كان بهاجد .. من هذا النمط من المظففين ،
الذين نكرهمهم مفاهيم الثقافة ومسيرها الحي ،
فتدخل أجسام حاملها وتسر في كل شريط وفي
كل نضج حياة في أجسامهم المتعبة المثقلة بمجوم
البشر .. وسعادتهم وقصائلهم .

عاجد الصحفى

لعل ثقافته العريضة ، وطموحاته الكبيرة ، لم
يستطع إبراها من خلال كتاباته الأدبية ، فواج
الى علم الصحافة الرحيب حيث بدأ ينشر فكره
نظم بارع وأسلوب مبدع ، يعرض واضح ،
ومحاسن ظاهر ، يومنا نجد أن انفعال ، لم يترك

لغزاهم القوار .

ولكنه لم يستمر كثيراً ، لأن نداء الواجب كالم
القوى ، وكانت حركة التحرر الوطنى الفلسطينى
فتح تمنع اكتماله .

الجهاد هو الطريق

وكما يتفلسف فجر ، كذلك تحركت اضلاع
شعب كامل ، الشعب الفلسطينى ، لتفتح في
الفتح من يناير ١٩٦٥ ثورة .
وكان ماجد من الطليعة ، ملقاً فلسطينياً
التمزق بالثورة منذ انطلاقتها ، فعلن من اجلها ،
حياته وابنيه وعمره ، عندما تعطلت الكلمة
باعتداده . تعلق هذه حقوق شعب فلسطين ،
وهذه أرض فلسطين ، وطريق الجهاد في سبيل
الله هو الطريق .

ماجد الأدب الثلث . وصحبه من أرباب الكلمة
المقاتلة ، ساروا على الطريق ، بوجوه سمراء
لحناها هجرة الهجرة ، فماتت الألبان التجربية
والوعى ، تدفعها لعزيمة ، ويحدها التصميم ،
اضطلع ماجد بالأعلام الثورية ، وكان الإعلام
عنده ، علاقة مع البشر ومع العلون ومع الأفكار ،
وكان دائما يحرص على أن يقدم الثورة
الفلسطينية في إطار كلمة والموقف وحرية
اسمير .

وكم عانى ماجد دون أن يياس ، ودون أن يهرب
بل قل وألفا ، صفحا ، فكلم كان يلقى ، ولكنه قلق
للقلق الملزم الذي يريد تصحيح الاخطاء
وتجاوز العقبات

على الرغم من أسوة الواقع وطروقه القاهرة ،
لم يعتر ماجد ياس ولم يصبه مرض المخفقين ،
لأن الثقافة عنده ليست هروياً ولا راحة ولا جلسة
كتاب ، إنما هي كتاب وقلم وفكر في قلب الواقع
الحي .

لذلك كان ماجد ابو شرار خطيرا ، وكانت
اسرائيل تعرف مدى خطورته ، كوجه ثقافى ملزم
في صفوف الثورة الفلسطينية من جنة ، وكوجه
ثقافى عرس معروف في الأوساط الثقافية العليا
من خلال القاءات والندوات والمؤتمرات ، فصبحت
جام حقدتها الآن هاس الاسود عليه ، فغيرت له
قلعة رسما ، التي هجرت هذا الجسم المظلل
طعساها النضك ، وعمق الإيمان ، ولئن كان
استشهاده رحمه الله غليبا لجسم ماجد
ابو شرار ، فإن إبتسامته وفكره وثقافته وفوريته
سوف تبقى شعاعا ساطعا في دروب الجهاد حتى
البحر .

حسنى شجاعة

حكاية الرحيل

قصة بقم، الشهيد ماجد أبو شراز

كانت تجمعنا مادية الأطفال التي
كانت تكون في ايام الصيف تحت
اغصان شجرة الجوافة الضخمة والتي
كانت والدتي دوماً تتحسس اغصانها
بتمهل وتامل وتهمس :

— لقد زرعا المرحوم يوم نزلنا هذا
المنزل .. كان كل ما يتمناه ان يملك بيتا ..
جد واجتهد وبني البيت وزرع الحديقة ..
لكنه وبيا حسرتي لم ياكل من ثمارها ..
وتهمس (عطاف) اكبر شقيقتي
والتي كانت لها كل ملامح امي :

— زرعوا فاكلنا ، ونزرع فياكلون .
وتعود والدتي لتهمس وحبات دمع
تكاد تتساقط بحفلة مع شواطئ عينيها :
— فيكم الخير يا ابنتي وامل الله في
اعماركم ..

ونتهض اختي (امل) وتلفف حبات
الجوافة اللينة بالمدى وتضعها في طبق
فتسارع إلى تناولها منهم وتلذذ وعيونها
تتحاشي ان تلتقي مع عيون والدة التي
امتعت عن تناول حبات الجوافة منذ ان
حرم منها الذي غرسها وجعل منها
اغصان عطاء وخير .. وينصرف كل فرد
من عائلتي الى عمله . (عطاف) تبقى في
البيت و (احمد) يركب دراجته متوجها
إلى مدرسته و (امل) من خلفه تصيح
وترجوه ان يركبها خلفه فيلفف قليلا
ليومعها بانه ينتظرها حتى اذا ما كانت
لنركه يتركها مبتعدا فتنضرب الأرض
بقدمها الصغيرة وتتوجه هي الأخرى
إلى المدرسة .

كنت في تلك الأيام أعمل مدرسا في
للدرسة الثانوية الوحيدة في المدينة
وكل من طلاب كنت أرى الأمل في البعد
الرجوع بفتح في صفاء عيونهم بسايتين
نبه وحياة .

كنت أرى فيهم كلهم أحسن ،
فيرد أحسن لهم ويتضاعف جهودي من
أجلهم .. كان كل ما حولك يدعوك لأن
تعمل وتعمل دون إبطاء أو تأكل .. وكذلك
كنت أطمع في غد مترق وكنت أعلم ان
هذا الغد لن يكون إلا اذا شاركني كل من
حولي في بئانه . كنت سعيدا . سعيدة
عازمة قوية لا حدود لها .. شيء واحد كان
يحاول ان يحد من صفاء سعادتني .. أمل
عزيز كان يحزن على أمي الا تحلقه قبل ان
تغلبنا لتلحق بالذي زرع شجرة
الجوافة .. قبل ان اتام وهي بعض
الاسميات كانت تجلس على طرف

زجاج عرفتني بعد ان تسمح آخر الناس
الذين هم قرباء لوالدتي الأسير مالح
عمو .. وعجبت بدعه وسهط فسلط
لاستقبل يوما جديدا من عمر كنت أحبه
.. كان البرزخ في يومي أشد انتماسا
رضي طفل من شفتي أمي .. كانت سمعتها
برعم زهرة يرتقل فيه عطاء وله شذى
طيب . كنت أتمنى وجه أمي المجدد
لشيمعي اللامع فأرى فيه كل معاني
الخير والحب والإخلاص .. كانت تحبنا
وكننا نحبها كانت في البدء تود ان تقللني
كل صباح كما تفعل مع شقيقاتي وشقيقي
.. لكنني رفضت فقطعت جبينها ثم فررت
ونتهدت ، فهمست بحس :

— أماه .. بسمتك برعم زهرة يرتقل
فيه عطاء وله شذى طيب وأنا لا أريد لهذا
البرعم ألا أن يظل بكرا نضرا ندبا .. لا
أريد أن تاتر النوم التي تطيع وجهي كل
صباح أن تذبيل البرعم وتفقده نضارته ..
أريده بكرا وبكرا دوما ..
ويزداد البرعم تفتحا ونضارة وترتبت
بكتفا الطرى على كتفي وتهمس بصنق
وحارة .

وفيك الله يا محمد ومنحك كل ما عنده
من خير وهناء ..

كانت لي مدينة لها بحر تنام فيه
لشمس كل مساء .. كانت لها ابنيّة
متواضعة تأخذ مكانها تحت السماء
لترزاق فلا تتطاول لتنتطح السماء
بحجارتها وأعمدتها .. حول مدينتي
كانت مزارع ، ومنذ الأزل ، كانت تلال رمل
لها لون اشقر .. حول مدينتي كانت تتناثر
بيارات يرتقل لثمارها مذاق منعش
ولا زهرها راحة عطرة كان لنا في
مدينتي بيت يقوم عند آخر أحناء للتل
الرملی الأشقر الذي كان يحرس المدخل
لشرقي مدينتي ..

عمرى تسعة وثلاثون عاما ، وأنا الآن
في مدينة لها بحر منه الشمس تولد كل
صباح .. تلك كان لها بحر فيه الشمس
قزام ، وهذه لها بحر منه الشمس تولد ..
كان هناك لي بيت وأرض ، وهنا لي بيت
بلا أرض .. هناك كان لي ماض ، وكنت
أملك ناصية يومي .. وكنت أنزع أحلاما
تشرق بيبة في عدي ، وأنا هنا بلا ماض
يومي بظلمة سوداء تسلمني بعند
ونزق لي غد أشد سوادا .. هنا أنا بلا
جذور .. بلا دعائم .. بلا أصل ..

— أتناكل شيئا .. الجوع يكاد يغريني .
في كل صباح كانت أشعة الشمس
تذيب حبات الندى المرشومة على الواح

سريرى وتطرق فأرى الأمل مشوباً بتهيب
خوف يسبح في صفاء عينيهما فاستنجد
سلفاً ما الذى يدور فى نفسها ويعذبها
وانتظر حتى تهمس ..

— ما الذى تريده الراحية ؟ —

— محمد .. هل .. هل انت سعيد ؟

— ما دمتم كذلك ..

— شكراً يا ابنى .. لكن .. لكن أريد
سعادتي أن تكتمل .. أريد أن أرى لك
زوجة ..

— اشكر الراحية .. لكن مهلا ..

— مهلا .. مهلا متى تنتهى من هذه

ال (مهلا) ؟

— حتى تترجع (عطاف) وكذلك
(أمل) وحتى يكمل (أحمد) دراسته
الجامعية ..

كانت فى البدء تستمر فى مجالتي
لكنها فى الفترة الأخيرة اقلعت عن ذلك

وصارت تتركنى متعكة مصدومة واظل
مع رؤى حلوة عذبة أرى فيها «عطاف» و
«أمل» وقد ضمهما بيت زوجية سعيد ..

وأرى «أحمد» محامياً كبيراً .. أرى

(سلام) ينجو ويتسلم أنا أبوه
(فاديه) أمه .. كنت أحب فاديه حتى

لعظام .. وكذلك كانت هي .. لكن واقعي
كان يؤجل دوماً لقاسم المعطاء .. ويؤخر

بكلنى إطلاقاً حلوة (ليانا) كنت
أعيش على أمل أن تكون .. فهل كان هذا

للقاء ؟ كان أن أزداد الواقع تعقيداً ..

واقعي يعبثه دم .. بخنقه دخان فاقبل تهدم
سبوت مدينتي .. تمزق أجساد أماناء مدينتي

تنشر الدمار والموت فى كل أجزاء مدينتي
.. وكنت يائساً لكن بعناد .. واظبت على

الذهاب إلى المدرسة لأجد فى النهاية أن
ليس ثمة من طلاب بل مقاعد يعشش

الغبار فى شقوقها ويكسبها لون تراب
القبور .. فعدت لألقع فى البيت وتفرات

والدتي وشقيقاتي تلهبني فى كل لحظة
كنت أعيش .. كلنا يريدون أن يقولوا

كلمة .. لكنهم يعرفون ردي فلهجوا
على التقوى بها .. وإخيراً وبعد أن ثملت

الشمس فى بحر مدينتي قلقتها .. قلقتها
وأنا اكك التمرق (لتغادر المدينة) ..

وصعدت مع البث الرملى الأشقر وجلست
على نعومته وتفرست الغرب .. كانت ثمة

أعمدة دخان أزرق تقتصب متلوية فى
فضاء مدينتي .. وكانت الطلقات تدعى فى

أجزاء مدينتي .. وكانت شمس مدينتي
قد ثملت فى البحر مخلقة سواداً أخذ

يفرش الكون من حولي .. صحت على
صوت أمي المشرخ ..

— نحن جاهزون يا ابنى ..

كانت هناك .. تحت شجرة الجوافه
متشبثة ببعض أغصانها .. انحدرت مع

الثلج مخدراً معزفاً .. هربت منجرة
الجوافه .. كانت الراحية لا زالت هناك ..

شجرت جوجنة فاسية .. وميت أبى أهول
شيباً .. أرى .. أرى .. أرى .. أرى .. أرى ..

نورته فى فراغ هي شموع خمدت .. كان
تخفني .. تحركت وسحبت الراحية من

يدها وحاولت أن أضنها إلى صدرى
لكنها سبقني إلى ذلك وطوقني

بذراعيها وصدرها يعلو ويهبط بنشيج
حاولت أن تخفيه فما استطاعت .. وتذلت

يدها فأمسكت بيسراها بينما كانت
بمنائها مضمومة باصرار على حزمة

أوراق خصرها خشنة .. كلمت من أوراق
أغصان شجرة الجوافه .. كان هذا آخر

عهدنا بالجوافه .. فمضت أن غادرتا الغرب
متجهين إلى شرق متجههم بابس .. حرماً

منها .. كان هناك شبه اتفاق بيننا على
الابتداف .. رانحتنا الآن تعطيني

وتفتت اعصابي ..

— لنأكل شيئاً .. الجوع يمكن

يفرني ..

— لا رغبة لدي فى تناول الطعام ..

— لكك لم تأكل شيئاً منذ الصباح ..

— أرى صباح !!!

— صباح هذا اليوم ..

— هيه .. وهل لهذا اليوم صباح .. أنا

لا أراه .. ولا أحس به .. لا أكاد أميزه عن
أى شيء آخر .. الصباح يا أبى يغسل

السواد .. يغسل كل شيء .. هذا الذى
تسميه صباحاً لا يفعل ذلك .. بلبله لا

تنظر إلى هكذا يا أبى .. نظراتك فيها
شيء .. نظراتك تود أن تقول من أنا .. أنا

أعرف من أنا .. أنا مجرد قرمة خشب ملقاة
على قارعة طريق .. تركلها كل حين قدم

نورته .. لتحسها يد معروفة هزيلة ثم
تأكلها فى النهاية نار ملعونة .. أنا لا

أحب نظراتك .. لا أحبها .. لا أحبها .. لكك
أني تتركنى لتتناول طعامك .. لكن مهلا ..

مهلاً .. عليك تقوى إلى سماع بقية
الحكاية .. لا ياس .. لا ياس .. فلدينا كلها

حكاية .. حكاية تبسم مرة وتغمس
أخرى .. فى الشرق أفسنا .. وفى الشرق

فمننا بيتنا لنا .. كل كاليبب الذى كان لنا
فى المدينة التي كانت لنا .. جعلنا له

حديقة .. زرعتها وردها ورياحين وتركنا
بقعة داكنة لا تزال تنتظر عرقاً داكناً

يفرس فيها ليصبح مع الأيام شجرة
جوافه .. هذا العرق لم يفرس حتى اليوم

— الراحية لا زالت ترعنا .. و .. عطاف ..

لراثة الحلوة ملئت فجأة بعد أن
غادرنا الغرب يعلمين .. أمال لها ابن

اسمه (سلام) .. أحمد كما كنت أريد أن
يكون .. محام أرجوه كل توفيق ونجاح

وسعادة .. وأنا هنا .. لا زالت أرى كل يوم
حكاية الغرب .. وأغصان شجرة

الجوافه لا زالت حطياً يتقصف كل لحظة
فى قلبي .. تكة الرمل الشفراء لا زالت

تنبال على جسدى المحطم كل لحظة
صخفتي .. «عطاف» المنيعة لم تزرع ما

بؤكل .. وشمس مدينتي ما زالت تلمع فى
البحر ..



مركبات الهيدروجين

بقلم : درويش مصطفى القار

الفروع والتشعبات ... تكون مهمتها الأساسية والفروع ، المعلنة والخفية ، متضامرة العقول العربية (المقيمة والمغتربة) دراسة كل الأفاق والسل العلمية والتكنولوجية لزيادة الثروة الملية في أرجاء الوطن العربي بلا استثناء ، بعيدة كل البعد عن (فقهه ميزنطة) تعمل على :

أولا : استغلال كل قطرة ماء تضعع هياء ، في البطائح والمستنقعات ومصببات الأنهار ومجاري الوديان بعد المطر ...

ثانيا : استنباط مصادر جديدة للماء ، في مضمار المطر الصناعي ، أو تحلية مياه البحر بالطاقة الذرية أو بطاقة الغازات الطبيعية .

ثالثا : وترويض ما يمكن من المحصولات الزراعية لمواجة بعض سواع المياه المالحة في وطننا كله ، وخاصة حواف السبخ البحرية .

رابعا : التفكير في ابتداع طرق جديدة لتوفير الماء ، في الاستعمالات اليومية ، فاعلم أن (غيرنا) قد ابتاع جهازا جديدا لتوفير الماء العذب الذي يضع في دورات المياه والحمامات بحيث أصبح الاستهلاك في هذا الباب أقل من السدس !! فهل يستطيع أحدا أن يبتدع لنا أسلوبا لتوفير الماء الضائع أثناء الوضوء - مثلا - فيما بين غسل مختلف الأعضاء ؟؟

خامسا : رصد مكافأة أو جائزة لذلك العالم أو التكنولوجي العربي ، أو مجموعة من العلماء والتكنولوجيين العرب ، ممن يستطيع أن يحقق عربيا وعليا ، جهازا يعمل بالطاقة (الحرارية) الشمسية ، أو بالطاقة (الحرارية)

سامة قاتلة للأحياء من النبات والحيوان ، على السواء ...

ج - أن الماء ، له خاصية مميزة هريدة عجيبة ، تسترعى الانتباه ، وهي أنه إذا برد فإن كثافته تزداد ، أي يثقل وزنه ويقل حجمه . حتى إذا ما وصل إلى درجة (4) مئوية فإن امره يتعكس ، فتقل كثافته ، بازدياد يظرا على حجمه ، حتى إذا ما أصبح ثلجا عند درجة الصفر المئوي ، طفا فوق بقية الماء ، وحماه من التجمد ... وهذا يشرق أمام دور المصنوع من الماء ...

د - بحال الكائنات الحية كلب ، مما جعلت من الأنفذة بالتحريك واستنفذ كل والبحر بقلية ... وأما حاجة ... لا تقدر ... الفروانية ... البحر بحسب عدم درجة (لينة) تلك ، فهو الصفر المئوي ... أن سوان ترب (احسنه) عنه لكل من يكرم عقله ويزهه عن الإخذ بنظرية الصدفة ، في وجود هذا الكون ... ثم مطالب كل من يكرم عقله ويزهه ،

بالتفكير معنا ، في أمر ، قد لا يبدو لأول وهلة ، ذا أهمية أو بال ... فقد تكون ، نحن معشر العرب ، من أقل الناس علما ، لحاجتنا إلى الماء ، ولا أقول نحن أقل الناس اهتماما إذ منا من يفكر في نقل الماء على هيئة كتل من الثلج نجدها عبر المحيطات والبحار ، من القطب الجنوبي إلى البحر الأحمر ، ومن واجبتنا أيضا التفكير في نقل ثلوج القطب (الشمالي) إلى أهليتنا في غرب إفريقيا ، حيث الحاجة إلى الماء بالغة ... هذا الأمر الذي نحن بصده اليوم ، في عاجلتنا هذه ... هو التوصل إلى إنشاء « مؤسسة عربية (شعبية) للدراسات المائية » بعيدة تماما عن الصراعات السياسية ، والاختلافات العربية العديدة الكثيرة

تماما ، كما لا يدرك الشوق إلا من يكابده ، فإنه لا يدرك قيمة قطرة من الماء ، ويعرف قدرها ، إلا من عركته الصخراء ، برمضانها ولحاحه حر قيطانها ، في مهمه قفر يلقح ، يترأى فيه السراب بكل قبعة ، وقد نفذ ماقى سقائه من ماء ، مع يقينه ببعد الشقة عن كل تميلة ، أو لصد ، أو قليب جفر ... هنالك فقط ، يدرك المرء ، حقيقة أهمية الماء ... ذلك السائل العجيب ، الفريد بين كل ما خلق الله سبحانه في هذا الكون السحيح ... نحن بين الآلاف المؤلفة من المركبات الكيميائية ، طبيعية أو صناعية ، معدنية أو حيوية ، بفرد ذلك السائل الذي لا لون له ، ولا طعم ، ولا رائحة ، بخصائص تدعو كل ذي عقل ، أن يتأمل فيها ، ويتساءل عنها ... هل تلك الخصائص ، في الماء ، مجرد (صدفة) عمية ، انقضت عنها قوانين الاحتمال ؟ أم أن (صانع الماء) قد أوجده بصفاته تلك ، ليقضى أمرا كان مفقولا ؟

من تلك الصفات والخصائص - على سبيل المثال فقط - أن الماء :

١ - وهو أحد مركبات الهيدروجين ، مع أحد المواد مجموعة العناصر السادسة ، في جدول مندليف المشهور ، يتميز عن (كل) مركبات الهيدروجين ، مع غير الأوكسجين ، من عناصر تلك المجموعة كالكلوريت ، والسيلينيوم ، والكروم ، والتنجستن بأنه المركب الأودح الذي يكون سائلا في درجات الحرارة العادية ، في حين أن المركبات الأخرى تكون إما غازية أو صلبة القوام

ب - أن الماء ، وحده ، هو الملائم للأحياء ، تون مركبات الهيدروجين الأخرى ، وكلها دون استثناء ، عدا الماء



اصدر مكتب الخريجات بجامعة قطر العدد الجديد من مجلة « الجامعية » . وفي هذا العدد قدمت الفتاة القطرية المختلفة صورة حية لمشاطها الفكرى والفنى . وكشفت صفحات العدد الجديد من « الجامعية » عن مواهب اصوية قدمتها جامعة قطر . من بين للخريجات في هذه الجامعة النشابة ، فقد كان الغلاف الاول لوحة فنية بديدة للرسامة القطرية بدرية جاسم لدرويش ، كما كان الغلاف الاخير لوحة للفنانة القطرية الموهوبة عبيدة كاظم ، وجاء في افتتاحية العدد الجديد من « الجامعية » ان « الخريجة القطرية لها حقوق لابد ان تتوفر لها ، وعليها واجبات لابد ان تؤديها ، والخريجة لا تطالب بالراى والمناصب العالية كما يشاع عنها . بل ما تسعى للحصول على الخبرة الجيدة والعطاء المميز في اي مجال تتولاه .. اينما يؤمن مان عمل المرأة ليس صاعداً عن كونه ضرورة لتطور المجتمع وموارسته الانتاجية بحسب ، بل معناه اوسع واشمل من هذه المفاهيم » فهو عمل يحث الانسان على إثبات ذاته واكتشاف قدراته » . وفي ختام مسحه لجامعة قطر صرحه بطلان الخريجة بالمشاركة في سائر الانشطة لاجتماعية وثقافية حرة . سبب دائما اننا نملك عقولا وشخصية متكاملة الجوانب . وعلى صفحات « الجامعية » نلتقي بالآلام الخريجات القطريات في المقالات والاحداث والدراسات والمقصور والتحقيقات الصحفية ، وفي كل هذه المجالات اتيت الخريجة القطرية جذارتها وموهبتها وعق نظرتها إلى الامور وجديتها في البحث والتفكير والتعبير .. تحية لجمعية ، في عددها المختار ، شكلا وموضوعا .. وتحية لريم لخديفي ولطيفة المذاعى الشرفيتين على تحرير « الجامعية » .. وفي انتظار اعداد اخرى وحطوات الجامعة ، اكثر ثقة وثبات على طريق المستقبل .

« الدوحة »

المستعدة من الغاز الباطني ، سواء الغاز لصاحب للزيت الذي نحرقه قرب مستودعات الحقول ، او الغاز الطبيعى المستقل عن الزيت ، ويكون عمل ذلك لاجهز استنفاد الماء من (الرطوبة الجوية) القريبة من سطح الارض ، والتي تكون الضباب والندى في بعض الاحوال . والرطوبة الجوية على مستوى السواحل العربية لدى الخليج ، وبحر العرب ، والبحر الاحمر يشاطني على وجه الخصوص ، يمكن ان تكون مصدرا مقيدا للماء ، لو اعطيناه من العناية العلمية ما يستحق .. ويستحق جائزة علمية المستوى ذلك الذي يبتدع جهازا اقتصاديا لاستنفاد تلك الماء ، يستوحيه من مشاهدة ، قد لا تغيب عن بال الانسان الجيد الملاحظة ، إذا راقب اجهزة تنكيف المنبتة في مدينة كعاصمتنا هذه الدوحة ، حيث امكن التوصل الى حساب مبدئي يقول بان (خمسة الاف) جهاز تنكيف ، تكثف من الرطوبة الجوية (يوميا) ما يقرب (مليوني) لتر من الماء .. قد لا يكون هذا الرقم سارى المفعول على كل ايام السنة ، ولكنه بالتأكيد يؤثر شام إلى خطورة ضياع ماء رطوبة الجوية ..

فهل يتحقق حلم انتاج جهاز تنكولوجي حديث بابتداع عقليات عربية للاستفادة من الرطوبة الجوية على طول سواحلنا ، لنصنع بها الماء للشرب والرياعة ولو على نطاق ضيق جدا ؟

إن انجازا كهذا يستحق من التمجيد والاحترام ما لا طاقة لي بوصفه ، إذ يعيد إلى الأذهان علانيا حقيقة عنصر هذه الأمة وقدراتها في العلم والتكنولوجيا

بون ريب ،

درويش مصطفى الفار



اصدر مكتب الخريجات بجامعة قطر العدد الجديد من مجلة « الجامعية » . وفي هذا العدد قدمت الفتاة القطرية المختلفة صورة حية لمشاطها الفكرى والفنى . وكشفت صفحات العدد الجديد من « الجامعية » عن مواهب اصوية قدمتها جامعة قطر . من بين للخريجات في هذه الجامعة النشابة ، فقد كان الغلاف الاول لوحة فنية بديدة للرسامة القطرية بدرية جاسم لدرويش ، كما كان الغلاف الاخير لوحة للفنانة القطرية الموهوبة عبيدة كاظم . وجاء في افتتاحية العدد الجديد من « الجامعية » ان « الخريجة القطرية لها حقوق لابد ان تتوفر لها ، وعليها واجبات لابد ان تؤديها ، والخريجة لا تطالب بالراى والمناصب العالية كما يشاع عنها . بل ما تسعى للحصول على الخبرة الجيدة والعطاء المميز في اي مجال تتولاه .. اينما يؤمن مان عمل المرأة ليس صاعداً عن كونه ضرورة لتطور المجتمع وموارثه الانتاجية بحسب ، بل معناه اوسع واشمل من هذه المفاهيم » فهو عمل يحث الانسان على إثبات ذاته واكتشاف قدراته » . وفي ختام مسحه لجامعة قطر صرحه بطلان الخريجة بالمشاركة في سائر الانشطة لاجتماعية وثقافية حرة . سبب دائما اننا نملك عقولا وشخصية متكاملة الجوانب . وعلى صفحات « الجامعية » نلتقي بالآلام الخريجات القطريات في المقالات والاحداث والدراسات والمقاصد والتحقيقات الصحفية . وفي كل هذه المجالات اتيت الخريجة القطرية جذارتها وموهبتها وعق نظرتها إلى الامور وجديتها في البحث والتفكير والتعبير .. تحية لجامعة قطر ، في عهدها الميمر ، شكلا وموضوعا .. وتحية لريم تخفيفي ولطيفة المذاعى لشرافتين على تحرير « الجامعية » .. وفي انتظار اعداد اخرى وحطوات الجامعة ، اكثر ثقة وثبات على طريق المستقبل .

« الدوحة »

المستعدة من الغاز الباطني ، سواء الغاز لصاحب للزيت الذي نحرقه قرب مستودعات الحقول ، او الغاز الطبيعى المستقل عن الزيت ، ويكون عمل ذلك لجهاز استنفاز الماء من (الرطوبة الجوية) القريبة من سطح الارض ، والتي تكون الضباب والندى في بعض الاحوال . والرطوبة الجوية على مستوى السواحل العربية لدى الخليج ، وبحر العرب ، والبحر الاحمر يشاطئها على وجه الخصوص ، يمكن ان تكون مصدرا مقيدا للماء ، لو اعطيناها من العناية العلمية ما تستحق .. ويستحق جائزة علمية المستوى ذلك الذي يبتدع جهازا اقتصاديا لاستنفاز تلك الماء ، يستوحيه من مشاهدة ، قد لا تغيب عن بال الانسان الجيد الملاحظة ، إذا راقب اجهزة تنكيف المنبتة في مدينة كعاصمتنا هذه الدوحة ، حيث امكن التوصل الى حساب مبدئي يقول بان (خمسة الاف) جهاز تنكيف ، تكثف من الرطوبة الجوية (يوميا) ما يقرب (مليوني) لتر من الماء .. قد لا يكون هذا الرقم سارى المفعول على كل ايام السنة ، ولكنه بالتأكيد يؤثر شام إلى خطورة ضياع ماء رطوبة الجوية ..

فهل يتحقق حلم انتاج جهاز تنكولوجي حديث بابتداع عقليات عربية للاستفادة من الرطوبة الجوية على طول سواحلنا ، لنصنع بها الماء للشرب ، والزراعة ولو على نطاق ضيق جدا ؟

إن انجازا كهذا يستحق من التمجيد والاحترام ما لا طاقة لي بوصفه ، إذ يعيد إلى الأذهان علانيا حقيقة عنصر هذه الأمة وقدراتها في العلم والتكنولوجيا

بون ريب ،

درويش مصطفى الفار

أَسْئَلَةُ تَبَحُّثٍ عَنْ أَجْوِبَةٍ فِي مَرْكَزِ التَّرَاثِ الشَّعْبِيِّ لِدَوْلِ الْخَلِيجِ



حتى لا يضيع التراث الشعبي في الخليج

بقلم: بشرى ناصر

من أجل ذلك وبعد تخطيطات جادة وجهود واعية يتم افتتاح مركز خاص بالتراث الشعبي وكل ما له صلة بذلك .. وقد اختيرت دولة قطر مكانا لحق هذا المركز .

وبعد المؤتمر الذي اقيم في الشهر الماضي وما دار من نقاش وجوار .. وجدت نفسي ابحث عن اجوبة لاسئلة تزيل كل غموض يعلق في وقته .. حملت اوراقه واتجهت الى على عبد الله خليفة والدي وجدته ساهرا حتى ساعة متأخرة من الليل مع افراد يشاركونه هذا الحب للموروث الشعبي وقال على عبد الله خليفة في البداية عن مركز التراث

منه تغيرا وتحويرا... .. ويبعد به عن الاصول حسيما تقتضيه روح العصر الحديث وادواته ..

وقبل حوالي مائة عام من الآن ادركت الشعوب المتقدمة بانه اذا كانت هذه سنة الحياة وقانون التطور .. فلا بد من رعاية وحماية جذورها واصولها من الضياع والتلف .. فانشأت المراكز والهيئات والجمعيات الوطنية لرعاية وحماية التراث الشعبي وبذلت من أجل ذلك المال والخبرات والتضحيات .. واستطاعت أن تصل ماضيها بحاضرها وتحقق قدرا كبيرا من التوازن والتواصل بين مختلف الاجيال .

جاء في مفتتح مشروع وللحق لتأسيس مركز التراث الشعبي لدول الخليج ما يأتي :

تعتبر منطقة الخليج والجزيرة العربية من اجزاء الوطن العربي التي تأخرت كثيرا في رعاية وحماية التراث الشعبي والعمل على الاستفادة منه .. وتوظيفة توظيفا علميا لاغناء تقدم بعض المجالات الأخرى .. على الرغم من اكتساح المتغيرات لكل نواحي الحياة ونفاذها الى اعماق الإنسان بسرعة مذهلة في هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم .. بحيث طفى الجديد الوافد على اصالة القديم وطمس منابعه واخذ يعمل

الشعبي :

إن أهداف المركز تتمثل في ما يأتي :

- جمع وتدوين وتحقيق كل ما له علاقة بالثقافة الشعبية التي كانت سائدة في الماضي بدول الخليج العربية والتي تمثل روح الشعب وحكمته وأدبائه المختلفة مثل اللغة المحكية وصوتياتها وعلوم صناعتها والأشعار والأهازيج والأزجال والرقص والحكايات والأساطير .

- تقديم الدراسات ونشرها حول التراث الشعبي الخليجي من منطلق لدراسة الشاملة لتراثنا .

- رعاية هذا التراث كثروة وطنية وقومية وحمايته من استغلال الغير .

- تأكيد المحتوى الوطني لطبيعة العمل الميداني لتجميع التراث الشعبي وحفظه عن طريق خلق مشاركة شعبية واسعة تساهم في جمع المواد وتيسر لعمل الرسمي في رعاية التراث وحمايته
- إنشاء مكتبة متخصصة للتراث لشعبي (سعيدية وبصرية) بإحدى الأساليب العلمية لتكون مرجعا للراشدين .

- العمل على ادخال المناصب من أجل الثقافة الشعبية وما طرحته من قيم سامية الى مناهج التربية الحديثة بالدول الاعضاء .

- تطوير امكانيات الدول الاعضاء في مجال الاهتمام والرعاية الخاصة بالتراث

— اما وسائل تحقيق تلك الاهداف فكون بالنقاط التالية :

- تشجيع وتبني جهود الافراد والمؤسسات الاهلية التي تفس مجال علمي .

- تقديم منح دراسية وإقامة دورات تدريبية متخصصة لتأهيل الكوادر للبحر في الاعتماد عليها .

- اصدار مجلة علمية متخصصة وإقامة مؤامرس ثقافية وإبداع الأفكار والوسائل الحديثة في نشر التراث وربط الأجيال الجديدة بأصالته .

- التعاون مع المركز الاقليمي للتوثيق الاعلاسي لدول الخليج فيما يخص بالتراث .

- تشكيل اللجان الدائمة والمؤقتة اللازمة لدراسة بعض المسائل الخاصة .
- أية أمور أخرى يقرها مجلس

الإدارة في حدود اغراض المركز .

التراث الواحد

قلت لعلي عبد الله خليفة : بصعقت المشرع على مشروع مركز التراث ، نريد منك توضيح ذلك فقتله الكبير في ماثورتنا الشعبية سواء كتبت حكاية او امثلة او مقولات ؟

— منطقة الخليج والجزيرة العربية منذ فجر التاريخ كانت مهد الحضارات ، وكان لها دور كبير في التراث الانساني .. ولبناء ازدهار تلك الحضارات وتفاعلها مع الحضارات الأخرى ، كتبت أغلب دول المنطقة يطلق عليها اسم تاريخي واحد يشمل كل اجزائها .. ويتطور الاحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية ظلت لهذه المنطقة ظروفها المشتركة الواحدة .. فنتاج الناس على هذه الأرض على مر العصور تتجبر عن هوموم المعيشية .. وذلك توصلت الدراسات الفلكلورية والاسطورية المقاربة إلى أن هناك تسلسلا اسطوريا وفلكلوريا لاغني الشعوب العربية منذ أكثر من ثلثي بئنة قبل الميلاد أسوة بالكل فمماير الظهور أولي الجزيرة والقلم ولبنان وفلسطين .. وهذا يعني أن منابع الميثولوجيا العربية تقرب بجذورها على مدى ستة الاف عام في الجزيرة العربية وما جاورها . ولقد تواتر هذا النتاج الحضاري الذي أسهم فيه الشعب الخليجي بنصيب وافر وتواصلت حلقاته تاترا وتائرا حتى ولفاء اليوم . فالتراث الشعبي الذي بين ايدينا الآن نتاج منطقة واحدة وهو كل لا يتجزأ ويعتبر أحد جوانب الفولكلور العربي ، فالأشعار ، والأزجال ، والأمثال الشعبية ، والحكايات ، وكل جوانب التراث الشفاهي في كل المنطقة واحد لظروف متشابهة ومعاناة واحدة اضافة إلى أن العادات والتقاليد التي أفرزتها الممارسات اليومية للأجيال الماضية في كل منطقة الخليج واحدة .

وهي تعكس جوانب المعاناة الاجتماعية للأجيال المتعاقبة .. وإذا اخذنا الجوانب الأخرى كالرقص والنساء والحلي والأزياء والطب والصناعات ، فلا تخلفك فيه أية دولة خليجية عن

أخرى إلا بقدر اختلاف القرية الواحدة عن الأخرى في البلد الواحد . فتراثنا الشعبي هو تراث عرب الجزيرة العربية وما جاورها وما تفاعل به مع الحضارات الأخرى حتى وصل إلينا .

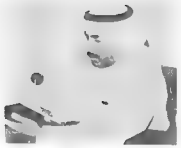
المهارات والاستعداد

وعدت لاسأله : إن ماضي الطريقة التي تم بها للدراسة والبحث في المركز ؟ قال لي : لكل جانب من جوانب التراث الشعبي طريقته الخاصة في التناول والبحث .. ففي مجال الأدب الشعبي لابد أن يبدأ الباحث عمله بجمع المادة الشفاهية (و المحكية) وهذه البداية هي التي توفر المادة الخام لموضوع البحث ، ثم تمر هذه المادة بعد جمعها بمراحل عديدة متعارف عليها لدى الباحثين في هذا المجال حيث تأخذ طريقها أولا إلى تدوين النصوص على الورق وتحقيقها وضبط مقبراتها ثم توثيقها وتقديمها كمادة مؤلفة توثيقا علميا ليستفيد منها الباحثون في علوم الإنسان والميادين العلمية الأخرى ذات العلاقة .

وفي مجال آخر كجاء فنون الغناء والرقص .. لابد من تسجيل المادة تسجيلا سمعيا وبصريا وإعداد مادة غنية وثقافية تسجل الموسيقى والأغنيات وتعرض للحركات الإيمانية . والإيقاعية التي يقوم بها الراقصون ، ثم تعرض هذه المادة على الباحثين في المجالات المتعددة .. فلباحث الأدبي يتناول النص .. والموسيقى يتناول مجاله .. وهكذا .

وفي مجال الصناعات الشعبية لابد أولا من حصر تلك الصناعات التي كانت سائدة في تلك الأزمان .. وتحديد ما انقرض منها .. وما هو مستمر .. مع توصيف كل صناعة على حدة .. طريقة الصانع في إبداع بضاعته وتوسيقها وطريقته في ابتكار الأشكال واكتشاف المواد الخام .

وفي اعتقادي أن الباحث في مجال التراث الشعبي لابد وأن يتمتع بمهارات متعددة واستعداد تقني للتعامل والاستفادة من جميع مجالات العلوم والفنون المساعدة الى جانب مجال تخصصه .



حتى لا يضيع التراث الشعبي في الخليج

استهلاك للحضارة ، وإن الأولى بنا
البحث عن صيغ حضارية جديدة تتفق
والواقع المعاش . ؟

وقال : إن معالجة زمننا بطرائق
حديثة لا ينبغي أن نرعى ونحافظ على ما
ورثناه .. إن الخطوات حثيثة للمضي
بالحياة قدما وبشكل مذهب .. ولا اعتقد
أن تفرغ مجموعة من الباحثين لدراسة
جانب من جوانب التراث أو التاريخ أو
أي مجال من المجالات المتصلة بالماضي
سيعيق تلك الإعداد الهائلة المشغولة
بالبحث والابتكار لتقدم البشرية . وأرى
أن الأبحاث في أي مجال من المجالات
ممكنة لبعضها البعض . فكل مجال يثير
الطريق للمجال الآخر ويدعم تطلعاتها
ويسند براهينه .. ويعزز القيم السامية
التي جعلت من البحث العلمي خدمة
وصحة ومكسبا حضريا لكل حين .

وقلت له : إن كيف نستطيع التفرقة
بين ما هو تراثي .. وما هو تاريخي ؟
قال : في اعتقادي أن التراث مادة من
مواد التاريخ .. فإذا كان التاريخ يصفه
عامه يهتم بالتغيرات الجيولوجية الكبرى
للسهول والأمم .. فإن البحث في مجال
التراث يهتم بفقاء هذه الأحداث
وجزئيات مؤثراتها وطبيعية وحياة
وظروف الناس الذين أوجدوا هذه
المتغيرات الكبرى . فالتاريخ يوجز
الحديث .. والبحث في مجال التراث
يفصل دقائقه ويشرح جوانبه .. وكل
منهما يقدم خدمة جلي لأخر .. فعلى
سبيل المثال ، الباحث في مجال الآثار
يهتم بمادة الآثار إن كانت حجرا أو معدنا
أو ماشابه .. والبحث في مجال التراث
الشعبي يهتم بلأذى شكل المادة
والظروف التي أحاطت به ، وهل تشكل
هذه المادة أعدادا لأن منوارث أم مقدس
أم طاريء جديد ، وما إلى ذلك من جوانب
.. وكما سبق أن ذكرت أن العلوم في
بعض مجالاتها تتداخل وتكمل بعضها
بعضا .

بشرى ناصر

لأخذ به وإبعاد ما لا يصلح . ؟
وقال : هناك سلوكيات للعودة إلى
الماضي .. أسلوب يرفض الحداثة
ويرفض المعطيات والتكتسيات الجديدة
ويعتقد أن في الماضي عودة إلى الجذور
الصحيحة التي لا يوجد غيرها ..
والأسلوب الآخر يرى بأن المنجزات التي
حقها الإنسان في عصرنا الحديث هي
تتألف مسيرة طويلة من المعاناة التي
بذلها الأجيال من أجل حياة أفضل ..
ويرى في منجزات الماضي مكتسبات
أخرى لولاها لما تحققت إنجازات اليوم ..
وإن القديم والحديث على الرغم من يعد
الشقة بينهما خط حتمي متصل .. فبدون
الاستفادة من تجارب الأجداد .. لا يمكن

مدرسة جديدة ، مصر ، وإن الصورة لم
الماضي ليست بهدف بعثه وإحيائه من
جسده فنانا نرى عبقه الجديد هو أن
الأمم .. والعودة إليه هي للتحفظ
والسجل .. والفرسه والناس .. وبعده
مجالات العلوم بمكتسبات كثيرة مازالت
هذه العلوم بحاجة إليها للتعرف على
مسيرة الإنسان وعطلة وطرائق عينه .
وعندما تهتم دول الخليج بحفظ
ورعاية وحماية تراثها الشعبي ، فإنها
انطلاقا من الدراسة الشاملة للتراث
الشعبي العربي تتوجه لمعرفة الأصول
والمكونات والخصائص لهذا التراث
بحقائق منابع أصالتها وما يمكن في
موروثها الشعبي من ثراء وتعبير صادق
عن معاناة إنسانها وأبداعاتهم المختلفة
.. وفي ذات الوقت تتوجه إلى توفير مادة
علمية للدراسات الاجتماعية في علوم
وتاريخ الإنسان ، بالإضافة إلى
محافظة على ماثوراتها من الضياع
والعبث والخلط والتشويه .. خصوصا
وأن مجتمعاتنا تعيش المتغيرات البليغة
الآثار التي تحول أن تقللنا من الجذور .

همة الباحث

وتوقفت عندئذ عند سؤال مطروح
يؤكد أصحبه أن اجترار الماضي

● ● ● استاذ على .. أي المناطق
براك في (منطقة الخليج) تمتلك قوة
حبك وخلق الحكايات والأمل الشعبية ؟
.. تتميز بعض مناطق الخليج نتيجة
للموقع الحضاري والتاريخي ونتيجة
لكثافة السكان وتنوع سبل العيش
بكثافة إنتاج الموروث الشعبي .. لمنطقة
مثل سلطنة عمان تعتبر غنية بالتراث
الشعبي .. فثاثيرها قناري بعيد الأثر
.. إلى جانب كونها لبونية التي عبرت
منها الفنون الخليجية الواعدة .. وهي
الفنون التي قدمت من الساحل الأفريقي
عن طريق عمان إلى بقية أجزاء
الخليج .. ويصنف عامة تعتبر المناطق
القرية من الساحل هي المناطق المتعددة
الفنون نتيجة لكونها نقطة الاتصال
والتواصل مع الشعوب والحضارات
المجاورة ، فكما اتجهنا إلى الساحل
تعددت الفنون وتنوعت .. وكما اتجهنا
إلى الداخل بعيدا عن الساحل انحصرت
هذه الفنون وقلت كلفتها ، ففنون السادية
مثلا .. فنون محدودة ومعروفة .. لأن
البدوي يطبعه كان غير ميل لقبول
الجديد على عكس أبناء الساحل نتيجة
احتكاكهم بأقوام ولغات وعادات مختلفة
ميلون إلى استقبال الجديد الوافد ،
والتأقلم معه وتبنيه في بعض الأحيان .
وكما هو معروف في منطقة الخليج
تنوع الثقافة الشعبية التي كانت
سائدة في الماضي ثلاث بيئات اجتماعية ،
البيئة الصحراوية أو البدوية ..
والبيئة الساحلية أو البيئة الزراعية
والتي تمثلها القرى الصغيرة المنتشرة في
الخليج .. ولكل بيئة من هذه البيئات
فنونها وعاداتها المميزة .

منابع الأصالة

وهنا سألت على عبد الله خليفة عن
اعتقاد البعض بأن العودة للماضي قمة
الصديق والنظافة .. وكيف تتمكن بعد
التسليم بأن التراث جزء من الماضي أن
تجرى تقنية علمية لغربة ما يصلح

شعر حسن طلب



١- دي مومة - ٢- تجريد

زمنٌ يتخلَّق في عينك ..

وتاريخٌ من د

زمنٌ كالخُلُق أضاع ..

وتجسَّد في جَنَطة عبيك :

عقيقاً ..

وأقلامٍ ..

وماء

زمنٌ في عينيك تراءى

وارتدَّ إلى عيني :

رموزاً زرقاء ..

وأشياء

فَكَانَ قد في أبدي كان ..

كَانَ قد من أزل جاء

وكان شربت عينك من النيل :

طقوساً

وأساطير

وأسماء

هو أب الفاني السعيد

.. عينك الألهام

رايتك تدخلين

.. وكنت واضحة الجبين

وتخرجين ..

وصرت سائحة العيون

وجال في عينك دمع

.. فهو منشوج

اسميك : الوليدة

حين يحمل صوتك العادي

عطر الموجة الأولى

وأرقب جلدك العنق

ينضج تحت حبّات الندي

.. ويذوب فيها .. فهو ممزوج

لماذا لا اسميك القصيدة ؟

ثم أرسيم :

إي يا دمع العيون .. وفي حواجبهن ترجيح :

صنع الله، إبراهيم



الحياة
والموت
في بحر ملون

سكة الفراشة

ورحلة البحث عن الأمان في عالم الخطر!

طبقات البحر . عندئذ قررت جماعات من سمك سليمان القوي ، و «البينيت» ذات قشور الزرقاء الداكنة ، و «السردينيا» الفضية ، أن تهجر الشعاب ، بعد ساعات من اللعب تخلصتها اعتداءات وحشية من جانب أسماك سوداء مثل السخام . وانطلقت إلى عرض البحر ، مستأنفة حيلها الجواله بين البحار والمحيطات . بينما بدأت أممك البحر الأحمر ذاته

إليه من ضوء ، أو تتخلى تماما عن حسنة الرؤية ، ملتجئة إلى حواس أدهف وأقوى .

وسرعان ما تلاشى الضوء الأزرق في للنطقة التالية ، ويتبعه اللون الأخضر الذي ينتشر حتى عمق ٥٠٠ قدم . ويعتبر سهل الألوان رؤية لدى الأسماك .

وجاء الدور بعد ذلك على الأشعة الحمراء التي تدفع وتضيء أعلى

أخذ ضوء النهار يتراجع تدريجياً من لعمى البحر .

دهبت أولا الأشعة البنفسجية البعثرة التي لا تكاد تبلغ الكائنات الساكنة تحت ألف قدم . فعلى ذلك العمق ، تكون أكثر الساعات شرافاً هي درجة خفيفة بين الغروب وسواد الليل الفاحم ، وتعتمد الحيوانات على خلايا خاصة في أجسادها تزودها بما تحتاج

هذا الوحش المفترس هو من أكثر حيوانات البحر الأحمر انطواء .. وهو من أنواع اللعابين الحجرية .. وكفى الرومن يستأسونه في قديم ارمش ويقيدونه بالسلاسل



الكثير من حيوانات البحر تلجأ إلى التخفى لتضليل أعدائها .. ويستغل الحزمان شكله ليعتمد من الفروع المرجانية أو الصخرية كأنه واحد منها



بال
لعدا خفتها وقدرتها على الزوعان والاختفاء في أدق الشقوق ، يفضل جسدها المسطح الرفيع على شكل القرص ، وزعانفها القصيرة ، يتمثل سلاحها الدفاعي الوحيد في ألوانها . ذلك أن ألوانها الصارخة ، التي تمتد من الأصفر إلى البهيجي ، والتي جلبت لأنواعها العديدة المنتشرة في البحار

للأء ، وهي تنهار كالعروس ، وتتأصل جنبى العالم الأخضر المحيط بها ، بتلك النظرة الوادعة التي اشتهرت بها في عالم الأسماك . لكن وداعة نظراتها كانت تخفى ، في الحقيقة ، حذراً بالغاً ، وانتباهاً فلنقا ، لئى بفررة توحى بالخطر . وهو امر طبيعى طلق أنها لا تملك من وسائل دفاعها المتنوعة لدى الأسماك شيئاً ذا

رجله عكسية من الطبقات العليا للمياه إلى الشعاب المرجانية . وانتشرت بالوانها الصارخة ، ونفوشها الفاتنه ، متجهة فرادى وجماعات إلى ملاحبها . حيث يرقد بعضها في خمول ، ويغفو البعض الآخر . اعواءه خفيه معيون مفتوحة . ويطل المعص انتالت بقتل ، ويختفى الجميع من مفترسى الظلام . تسقت « المنشيط » طريقها ببطء وسط

الحيض ، فادركت بغيرتها أن تيارات
للبداء القوية يمكن أن تجرعه معها . وإن
سعة الشق تعرضه للتلتهام على يد
الأسماك معقوفة الفكين ، ذات الخطوط
البارزة كمساقير الطيور .

وأصبح من المحتم العثور على مسكن
حديث .
لكن ذلك لم يكن بالأمر السهل .
لذا إضافة إلى الشروط العديدة التي
يجب أن تتوافر به ، لابد وأن يكون غير
ماهول ، ولا نشبت معركة دموية مع
صحبته .

لهذا السبب لم يكن يوسعها أن تجري
البحث بالأنهار ، عندما تكون الغلب
الأسماك خارج مساكنها ، ويستحيل
تحديد المهجور منها . إلا كان ذلك ممكنا
بالليل ، عندما تخرج الأسماك المفترسة
للصيد .

الوقت الوحيد المناسب لذلك هو تلك
الفترة الوحيدة عند الغروب ، التي تعود
الأسماك خلالها إلى مساكنها ، فيمكن
الاحتفاء في جماعاتها ، كما يسهل تمييز
المساكن الخفية من الماهولة .

أهم الوثائق الصغيرة

عانت المشييط على حافة فوج هائل من
سمكة الكشكوشة ، ، غطى مساحة
واسعة تربو على المائة متر ، وتمتد إلى
عمق ثلاثة أمتار .

فهذه السمكة الصغيرة التي لا يزيد
طول الفرد منها على ثلاثة سنتيمترات ،
تتحرك دائما في أعداد ضخمة لتحمي
نفسها من أعدائها الكثيرين ، الذين
يجسمون عن مهاجمة التجمعات الكبيرة
لما يصابون به حينذاك من ارتباك ناجم
عن صعوبة التركيز على واحدة من
الفرائس العديدة المتشابهة .

وواقع الأمر أن اثنين من هؤلاء
الأعداء ، كنا يعمل على مقربة ،
يتحينان الفرصة لالتقاط بعض
السمكات الشاردة دون التورط في
مهاجمة الفوج نفسه .

أحدهما هو جماعة من سمك الخرمان
الرفيع ، الذي يتنصه العصا أو الخروميت
الموسقى حتى أنه يسمى باسمه ،
والثاني هو سمك العقلام أو المراكودا
الذي انتشرت أفراد قليلة منه وسط
جماعة الخرمان ، وقد هفرت اقوامها



سمكة ، المشييط ، تلاحق خلفها لسمكة من السمك
هو ذئب المعروف باسم سمكة العمرة

تكن راضية عن الشق الذي تقطنه .
وبدأه لأنها لم تختره لنفسها . وليس
معنى هذا أن ثمة هيئة لتوزيع المساكن
في علم الأسماك . لكن الذي حدث هو
أنها عندما نأ عودها ، وتغطي جسدتها
بالحراشيف ، أرادت أن تستقل بنفسها
على حماة الجماعة ، علم تحدد منها
عمره .

ففي عالم لا يحكمه غير قانون الصراع
على البقاء ، تحدد كل سمكة ما تستطيع
ومن الطبيعي أنها تأخذ أفضل مكان . أما
الضعيف أو الأصغر ، فلا ينال سوى
نسوا الأماكن .

وكان لسمكتها عيبان رئيسيان . فهو
عرضة لتيارات قوية من الماء ، كما أنه لم
يكن ضيقا بما فيه الكفاية .
وصبرت المشييط على هذين العيبين ،
إلى أن وجدت نفسها مقبلة على وضع

المدارية والإستوائية حول العالم اسم
« سمكة الفراشة » ، تلك تجعلها غير
مرئية عندما تهوم بين الألوان الزاهية
للمراجيح والإسفنجيات ، وما يسعى
خلالها من قشريات ورخويات .

بل إن الخلايا الحاملة لئالوان على
سطح جسددها ، تنمير بحساسه بالتح
لدرجات الضوء الواقع عليها ، وبالتالي
لئالوان التي تحكمه . وفي نفس الوقت
يستجيب الجهاز العصبي للسمكة ، عن
طريق العينين ، بدرجة معينة لكل لون
من هذه الألوان .

والنتيجة أن خلايا الألوان تتلقى
لنارات بالانقباض أو التمدد ، فيختفى
أحد الألوان أو ينتشر بحيث يغطي على
البقية ، مما يؤدي إلى تغيير الألوان التي
تغطي السمكة . فلذا انتقلت من أمام
شعاب عليها اللون الأحمر ، إلى أخرى
يسود فيها اللون الأصفر أو الأزرق ،
تغيرت على الفور ألوانها لتضاهي
اللون الجديد .

وعندما يذللش النهار ، تنقبض خلايا
الألوان الساطعة ، وتكتسب السمكة
بدرجات قلقة منها ، تجعلها تلتحم
بالظلمة السالفة .

لكن هذه الخاصية الرائعة لم تكن
مصدر أمان كاف .

فالقدره على تغيير الألوان ليست سرا^٢
مجهولا بين سكان الشعاب . وهي
خاصية تستعين بها الأسماك المفترسة
أيضا . مثل « البصيصي - سمكة »
المعروفة باسم سمكة الكريدنيل بسبب
عنايتها القرمزية . فعندما يحل الليل
يتحول لونها إلى رمادي فضي فتخلله
قشرمة سوداء .
وبالإضافة إلى ذلك فإن السمك يعتمد
في تنبأته على حواس عديدة أخرى غير
حاسة الرؤية .

لهذا لا تجد ، المشييط ، الأمان الكامل
الإدخال الشق الرفيع الذي تلجأ إليه في
نهاية النهار .
وأولا المهمة التي وضعتها نصب
عينها اليوم . كانت اندفعت نحوه بكل
ما تملك من قدرة على الإسراع .

المسكن المناسب

وعادة لا تغير الأسماك مواقعها طالما
تملك مسكنا ملائما . لكن ، المشييط ، لم

عنه حركة ما . وفي النحلة المائية اختفت خلاص . فقد استنشق الوحش الصغير قليلا من المياه ، لتمتص معها السمكة . وعندما استقرت في فمه ابتلعها على الفور .

الضيوف التقلد

حومت الأسماك المختلفة ، فرادى وافواج ، حول مداخل الشعاب ، وتحت تكويناتها المختلفة ، المتعددة الأشكال ، التي تكونت من اجيال لا حصر لها من البوليبات المرجانية .

فبعد الاف الاعوام ، غلشت الاجيال المتعاقبة من هذه البوليبات داخل كؤوسها الحجرية ، تتعمد اجسادها وتتكشف ، وتقبض لوامسها المتفرعة وبسبب . ثم تنزع وتنفرد مثل قنبايات والانسجار ، وتموت لتنمو لانيويات الجديدة فوق انقاضها ، مكونة في النهاية ذلك الحائط الملون العظيم الذي يمتد على شاطئ البحر الاحمر معرض يتراوح بين عشرات الامتار وسناتها .

وطوال النهار كان الحائط العظيم جامدا يكاد يخلو من اى علامة على الحياة ، اذ انكمشت البوليبات الحية داخل كؤوسها ، او اختلت داخل افروع مستعمراتها متجنبة كل ضوء . اما الآن فقد اطلت اجسادها وانتشرت لوامسها من حولها تبحث عن الطعام .

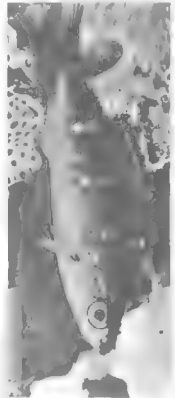
شالت « المشيط » طريقها بين المستعمرات المرجانية في حرس ، وهي تتطلع في الشقوق والحفر بعين ، بينما العين الاخرى تتابع باهتمام ما يجري حولها من تحركات ، لتلتقط اى بادرة من بوادر الخطر .

وبهذه العين راقب موكبا من سمك الجوبي الصغير ، الذي لا يزيد طول الفرد منه عن اصغر اصبع انساني ، وهو يقترب من الممرات الضيقة بسكته لضعة مستديرة من المرجان المعروف باسم مرجان الخ ، حيث يقضي الليل تحت بوليبياته الرقيقة ، في حماية شبكة من الخلايا اللاسعة تظله مثل ترسانة من قذائف الصاروخية .

لم تكن لتجرب على التماس بعيتها في هذا الملاجئ الامن ، الذي ينفرد به سمك الجوبي ، بحكم علاقة هيدرة بينه ، وبين



تعتبر ظاهرة تغيير الألوان من اعجب مظاهر حياة الكلاف البحرية وانظر ايرما سلفا . هائل الصورتان مثلا لسمكتين مختلفتين في حين انهما لثلاث سمكة واحدة



الاصفر الخالص بالذيل . وعندما كفت الملاص عن الهبوط ، واتجهت إلى اقرب مستوى من الشعاب ، لتدفع جزءا من جسمها في الرمال الطرية التي تغطيها ، ترددت « المشيط » لحفلة وقد خطر لها ان تنجسها لتلتصق مطلبها عند هذا المستوى ، ثم عدلت عن ذلك حالما لاحظت بركن عينها احد افراد « ابو عدس » يقترب بسرعة ، وخياشيمه تنبص في قوة . بينما تحديق عيناه للصغيرتان في حذر .

و « ابو عدس » واحد من اسماك الكثر ذات الرؤوس المخيطة ، يستمد اسمه من لون ظهره الداكن الذي تنتشر فوقه نقاط بيضاء فلتحة تشبه حبات العدس ، استدارت « المشيط » مبتعدة بهزة صغيرة من ذيلها ، بينما فتحت « ابو عدس » فمه قليلا دون ان تصطر

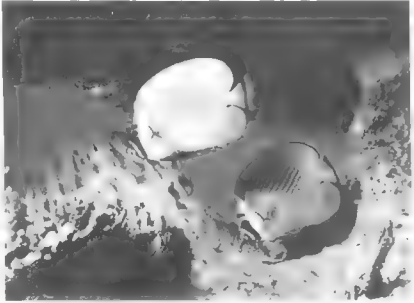
كلشفة عن انيابها المرعبة . وربما كان مشهد هذه الانياب هو الذي دفع المشيط الى ان يتجهد عن فوج « الكشكوشة » وتتضم الى سمكة ملاص وحيدة بعد ان تجتبت فوجا من سمك « سحل » ذي اللون الازرق والخطوط الطولية الصفراء . الذي يعرف بسمك الجراح او الدكتور بسبب شوكتين حادتين على الذنب ، تشبهان

شرط الجراح ، ونصبيان من يتعرض لهما بجراح بالغة .

مضت « المشيط » بعض الوقت خلف سمكة « الملاص » ، وقد اجتذبتها وانها الزاهية التي يغلب عليها اللون القرمزي يتخلله ليلون الازرق على هيئة صفوف من نقاط بطول الحسد ، وحيوط كالاشعة تحيط بالعينين . بينما ينفرد اللون

ذكر وأبش من سمكة المشيط .
المعروفة باسم سمكة الفراشة
عين الرجل

(السمكة الفراشة)
عين الرجل



سمكة أخرى من أغرب أسماك البحر
الأحمر التي تسمى « الخرمال »
ويطلق عليها أحيانا اسم « الصفارة »
بسبب شكلها

على تلك اللحظات الجوية التي
تفصل بين النهار والليل ، تكون أغلب
الأسماك قد تخلت عن وسائل دفاعها
المبارية ، ولم تتكيف بعدد مع حلول
الظلام .

ذلك أن عملية تغيير اللون التي سبق
نكرها ، تتم بصورة تدريجية مع غياب
الصوء ، فسمكة « أدونيفور » مثلا التي
ينتشر اللون البرتقالي نهارا فوق
خطمها البارز كالمنقار ، وبلون قزحي
عينها اللذين تشع منهما خطوط زرقاء ،
ويصطبغ جسدها كله المزكش بنقاط زرقاء
تظهر عليها عند الغروب بقع قلزمة تزداد
مساحتها كلما خفت الضوء ، إلى أن
تغطي جسدها كله تقريبا .

وهذا تقل السمكة عاجزة عن
مواجهة المفترسين الماهرين ، من قروش
وفرنكات إلى كثر وجنخ ، الذين يسعون
بين المراجين والطحالب والأسفنجيات ،
ويعتمدون في ملء بطونهم على هذه
الفترة الحرجة التي لا تتجاوز ربع
الساعة بموافيت البشر ، والتي يبدأ
بعدها صيد مخلوق هو صيد الليل
الوحشي .

بالأم لا عندها عززت البرققات الدفيدة
الأسماك الأشد دقة في لحمها ، معتمدة
على جيوطرفيحه تقهلى من هذه الأسماك
وتعوى من شهيرة من الأجسام اللينة .
تكونت « المشيط » على مئات كفى
محاولة هائلة للفخ من صيودها
للثداء ، ثم شعرت بعد قليل بجدها
يكلها في مواقع متفرقة ، وحاولت تجاهل
الامر ، منصرفة إلى البحث عن المسكن
للوعد ، لكن الإعلان جعل يتزايد حتى
أصبح لا يحتمل .

اقتربت من صخرة بارزة ، وحكت احد
جانبيها بسطحها الخشن ، ثم استدارت
وحكت الجانب الآخر . وعندما استأنفت
طريقها فوجئت بجدها ياكلها بشدة في
اماكن جديدة . فقد شلت البرققات العمياء
طريقها معناية إلى الزعانف ، وانكشفت
بين ثناياها بعد أن غرزت أسنانها ،
وشرعت تمص دماء السمكة .

الأسماك المنظفة !

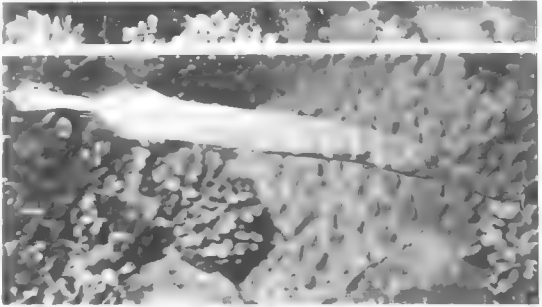
احتلت أسماك الشعاب اماكنها
الذابت بجوار منتجياتها الليلية . وأوحت
تجمعاتها الهادئة بانها في امان نسبي ،
بينما كانت مهددة - في الواقع - بخطر
عظيم .

العولبيات المخية ، تشبه تلك التي
ترسمها معاهدات الصداقة وعدم الإعداء
بين البشر ، فإذا اقرب منها احد غيره ،
انطلقت عليه خيوطا حلزونية تكله ،
وسهاما مسممة تخدره وتقلته .
وإذا انزلت « المشيط » في الماء
متجاوزة المرجان المتكور وسكانه
للحظوظين ، أوشكت أن تصطدم بسمكة
« ابو عريبة » ، التي يغطي جسدها
باشواك دقيقة تكسبه ملمسا خشنا
كالبرد ، رغم انه يبدو ناعما كالخمل ،
وتحدث في الجسد الذي تحتك به
اصابات دموية .

تمكنت من أن تنسج جسدها في
اللحظة المناسبة ، لكن الحركة التي
قامت بها قربتها من كتلة مرجانية
متحجرة ، استقرت فوقها عدة افراد من
الحيوان البحري ذي الصدفتين ،
الغروف باسم بلح حر .

ويشاء سوء حظ شيط ، أن ييض
احدى الصدفتان اختار هذه اللحظة
بالذات ليطلق برقائه . فمن عادة هذه
البرقات أن تتعلق بالأجسام الحية
المتحركة ، لتتغذى على دماها وأجزاءها
الرغوية .

تمكنت بعض البرققات من الففر إلى
جسد « المشيط » ، لكن السمكة لم تشعر



وطحالب متحجرة ، واسـفنجيات
بنفسجية وخضراء وصفراء ، ودودة
ريشية ، ومراجين زرقاء ،
وداخل المنح ، بالقرب من أحد طرفيه ،
وقفت ثلاث من السمكات المنطفلة فوق
لبولها ، تنظر زبائنها في صبر .
وانتشرت افراد من سمك « الناجر » ، بين
للمراجين والطحالب ، تبحث عن
الرخويات والقشريات المدفونة في الرمل
وقد اوشكت شرائطها الصفراء اللامعة
ان تختلئ أسفل بقع داكنة .

ولم تكن « الناجر » في حاجة لمسة
الى هذا الغطاء الترنكي ، بحكم الامان
النسبي المتوفر في اماكن التنظيف ، رغم
فنها كانت في متناول الفك المفترس لأحد
وحوش البحار ، هو الثعلب الكبير ،
الذي اتخذ لنفسه حجرا بين المراجين
للحجرة .

وحقيقة الامر ان الوحش البحري ،
الذي يتجاوز طوله مترين ، هو من اكثر
سكان الشعاب المرجانية خطرا وانطواء
للاضلفة إلى ضعف ابصاره ، الامر الذي
قبح للرومان الاقدمين ان يستأمنوه كما
ستأمن السكاب .
وهو يبقى اغلب الوقت داخل جحره
وعندما يهبط الظلام ، ويشتد به الجوع ،
يغالب تردده ويبريز رأسه من العرين .

عالم الدخار ، لتجمع الاسماك المنطفلة
باماكن محددة ، حيث تقف مهتمة على
نبولها في صفوف متباعدة . كما يقف
الخطافون في أسوار القرى المتناثرة .
فتقدم منها الزبائن مثقلة - مطبحة
بامعاءات وأوضاع معينة ، عندئذ تهرع
إليها المنطفلات لتلتقط من فوق أحسادها ،
لو من أفواها وخياشيمها ، الكائنات
الدقيقة التي تضايقها ، وتبتلعها في
استمتاع .

والى أحد هذه المواقع ، اتجهت
« المشيط » ، بعد ان حكّت جسدها بكل
ما قابلها من صخور وطحالب وأسفنج ،
نون ان تنجح في التخلص من اليرقات
التي دلفت نفسها في اماكن لا يمكن ان
تلتصق سوى الافواه المدرية للمنطفلات .

في انتظار الزبائن

كان الموقع الذي قصده « المشيط » ،
عبارة عن ممر ضيق بين صخرتين
ضخمتين ، برزت أحدهما في الماء برأس
متكور ، غطها المراجين البنية ، بينما
اختلت الترابية تحت غابة صغيرة من
مراوح البحر السوردية ، التي التصقت
بها مجوم ريشية في لون الجلحس

لكن صيد الغروب ليس قاصرا على
المفترسين الكبار وحدهم ، فعلى
مشارف المنتجع الليلي ، وعلى شواطئ
تتوافر فيها درجة من الامان ، سواء من
حيث ضيق امكانها او بعدها عن طريق
المفترسين الكبار المألوف ، تجرى عملية
صيد من نوع مختلف ، تقوم بها عدة
سمك من اكلات الكائنات الدقيقة ،
اغلبها من عائلات « القربان » ، التي
تضم اسماء « ابو ذئب » او العنزة ، ومن
عائلات « المشيط » ذاتها .

هذه الاسماك شاعت ان تتجذب
مخاطر الحصول على اللقمة في المياه
الخارجية ، فراضت نفسها على الاكتفاء
بما يعلق باجساد الاسماك الأخرى - في
نهاية نهار حافل بالأحداث - من طحالب
وبراعيث وديدان وغير ذلك من الكائنات
الدقيقة .

وتسبب العوالق المختلفة ضيقا
شديدا للأسماك ، إذ يتعذر عليها ، في
غالب الأحيان ، ان تتخلص منها بنفسها
ولا تستطيع النوم أو الراحة قبل ان
تفعل ، لذلك تلتصق العيون لـدى
« المنطفلات » .

وفي ظاهرة من أعجب التواهر في

سكة الفراس

تأخيه الوار ثابتة لا تقبل التعهير بحيث لا يمكن الاعتماد عليها في التفكير من اجل تسباع الطبيعة المفترسة للسكة ، وهي من ناحية اخرى ، تماثل - بالصدفة البحتة - الألوان الزرقاء ذات الاشرطة الداكنة لاحدى المنظفات المعروفة ، وهي سكة من نوع الراس .

كان اول من تقدم من السمكة المتحركة سعيا وراء خدماتها ، كشر احمر ضخم ، تحلى عن ميله العدواني ، وفرب جابه الذي أمثلا بالطيفيات والعوالق ، الى فيها .

لكن ، البلبيس « الداهية تجاهلتها » وابتدت عنه في حذر ، فلم تكن من السذاجة بحيث تضعيف وقتها في تنظيف جسد ضخم ، يصعب ايضا اقتراسه . سب ما يتمتع به من قوة ، واد البرك الكثر انها لا تنوي تنظيفه ، هو ذيله ، واستأنف طريقه متقدما من المنظفات الاخريات . وان كان خلاصه تحقيقى لن يتحقق الا على يد نوع من - وبيان (شبيه الجمبرى) يمتنن التنظيف . فهو الوحيد الذى يتمكن من ارتقاء جسده والتجول فوقه بحرية ، بحيث فصل كلامته الى اكثر الامكان

وواتت سرطانا مجاورا فكرة جريه فجمع بكلايتيه حفنة من الطحالب نثرها فوق ظهره بحيث اخفته ، وتسلل في حذر إلى المياه الخارجية بحثا عما يؤكل . اما سكة « البلبيس » المفترسة ، ضئيلة الحجم ، فكانت الكرو داه ومكر ، فقط تظاهرت بانها من اسماك المتكثف مستغلة مشابقتها في الحجم واللون لاحداها ، فاندحت وصعرا راسيا بالغرب منها . سمده الى ديلها مثل - لاجرب ، مقننه بعينه حركاتها ، حتى تنهر المنظفات التى تستسلم فيها فربان لعملية التنظيف في تساع شهيتهما للافتراس .

وليس من الصعب تصور مجموعة العوامل التى اوصلت « البلبيس » الى هذا السلوك الشائن ، سواء ما يتصل منها بالتجارب الاولى في الحياة ، وما يرتبط بتكوينها الجسدى ، ولاشك ان الاساس في هذا الشان يعود الى ما تتميز به من اسنان ماضية ، وطبيعة مفترسة ، وجسم نحيف رخيص ، يحوم في الرغائف الضائقة والعشائك القسوية ، اللازم للدفاع والهجوم ، مما حرمها من القدرة على القتال . واتاح لها في الوقت نفسه اقتراسه بغيره في فكها دون تلبس .

على ان الانوار التى تحملها ، كانت في العمل الحليم في الامر . ففى من

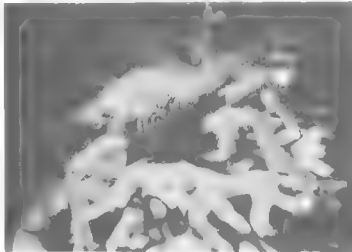
فلذا ما لاحت له احدى الفرائس ، سرت في جسده موجة من التموجات السريعة تمكنه من مهاجمتها دون ان يضطر الى اخراج جسده كله من العرين ، وخاصة ذيله الذى يستعين به كرافعة في جذب الفرائس الكبيرة بعد ان يطعمها باسنامه الخاصة .

وربما كان المصدر الوحيد للخطر في هذا الجو الامن ، يمثل في واحدة من اعجب اسماك البحار ، هي سكة الرعاد بلغت جسدها المسطح في القاعدة الرملية للصخرة المقابلة ، التى تظللها المراوح البحرية .

وتنفرد الرعاد ، التى يبلغ طولها متر ، بوسيلة دفاع فذة وفعالة للغاية ، عذرة عن جهاز كهوى تبلغ شحنته عشرين فولت . اما توليد الشحنة الكهربائية فتقوم به ، عذرة اى تملس ، زائدتان على شكل كيتين فوق سطح راسها . ورغم ان الطاقة المولدة لا تؤدى الى قتل الاسماك فائنه تكفى للقتل الاسلم الصغيرة والقواقع والصدفيات التى تنغذى عليها السمكة الكهربائية .

لكن الرعاد كانت رافدة في خمبول ، تتنظر في صبر ان ترداد حلقة الظلام قبل ان تنطلق للصيد ، الامر الذى شجع سرطانا صغيرا على الخروج من اعماق جحر قريب ، يقطعه مع انشاء وسرعان ما انهزم في تهديد الطريق امام جحره ، مزيجا الرمال بكلايتيه ، مطمئنا إلى الحماية التى تقدمها له سمكة صغيرة من جويس « القويبيو » تشاركه الحياة في البحر .

وليس معنى ذلك ان السمكة الصغيرة ، ذات الرغائف الشائكة ، تستطيع الدفاع عنه ، كل ما هناك انها تحتل مكانا ناديا في الماء قرب الحجر ، فلذا ما شعرت بالخطر اصبحت داخله وتكون في ذلك اشارة كافية للسرطان ، ضعيف الانبساط ، المهتم في العمل ، كى يخفى عن الانظار .



هذا السرطان وضع على ظهره بعض الطحالب فبدأ جزءه من المستعمرة المرجانية التى استقر فوقها .

كان ثمة نظرة فلسفية باردة تطل من العين الصغيرة للسمة العربية ، التي كانت تبلع المياه بجرعة كبيرة . في تنفس متلاحق يشي بانفعالها الشديد . وتقدمت « البليلى » من اعشق « المشيط » وهي تفتح فمها على سمعته ، وسجل مخ « المشيط » الانفعال غير المألوف الذي تبديه المنظمة المدعية ، والذي لا يتفانى مع الجروء الثقيل في لبناء المهنة .

وأدركت حاجة انها في خطر . وقبل ان ينطق في « البليلى » على رقيبها ، كانت قد استدارت حول نفسها في سرعة البرق ، بمساعدة زعانفها القصيرة ، وأصبحت بعيدة عن متناول لعم المفترس . وفي هذه اللحظة الحاسمة ، وقعت لصور كثيرة .

عاشت « الرعاد » صاعدة بعد ان تغلبت على حمولها وخلصت جسدها من فرس .

وولت أسماك « الناجر » الفرار . وبوجست جويي القويين شرا . فأسرعت تلج جحر السرطان . وشعر بها الاحبر بينما كان يتقدم من الممر الذي يهده ، حاملا صدفه صغيرة في كلاته كي يزين بها مدخله . فتخلص عن حملة واندفع خلف القويين . واجتذبت هذه التحركات المفاجئة اهتمام الثعبان ، فكبح جماع خوفه ، واطل من غريبه براسه ، وجزء من عنقه .



وفي الجزء من الثانية الذي التوت فيه المشيط « مبتعدة عن فم « البليلى » وجدت الأخيرة نفسها فوق رأس « الرعاد » مباشرة

ولم يلبث دبلها ان استسلمت بالقضيبين الكهربيين اللذين يبعثون . وفي اللحظة التالية ، كاب التليس . نظير في الماء مفاير الصدمة الكهربائية . لتتلقها فم السحب الموهو .

أما « المشيط » فقد أسرعت بالابتعاد ، وجبانيتها تخفق في الفعل ، وقد كفت مؤقتا عن التفكير في الضيق الناشئ عن كل من الميرقات الطالقة بزعانفها ، والمسألوي المتعددة لسكنها .

صنع الله ابراهيم



لأنحش حيوانات لتختلف شيئا من رملتها .. وفي هذه الصورة الفردية تسلل الحمري .

تملك الاسماك ، رغم محدودية ادراكها فطرة خاصة في امحاضها الضئيلة ، تشبه بالمساعة الوسيه ، تقوم بتسجيل معالم الاماكن والوقائع ، والظواهر الوسيطة بها .

وفي عدد من الصور الـ ١٠٠ ما طرأ تعبير ما على الاماكن المعهودة او على سلوك سكلتها ، كان يظهر احدهم هجاء في مكان وموعد غير مألوف . وبعضها أدركت « المشيط » لأول وهلة ان شيئا غير طبيعي قد طرأ على موقع التفتيف ، ثم تبينت السر في الامر عندما وقعت عينها على « البليلى » . فلم يكن هذا الموقع من الاماكن المطروقة من جانب للمنظمة التي تنكرت « البليلى » على صورتها . وكان في هينتها وحركتها - بالإضافة إلى ذلك - ما يوحى بعربيتها عن للكان . وربما ايضا عن المهنة .

وليس ثمة قمارون في البحر يمتع أي سمكة من الوقوف في أي مكان تحب ، ظالم لا يعترض قاطنوه الاصليون ، كما ان مهنة التفتيف مفتوحة لمن يشاء ان يمارسها من الاسماك المختلفة . لهذا واصلت « المشيط » الاقتراب من السمكة الرفيعة دون تردد . لكن مخها بدا يرسل اشارات التحية لعقبة فروع الجهاز العصبي .

اصبحت أخيرا بجوار السمكة الأخرى ، وهما التقت عيناهما .

نزواء بين قشور الكثر العزيرة وزعامه لكيرة .

أحدث مرور الكثر ديبات خفيفة في لاء ، التفتتها حواس التحمل ، فثارت شهيتها ، وساعده هذا على ان يتعلب على حبله وفريده ، فيبين راسه في جحره في حشر ، ليتبين ما يجري في الخارج .

والحجته . استليس . على الفور هفر .

لا تفعل عن مرهفته . ولم تلتفت . المسيط ان اقبلت تتهاوى في رقة وخيلاء كعادتها ، دون ان يخطر ببالها انها تخطو إلى فخ مميت .

التلعت البليلى « الماء في امعالم وفي تنام المسيط بعين غامرة . للمسكة الرفيعة ، ذات الألوان الساطعة من الفرائس الجذابة ، ان يخلو جسدها عن الأسواك ، ولا تملك من وسفل الدفاع غير خفة الحركة ، وسرعة الزوغان .

فإذا استلعت لعملية التفتيف عجزت عن الانتباه الى هذه الوسائل في الوقت

وكانت حركة « المشيط » توحى بلها

تفاني من الحشرات وتبعي المساعدة .

وليس على « البليلى » سوى ان تقدم

بها قليلا ، وتظهر بانها ستقتولى

سقط جبانيتها ، ثم تقسم لنفسها

لطة كبيرة من لحمها ، وينتهي كل شيء

في لمح البصر .



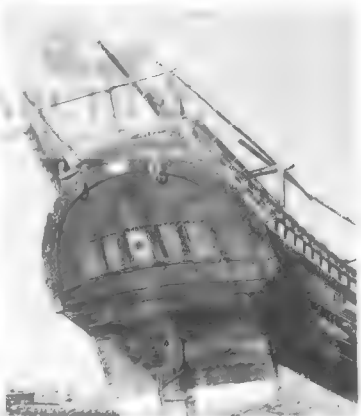
كتاب الشعر

عرض وتلخيص .
كمال سعد

الفُكَيُّونَ والبحر في ملحمة اقتحام المجهول

الكتاب يتحدث عن دور عمان البحري منذ بزوغ فجر الحضارة الإسلامية في العالم القديم ، عندما كان العمانيون يرتادون البحار والمحيطات كتجار ومعتمرين ورحالة بصورة فيها الكثير من الاقدام والجرأة والشجاعة ..

ويروى الكتاب قصة الروح النحلة لبحارة الماضي البعيد والمهارات التي تظهرها في بناء السفن ، وجعلتهم يمدون ايديهم لشعوب العالم بكل ما اكتسبوه من علم وحضارة وتقديم .. ويؤكد الكتاب الحقيقة القائلة بالخليج كنقطة انطلاق للملاحة البحرية حيث رأى اولى محاولات الإنسان لارتداد البحر ، وكيف كانت عمان ملتقى طرق بحرية هامة تربط الخليج بالهند والبحر الأحمر وأفريقيا الشرقية ..



مركب عماني تم بناؤه منذ حوالي خمسين عاماً .. حولته مائة طن وطاقته من ١٩ بحاراً .. وهذه للثقافة المارة أثناء رسوه ، في ميناء « ممبينا » بشرق افريقيا

الفسدان ثم بعد الشاخير لآلها وأرحايف جلاها وقال انكول فيها بئر الله حيا
ومرنا هاتفة بقتن نغتر المغد من أوعد الله لك منين قال اما اننا



هذه اللوحة إلهامة تعطينا فكرة عن طبيعة مراكب الخليج والمحيط الهندي قبل وصول البرتغاليين للمنطقة .. اللوحة من مخطوطة مقامات لخيريري أيجيس من نحوود الواسطي الذي كتبها وصممها الصور في القرن الثالث عشر الميلادي .

العمانيون والبحارة

البحارة العمانيون

إن جذور التجارة البحرية في الخليج متصلة منذ قديم الزمن .. فقد دلت الفلوحات السومرية والأكادية في بلاد ما بين النهرين .. منذ أربع آلاف سنة .. على وجود تجارة نشطة مع مناطق تسمى دلمون ومجان وملخه .. ودلمون هي البحرين اليوم ، وكانت مراكزها تنقل الأخشاب الملك ، لأجلش .. في سومر عام ٢٥٢٠ قبل الميلاد .. ومجان كانت في شمال عمان ، وتتميزت بحضارة عظيمة ولطالما عبرت سفنها من مضايق بحري في مناطق أم النار في مملكة الإمارات العربية المتحدة .. وملخه هي بلاد الحضارة في وادي السند ..

وفي ذلك الزمن القديم كان البحارة عمانيون يقومون بدور حيوي لاستكشاف الطريق البحري القديم وإبقائه مفتوحاً أمام الملاحة .. وهناك نص من مدينة « لأجلش » السومرية عره أكثر من أربع آلاف سنة يؤكد أن أهل مجان – أي عمان – كانوا يبيعون ل سفن التجارية !

وفي مقدمة السلع التي كانت تنقلها المراكب في ذلك الوقت ، النخس ، الذي كانت تنتجه مجان بالطريقة القديمة لصهر النخس في بوقية فخارية .. وهذا غير المعادن الأخرى التي كانت تحملها المراكب ، إضافة إلى الديوريت والعقيق والبصل والتوابل والأخشاب التي من أهمها خشب الساج الذي كان يستورد من الهند ويستخدم في بناء السفن .. وكان التعامل مع هذه السلع يتم بالمقايضة بسلع ومحاصيل من مناطق الأنهار الخصبة كالنسوجات القطنية والحبوب والأصباغ والجلود والملوحي والزيت والمواد الدهنية .

وكان تجار الخليج يستخدمون الإختام لتحديد ملكية السلعة وكان أول من أبدع طريقة لتوثيق المعاملات التجارية بالكتابة هم سكان العراق القدماء !

إلا أن هذا المجد البحري للذي رآته عمان ، سرعان ما تدهور في الفترة الألفية الثانية قبل الميلاد ، بسبب ما حدث من اضطرابات في سائر أنحاء آسيا العربية فقد انعزلت عمان في تلك الفترة انعزالاً تاماً ، وأصبحت منطقة وادي السند بكوثر ، وجاء عصر مظلم عندما احتلها الآريون ونشروا دمارهم حتى وصل إلى الهند ، ونقلت هذه العزلة فألمة ولم ينقش هذا الظلام إلا عقب انفتاح الصلات البحرية الدولية في الفترة الألفية الأولى قبل الميلاد ، وما تبع ذلك من نشاط اقتصادي بين سكان جنوب الجزيرة واليونان والرومان ..

التجارة البحرية

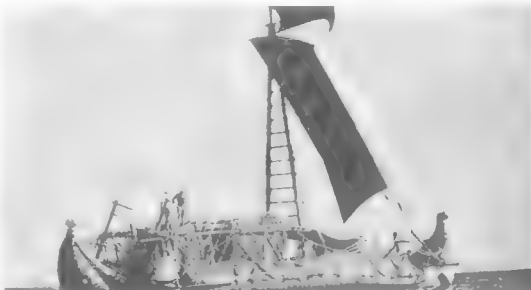
وفي الفترة التي سبقت فتوحات الإسكندر الأكبر كان النشاط البحري في عمان قد دخل إلى دائرة المل .. وأصبحنا لا نعرف عنه غير القليل اليسير من المعلومات .. إلا أن هذه الفتوحات رغم قصرها (٣٣٤ – ٣٢٣ قبل الميلاد) وجدت في عورتها عجيباً في نهضة .. أصبحت في يد الرومان .. واستمر هذا حتى دخلت لرحلات البحر الأحمر والخليج .. غير أن الاعتماد على التجارة فيصفيين لم يؤثر على دور البحارة

العمانيين الذين ظلت مكنتهم تتعاظم في التجارة البحرية في المحيط الهندي ، لتشير الرخاء في منطقة جنوب جزيرة العرب وخاصة سناً ومعين .. وعندما جاء خلفاء الإسكندر وجدوا خبرة ملأى جزيرة العرب في علوم البحار متقدمة ومنطورة .. فقد اتضح لهم مثلاً أن الطرق البحرية حول جزيرة العرب كانت معروفة ومستخدمة قبل فتوحات الإسكندر ..

وقد اتضح من نقوش الحفريات التي اكتشفت في « خور روري » في جنوب عمان أن هذه المنطقة كانت تتمتع برفوذا في الجنوب العربي ، وكانت مركزاً لصناعة اللبان أو المسك كما كان يسميه اليونانيون ، وأن مؤسس هذه المدينة أحد ملوك مملكة حضرموت في جنوب شبه الجزيرة العربية الذي أراد أن يعد نفوذه إلى منطقة اللبان في عمان الجنوبية ، فتم له ذلك ، وأقيم فيها ميناء لتصديره اسمه « سمر » أصبح يمرور الوقت من أهم الموانئ التجارية ، تجنزه السفن المسافرة إلى الهند ، لتعود شهرة عمان البحرية من جديد بعد عام مائة قبل الميلاد ، ولتدخل عمان في عصر جديد .. المساطل البحرية والجماري .. ظل قائماً حتى عام ٢٠٠ ميلادية عندما بدأ الدور التجاري في البحر الأبيض المتوسط بسبب التضخم وانخفاض ميزان المدفوعات وانخفاض عدد السكان ،



حضان اللبان في البصرة
العربية كما سجله ارسطو
لأوربيون في القرن السادس
عشر الميلادي وكتابهم اذك
عن طرق هذا الحصاد في
بلاد عديدة



قارب علم الإمبراطور الشهير المروحي - نور هاتير - ال - بالقرب من ساحل عيسى أثناء رحلته من العراق إلى البحر الأحمر .. القارب من النوص .. وانحسارها في المحيط الهندي بعد أن أغلقت أسواق الرومان في وجهها الأبواب !

واعتاد خطرهم من المنطقة !

وهناك وثائق صينية نادرة تؤكد أن العرب حلوا محل الفرس في مزاولة تجارة البحرية مع الصين وذلك في أوائل القرن الثاني للهجرة ، وكان أول عرس يقوم برحلة إليها هو التاجر العماني أبو عبيدة عبد الله بن القاسم الذي ملا مركبة في عام ٧٥٠ ميلادية بالصهار والاختساب من سواحل الصين !

وكان العرب يشترون - أيضاً - من الصين الحرير والكافور والمسك والتوابل ومصنوعات الخزف الصيني قبل عودتهم مع بداية الرياح الموسمية الشمالية الشرقية التي تهب على البلاد ما بين أكتوبر ونovمبر من كل عام ..

ولكن هذه العلاقة التجارية الوطيدة بين الخليج والصين تعرضت في القرن التاسع الميلادي لنهاية مؤسفة ، حيثما هجم المتحمدون الصينيون على مدينة «كانتون» باعتبارها عصب التجارة الصينية ، ونهبوا كل شيء ، واعتدوا على الجاليات الأجنبية ، وعندئذ توقفت الرحلات المباشرة ، وإن كانت التجارة بين الصين والخليج استمرت ولكن من خلال مناطق أخرى ! وكانت الهند - بالطبع - أقرب إلى التجار العرب من الصين ، فنشطت

رحلات

وعلى علم الدولة الإسلامية في عهد الفتح إلى المصالح التجارية وقد بين الخليلج والبحر الأحمر ، وتم التنسيق بينهما من خلال التفاتين القامتين بين مختلف أجزاء الدولة الإسلامية ، وطوال حكم الخلفاء العباسيين في بغداد أصبح للخليج علاقة مباشرة مع الدولة الإسلامية ، وعادت عمان - وخاصة صحر - مرة أخرى إلى الإضواء ومن الوقائع التي ترونها كتب التاريخ العمانية تكتشف خبرة العمانيين بالبحر وعلمهم الواسع في كافة مجالاته .. من أهم هذه الكتب - كشف الغمة - الذي يروي كيف أن هارون الرشيد في نواحي أيامه أمر بحملة إلى عمان ، ولكنها هزمت هزيمة تكراً ، وعندما أراد قائدوها أن ينجو يسفحه طارذته السفن العمانية وأسرتهم وأودعته في سجن صحر .. وفي نفس الكتاب يتضح أنه بعد تلك الحملة بسنوات جاءت مجموعات من القراصنة من ساحل الهند القريب على متن سفن كبيرة كانت تسمى «بوراج» ، ويدأوا بعملون فساداً في السواحل العمانية وينهبون تجارتها ، فاعادهم الإمام حسن ابن عبد الله مراكب للرد على غاراتهم

وأدى ذلك إلى انكشاف التجارة وانحسارها في المحيط الهندي بعد أن أغلقت أسواق الرومان في وجهها الأبواب !

وعندما جاءت دولة الساسانيين في فارس عام ٢٢٥ ميلادية ، بدأت تشجع لنقل البحري في الخليج ، وألقت الأضواء مرة أخرى على شمال عمان ، خاصة بعد المحاولات التي كانت تبذل لتحويل تجارة المحيط الهندي من البحر الأحمر إلى الخليج واتخاذ مدينة صحر مركزاً للنشاط البحري العماني ، وقد استعان أرششير الأول مؤسس الدولة الساسانية ببعض العمانيين للعمل كحجارة ..

وتدخل المنطقة عقب ذلك في صراع بين الساسانيين من جهة ودولة أكسوم للقوية من الجهة والمسيطر على جلبي البحر الأحمر من جهة أخرى ، كان من أثره عزو أكسوم لليمن وتدخل الساسانيين في جزيرة العرب ..

إلا أن هذا الصراع سرعان ما انحسر مع ظهور الدعوة الإسلامية عام ٦٦٢ ميلادية وما تلاها من فتوحات عربية أدت إلى إدراك دولة الخلافة لأهمية الخليج كمركز تجاري وملاحي ..

لقطة من مدينة صور العمانية التي تدل
لجهود الآن لتشجيع السيل النجارية على
زيتها

احمد بن معلى الكعبي .. رسمه شهر
هنا في نيويورك إدوارد مونى (١٨٤٠)
وعلى الحائط خلفه صورة سفينة
الشهيرة : سلطنة !



العُمانيون والبحر..

الرحلات إليها ، حيث كانت تزود عمان
بالإنتاج الضروري كالمواد الغذائية ،
ومنها أخذ العمانيون زراعة الليمون
الذي أصبح من أهم محاصيل البلاد ،
كما أخذوا صناعة الأدوات الخشبية
والمعدنية الدقيقة الصنع بكل ما فيها
من مؤثرات حرفية وفنية !

وقد ذكر «المسعودي» كيف أن
أصحاب المراكب التي كانت تبحر إلى
أفريقيا الشرقية في القرن العاشر
الميلادي كانوا من العرب العمانيين ،
وكان أقصى ميناء يصلون إليه هو ميناء
«سفالة» في موزمبيق الذي كان مقرا
لتجارة الذهب !

وكانت أغلب مدن الخليج في تلك
الفترة تعيش على التجارة البحرية ..
وكانت صحار من أهم الموانئ العمانية



مالا . ولا تكاد تعرف بجميع بلاد
الإسلام مدينة أكثر عمرا ومالا من
صحار !

الزلازل والسفدياد

ويأتي بعد «صحار» في الأهمية
اليمنية منطقة «ظفار» التي ساعد
موقعها على الاستفادة من الطريق
التجاري للبحر الأحمر ، فكانت ترسو
بها السفن العائدة من المحيط الهندي
أثناء طريقها إلى باب المندب في البحر
الأحمر .. وقد وصفها الرحالة الشهير
مركو بولو عندما قال ، أن ميناءها جيد
جدا ، وأن بينها وبين الهند حركة نقل
بالمراكب عظيمة ، وبها أعداد كبيرة من
الخيول العربية التي تحقق في الهند

التجارية التي بلغت أوج شهرتها عندما
نالت عمان استقلالها عن السلطنة
العباسية ..

وفي القرن العاشر الميلادي كانت
المفاجأة عندما هاجمت عمان بأساطيلها
ميناء البصرة .. ولعل ذلك هو الذي دفع
العراق في عام ٩٦٥ ميلادية إلى توجيه
حملة تاذيبية إلى صحار دمرت ٧٩
مركبا ، لتصبح عمان عقب ذلك خاضعة
- مرة أخرى - للولاة الذين تعينهم
السلطة المركزية !

إلا أن هذا لم يمنع صحار من إعادة
بناء سفنها لتتجر عباب البحر ، ولتعيد
الصفحات التي ذكرها عنها الرحالة
الإصطخرى من قتل عندما قال : «وهي
على البحر .. وبها ملاحر البحر وقصد
المراكب ، وهي أعمر مدينة بعمان وأكثر

كثير المراكب العملاقة شهرة هو ما يطلق عليه
«الدين» وهو من المراكب التي سبقت
المناجح الدوئعالية .. وما زال يستخدم حتى
يوماً هذا على المستوى المحلي

للملاح البرتغالي الشهير «فاسكوندي جاما»
قاده الملاح العملي الشهير أحمد من
ملاحد إلى أول رحلة عبر المحيط بين أوروبا
والهند



التي انحدرت منها قصص السندباد
التي ذاع صيتها !

اختفاء السفن الشراعية !

ومع وصول البرتغاليين إلى الخليج
فقد العمانيون مع غيرهم السيطرة على
تجارة الشرق ، وادى اكتشاف طريق
جديد إلى الشرق عبر رأس الرجاء
الصالح إلى ان فقدت التجارة في البحر
الأحمر والخليج أهميتها ..

وقد بدأت الكوارث في عمان عندما
وصل «الفونسو البوكيرك» بسفنه
البرتغالية إلى المنطقة ، وأحرق في عام
١٥٠٧ ميلادية أسطولاً من مراكب صيد
السمك .. وحُرق عقب ذلك إلى قلعات
ويهب المدن وأحرقها ، وعندما فشل في

ذلك - تحلّت مكائنتها التجارية ، وزار ابن
بطوطه ميناءها الأول «قلعات» في القرن
الرابع عشر الميلادي وقال عنه : مدينة
على الساحل ، حسنة الأسواق ، لها
مسجد من أحسن المساجد ، حيطانه
بالقشاني وهو مرتفع يطل على البحر ،
وهم أهل تجارة ومعيشتهم مما يأتي
اليهم به البحر الهندي ، وإذا وصل
اليهم مركب فرحوا به أشد الفرح !
غير أن «قلعات» تدهورت في القرن
السابع عشر ، وتقول الروايات ان
زُلزلاً وقع بها فدمر منازلها !

وقد وصف كثير من الرحالة دور
ريابنة السفن في هذه المنطقة وغيرها ،
حيث كانوا يرتادون البحار ويقطعون
أطول الطرق البحرية في القرون
الوسطى . ويؤلّعون القصص والحكايات

أريحا طائلة ، وتنتج أرضها اللبان
الأبيض بكثرة ، وأحياناً يسيل اللبن
من الأشجار بسبب شدة حرارة
الشمس !

أما «هرمز» القديمة فقد قامت على
لساحل عند مدخل الخليج ، وكانت
تسيطر عليها قوة عربية من عمان ،
وكانت لها تجارة رائجة مع الهند ،
واهتم حكامها بساحل عمان وخاصة
«قلعات» التي كان ملك هرمز يلبث
بها كلما وجد نفسه في حرب مع ملك
قوى منه ، نظراً لمناعتها وموقعها
الاستراتيجي الفائق !

وبعد غارات القنار اضطر أهل هرمز
القديمة للهجرة إلى جزيرة «قشم»
بحريرة «جيزون» ثم زحفوا على قلعات
بغفار .. وبدأت هرمز الجديدة - عقب

العمانية البحرية (١) المراكب

حتى عام ١٨٥٠ ميلادية عندما أصبحت أقل قدرة على الدخول في منافسة مع تجارة النقل البعيدة المدى ، واخذ هذا الظهور يزداد مع ظهور الأساطيل البحرية الحديثة واختفاء دور السفن الشراعية من عالم التجارة البحرية !

المراكب العمانية

ويتطرق كُتّاب «عمان وتاريخها البحري» عقب كل ذلك الفيف من المعلومات ، الى الحديث عن طرق الرياح الموسمية في المحيط الهندي ، وعن الملاحة العمانية ونظرياتها واكتشافاتها البحرية بما فيها استخدام الملاحين العرب للثورة المغناطيسية ورسم الخرائط التي كانت طار اعجاب المكتشفين البرتغاليين الأوائل .. ويتحدث - أيضاً - عن الملاح الشهير أحمد بن ماجد الذي اقترن اسمه بتاريخ الملاحة وعلوم البحار وكيف قاد الملاح البرتغالي «السكر دي غاما» الى أول رحلة تتم عبر المحيطين أوروبا والهند .. ثم يصف الكتاب في دراسة مطولة المراكب العمانية قبل البرتغاليين / وبعدهم ويقدم لنا كافة أنواعها بما فيها القنجة والبغلة واليوم والسنبوق والشوعي والجاموت وابو بوز والندى والعويسية والبنبل والبقارة والشاحوف والهوري والشلثة والرمث وغيرها .. ويتناول الكتاب عملية بناء السفن وتجارة المراكب العمانية المعاصرة ورحلات أشهر السفن العمانية كالسفينة سلطنة التي زارت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٨٤٠ ميلادية ..

وهو يقدم كل ما فيه من خلال سرد تاريخي وعلمي ، يجعلنا ندرك مدى الجهد الذي بذل من أجله .. فقد اشترك في اعداده - الى جوار وزارة الاعلام والثقافة العمانية - عدد من كبار رجال الثقافة والتاريخ في المؤسسات البريطانية والأمريكية والأردنية والكينية .. وكان الهدف الواضح من الكتاب هو إلقاء الضوء على حضار عمان وتاريخها البحري الذي اثر في العالم كله : .



هذه اللقطة في مدينة مسقط ، تُسلو فيها الواجهة البحرية التي كانت متواجدة قبل تنفيذ برامج تنمية في السموات الأخيرة .. هذه اللقطة عمرها ٢٢ عاماً .. تبدو فيها مناظر لبعض القوارب

مركب بشكل عرسي وحلال حكم ، بالعبارة بحتا لعمانو من استخدام لأساليب الجديدة في صناعة السفن واتقنوها ودخلوا تغييرات جوهرية جديدة عليها أدت الى اكتشاف أساليب جديدة في الملاحة ..

واستطاع العمانيون عقب ذلك ان يبنوا اسطولا فرضوا به هيبتهم على الساحل كله وأن ينهوا نفوذ البرتغال في سواحل إفريقيا الشرقية بما فيها مدينة «مبيضاء» على ساحل كينيا ! ووصلت السيطرة العمانية على بعض الموانئ الى حد القلعة حاميات دفاعية بها ، وكان وصول السيد سعيد - الماع الحكام العرب في القرن التاسع عشر - الى زنجبار على سفينة مزودة ب ٦٤ مدفعاً تحرسه ثلاث فرقاطات وسفينتين ومائة مركب نقل وستة الاف مقاتل ، هي بداية مرحلة جديدة في تاريخ عمان ، فقد أصبحت زنجبار موصوله عاصمة للتعليم العماني ! ونال النفوذ البحري لعمان يتعاظم

اجراء ملفوظات مع مسقط اطلق على مانيها ومراكبها النيران ، وأبحر الى صحرار ثم خور فكان قتي نهبتها قواته ، وعندما وصل البرتغاليون الى هرمز وجدوا في انتظارهم العديد من المقاتلين ودخلوا معهم في معركة اعتمدوا فيها على مراكبهم السعة التي حققت لهم الانتصار والسيطرة على تجارة الخليج بعد سقوط هذا المعقل البحري الهام ! إلا ان الاحداث توالى عقب ذلك مع ظهور منافسة حامية بين الاتراك العثمانيين والبرتغاليين من أجل السيطرة على الخليج ... واستطاع العمانيون في نهاية الامر انهاء السيطرة البرتغالية بانفسهم . وكان قائدهم هو الامام ناصر بن مرشد بن سلطان اليعربي الذي طرد البرتغاليين نهائيا من البلاد في عام ١٥٦٠ ميلادية ، ومع رحيلهم لم يبق من اثرهم غير بعض المباني والحفلات والأساليب الجديدة التي دخلت على صناعة السفن في المنطقة ومن بينها استخدام المسامير الحديدية وتصميم مؤخرة

كمال سيد

لوحات فنان
تبحث عن الحياة والحرية

الأساس

هي ضمير
كل فنان
فلسطيني



من لوحة الشهيد .. عندما يتحول الإنسان إلى رمز للصمود

لفنان ياسر أبو سيدو

رسائله إلى العالم أجمع خاصة وأن الفن
- كما هو معروف - لغة عالمية حضارية !

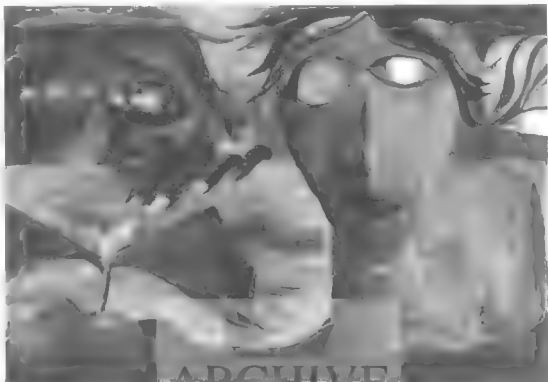
● وأسأله : ولكن لماذا نتجه في
أعمالك إلى السريالية ؟

- ويقول لي - لأنها إحدى لغات الفن المعاصر
والفنان مهما كان شكل اتجاهه الفني فإن
التزامه الحقيقي يبرز من خلال أي اتجاه فني
.. وأنا أرى أن الحياة من حولنا تدور في
سريالية .. وأصبحت أدرك أن السريالية
الحقيقية أصبحت موجودة في ضمير العالم

الفن الفلسطيني ياسر أبو سيدو الذي
قام معروضة الثالث في فندق رامادو بمدينة
الدوحة يطالب بتسجيل التراث الشعبي
الفلسطيني من العيث الصهيوني الذي
يستهدف تطويعه لصالحه واعتصاب كل
الجزور الأصيلة لهذا الفن الذي ارتبط
بتاريخ الشعب الفلسطيني منذ آلاف
السنين .

وهو كرسام تشكيلي يرى أن للفنان
الفلسطيني مطلب في هذه المرحلة بلدات
بأن يكون ملتزماً بمواقع القضايا ، حتى يوصل





زهرة البرتقال .. رمز الأمل والحلم

مفلح ويمنعهم ورثه ص .. هي وحى حياه الخيالات



من حولنا .. الا ترى معنى ان احلام الخيال
اصبحت تبدو في نظرتنا اكثر منطقية من

الواقع ؟

● لماذا ؟

.. لان قوى الضغط العالي اصبحت تحول
الأكاذيب الى حقائق .. والطفلق الى أكاذيب
.. ومن هنا اصبح المنظوم ظلالا ، واصبح
الحقاد في سميل ارضه وشعنه وبيته ورميح
ظفولته .. في نظره .. مجرد ارضه يستحق
قصي القصص !

● هل هذا الرأي هو الذي تقدمه في

لوحقتك من خلال رموز كآزمنة

وانتمس والبيضة والصخرة ؟

.. نعم .. فالشمس هي الحقيقة ، والزهرة هي
الامل .. والصخرة هي القدس .. والبيضة
هي الاجيال القادمة التي ستحقق حلم
العودة ان شاء الله .

● ومادا عن الحقيقة الخاصة

بالألوان التي ملحتها في لوحقتك ؟

.. انني كفتار مقلد بقصيدي اعتمر جميع
اعمال الفنية مقلدا سيبيا ، ورغم النحوي
في الاشكال المألوفة فلدي ان يكون العمل
مقلدا سيبيا يحكي قصص البطولة ،



محاكمة برىء

ويعد عام واحد اقام معرضه الخاص الثاني في مدينة منفازى ليبيا .

والتأمل لجميع لوحات هذا الفنان الشاب يلهم فيها مزيجاً من الواقع والخيال السريالي . كما يلاحظ تعدد المعالجات الفنية في كافة أعماله ، فلوحات بين الحفر والتصوير بالألوان الزيتية ، واللاكتيات والإحبار .

وفي قراءة صغيرة لكتيب المعرض الذي أعده أبو سجدو عن لوحاته الخمسين ليوزعه على عشاق الفن التشكيلي في مدينة النوبة تجد أنه قد كتب في بدايته كلمات رقيقة تدعير عن مشاعره المندفلة وإحلامه في النص والعودة يقول فيها : فلسطين يا حبيبتي .. إلى كل ذرة من ترابك ، إلى كل شهيد قضى في سبيلك ، إلى كل انفسا يعمل من أجل تحريرك .. أقدام خمطوطى والقوامى وهمومى ومشاعرى أقدما هكذا بعيداً عن الحواجز والأسلاك للشبكة التي يتصل من أجل إزالتها كل المخبئين عن الحرية والحياة .

إنها مصفات فنل يهر عن مشاعره ، غارما أقدامه في تراب الأرض ، داعياً إلى الجهاد في سبيل الله .

الفلسطينى وهو يحمل مسؤولية تحرير وطنه على كاهله في صورة كلاح مسطح .. وهي .. كما ترى .. الصورة الوحيدة والصيفة الثريدة لاستعادة فلسطين .

.. أما لوحة (الشهيد) فهي ترمز إلى بطولة هذا الإنسان اللذ الذى تحول إلى شمعاً محترقة من أجل أن يضيء طريق النصر للأحرار .

.. أما لوحة (الموتقرا تقاتل) فهي ذات طبيعة خاصة وهي تعنى في لغة الفنان إعادة الصياغة لبعض الأعمال الفنية الخالدة من خلال رؤية جديدة ، فلو عانت النوباليزا من جديد لحملت السلاح وانتقلت في صولجان تقاتل النظم والظالمين ! (أيهم يحتلون الشمس) .. الشمس رمز للحقيقة الساطعة التي يتحولون طمسها ... وكفى !

ولا يفوتنا أن نقول بأن الفنان التشكيلي يسر أبو سيدو من مواليد مدينة يافا عام ١٩٤٧ م ، وقد درس الفنون الجميلة بلقاهرة وحصل على المكالوريوس من كلية التربية الفنية عام ١٩٧٣ م ، وفي نفس العام قام معرضه الأول في قاعة احتلت بلقاهرة ،

ويعيش مع البطولات المستقلة للشعب الفلسطيني وثورته المسلحة ، وقد حاولت قدر جودى أن أجعل الألوان مشاركة في إبراز هذا المعنى .

● اندر .. ما هي اللوحة الفنية في مطرك ؟

.. هي عبارة عن طلفة صامتة تحمل شحنة انفعالية ، ولابد من استثمار هذه الطلفة لصالح كسبتنا الفلسطينية العادلة .

● وما الذى تعنيه أسماء بعض لوحاتك ؟

.. (مفتاح القدس) .. هذا العمل تصميم للمفتاح الشكارى للحمية المقدسة ، وهو يحمل أول اسم لحدية القدس وهو (يونس) عندما أسسها إجداندا الكهنةيون العرب ، كذلك يحمل اسم (بيت المقدس) وهو اسمها عند الفتح الإسلامى ، ويحمل اسم (القدس) وهو اسم عاصمة فلسطين حالياً .

اضافة إلى قبة الصخرة وكنيسة المهد والشمس .. وكما ترى فإن مقامة المفتاح هي مقدمة المنطقية التي يرفعها شعبنا المناضل لاستعادة هذه المدينة العظيمة .. لوحة (الفلسطينى) تصور الإنسان



لوحة بعنوان « الرافعة » للفنان ثولور لوتريك (١٨٦٤ - ١٩٠١)

باريس

تحتضن

الفن

الذي رفضته

منذ ١٥٠ عامًا

بمقام

نقطة سيطرة

منذ مائة سنة وثيف ، رفضت أعمال ثلاثين فنانا انطباعيا من قبل هيئات التحكيم الرسمية ، واعتبروا حركة سلخطة على الفن الاكاديمي الرسمي . اليوم يتصدر هؤلاء متحفا كاملا باسمهم في ساحة كينكورد في باريس ، وفي بعض قاعات اللوفر ، ومتاحف كثيرة اخرى .. هؤلاء هم اصحاب المدرسة الانطباعية التي ثارت على كل مفاهيم الفن الكلاسيكي القديم بكل ما فيه من اشكال قديمة فقدت مضمونها مع الزمن .

الرسم بالألوان

جاءت كلمة انطباعية ، في لوحة عرضها - كلود مونيه - بعنوان « شمس مشرقة - انطباع » .

وقد اثارت هذه اللوحة موجات



راقصة باليه على المسرح .. عنوان لوحة خالدة للفنان ديغا (١٨٦٤ - ١٩١٧)

باريس تحتضن الفن الذي رفضته!

استياء وغضب من المزمعين ، واستحق
من اسمها كلمة الانطباعية ، لكي تشير
الى الحركة الفنية الجديدة التي كان
هؤلاء الفنانون يمثلونها .

فالفنان الانطباعي تغلب عليه النزعة
الذاتية على النزعة الموضوعية .
والفن كما نعرف لا يمتدح او يعزل ،
إنما يخلط بلقضية . وفنانو المدرسة
الانطباعية هم فنانو البصيرة . فالى ما
قبل حوالي المئة سنة ونيف ، كان الفكر
يعد - ضمنا - القوة المسيطرة للفن ،
فالفكرة كانت سيدة الشكل .

وجاء الانطباعيون بتحد جديد لتاريخ
الفن ، وهو أن يرسموا عن طريق الذاكرة .
فقط بوضعها في لطخات سريعة ، ضمن
تلاعب نور الشمس على الأرض ، فكان
التصور الذهني لا نفع منه ، بل كانت
محاولتهم متوترة ، مباشرة ، يمكن
تشبيهها برسم الخطوط على ثمر متحرك .
والقضي بالتالي تحقيقها لحظويا ، من
التخطيط الى اللون ، من التصور الى
التنفيذ ، من رؤية الذهن ، الى رؤية
العين .

الإنسان والصورة

وإذا استمعنا إلى « سيزان » وهو من
البرز القاطب هذه الحركة ، يصوغ لنا
المبادئ الفنية الأساسية لدى
الانطباعيين فيقول :

« لا يعدو الفنان إلا أن يكون جهاز
تسجيل للمدركات الحسية . لا نظريات ،
بل عمل . فالتنظريات تفسد الناس » وإنما
نحن فوضى لامعة . أنا اتجه لموضوعي
وأضيع فيه . إن الإنسان يجب أن يختفي
تماما من الصورة ، ويسغرق كليا في
الطبيعة والمظهر ، ذلك الاختراع البودي
الذي يعطينا الاطمئنان بلا عواطف حارة
بلا روائع ، بل بالآوان . »
ويستطرد سيزان مؤكدا :



امرأة تحت المظلة .. لوحة تعبير عن الصديق الذي تجس له الفنان مانيه



حفلة .. للفنان بزيلى (١٨٤٦ - ١٨٧٠)



وجبة الحذاء .. من واقع الطبيعة والمنظر للفنان جوجلى (١٨٤٨ - ١٩٠٣)



لأعدو الوثيق .. للفنان سيزان (١٨٣٩ - ١٩٠٦)

ويومها تصح مانيه - صديق دودليز وزولا - محافظ باريس بالا يغطي حوائط قاعات الاجتماع في فندق « دوفيل » بلوحات تاريخية أكاديمية بل بأشخاص وموضوعات من العصر فلا يشعر المشاهد باغتراب عن الفن .

وقد رسم الانطباعيون أحداث الحياة اليومية ولاحظوا جمالياتها في رسمهم : الأسواق التجارية ، محطات سكك الحديد ، جسور السين ، الحدائق العامة وكل نشاطات الحياة اليومية ... ولم يكونوا جميعها متفائلين ، فلفنان « فان جوخ » ، الذي يعتبر منهم ، ويعد كرمز للابداع ، اختار موضوعات لوحته من الواقع الاجتماعي الذي يفيض بالنعاسة فكانت خطوطه عريضة مكثفة وخشنة تعتبر عن مضمون موضوعه ...

« الانطباعية هي تلكيك الألوان على اللوحة لم إعادة تراكيبها في العين . أي ان اللوحة لا تمثل شيئاً . ولا ينبغي لها ان تمثل شيئاً غير الألوان » !

مع أحداث الحياة

وقد اتجه الانطباعيون - بحماس شديد - إلى تصوير أنس عصرهم وموضوعاته . أخذوا يتأملون الأشياء العادية باهتمام ، بلا خوف أو تكتم ، حتى إذا كانت تلك الأشياء قبيحة أو مشوهة ... ولقد صاغ « مانيه » هذا الموقف بقوله :

« إن الرسام اليوم لا يقول : انظر إلى هذه اللوحات الخلفية من الخطأ ، بل يقول : انظر إلى هذه اللوحات الصادقة ..

بأرييس شعثين
الفسن الذي رفضته!



من الرجل المعلق .. رائحة أخرى من روائح الفنان سيزان

لذلك خرجوا باعينهم الى الطبيعة ، ورفضوا الرسم من الذاكرة ، وفي داخل مراسمهم ، فعاشوا الطبيعة لحظة بلحظة ، وتلقوا الانعكاسات اللونية للأشياء لا الأشياء ذاتها .

المجد بعد الموت

ويخص متحف الانطباعيين في ساحة الكونكورد يومياً بخمسة آلاف زائر ... واصبح هؤلاء الفنانون جزءاً من تراث فرنسا ، تفخر انهم وجدوا فيها وتفاعلوا في أرضها ، واصبحوا ككل الفنانين في العوالم المختلفة يعيشون امجادهم بعد موتهم .

تهى سمارة

وتفكيك اللون الموضوعي إلى قيم ، والنقط المرتعشة المرتعدة ، وضربات الريشة السريعة ، المفاجئة ، وكل التفكيك

المرتجل بتخطيطه لاسريع الخشن ، والادراك العابر الذي يبدو غير عابئ بالموضوع ، كل هذا إنما يعبر آخر الامر عن الشعور بواقع مثير ، حيوي ، دائم التغير ، وهو الشعور الذي بدا بتغير الاتجاه القديم في التصوير ، الأخذ بفكرة « المنظور » حيث لم يعد الانطباعيون يلتزمون بقواعد المنظور ! ولقد حرر الانطباعيون الفن التشكيلي من الموضوع الأدبي ومن الحكاية ومن كل معنى يمكن أن يصاغ بكلمات اللغة . واصبحت وسيلة تلقى هذا الفن وتفهمه هي العين لا العقل .

ويلتقى الانطباعيون عند ايمان عميق لديهم هو التغير ، إنهم يؤمنون كما قال دات يوم الكاتب العلمي د. هـ لورانس بأن كل شيء يتغير ماعدا التغير نفسه ! وهم بذلك يؤكّدون أيضاً فلسفة « هيرقليطس » بذلك « النهر الذي لا يستطيع المرء أن ينزل إليه مرتين . .. فكل لوحة انطباعية هي تسجيل للحظة في الحركة الدائمة للوجود » وعرض لتوازن مهدد ، غير مستقر ، لتفاعل القوى المتصارعة .

والرؤية الانطباعية تحول انطباعية إلى عملية نمو وتحلل ، فكل ما هو ثبت تفكك يتجه إلى تحولات ، ويتخذ طابعاً متغيراً غير مكتمل .. فتصوير لقضوء والهواء والجو ، وتحليل السطح التساوي إلى بقع وخلوط لونية ،



ما زالت الناصرة في البرنغال عريقة!

والرحمة سلوكهم . فلما فلتوا أن الدنيا
دانت لهم وأمه لا غالب آتاهم أمر الله
فلما هم حصيد خامدون ..
عيق البرنغال وثروته جداول الماء ،
وهيمنت الحصون يثنيها نسيم الأصيل
فحلكت قبود الأوانس المنبذات في هذي
الجنان .. كلها تميل الرأس ، وتخدر
الحس ، إلى أن تنهض من الوجدان
غلائل سوداء من مأساة الإسلام في
الاندلس فلذا أنت ترى كل شيء خلال
الدموع متشحا بالسواد فيالك لي ما
الذي جاء بي إلى هنا .. ويالك من لقايا
كانها لقايا قيس بليلي وهي في عصمة
ورد .. وتكرتني ليلي ومجنونها بشوقي
ونقيبه هنا في الأندلس أيام همست له
بسيبته العصماء فهو أبدا :

مسططر إذا البواخر ربت
أول الليل أو عوت بعد همس
قال صاحبي : ألا تجلس للقهوة في
لفيرا ؟ فقلت له على تراخ وحزن : بل
أخرجني منها سريعا ، فانا ضائع القلب
فيها بين صورتها في عصر المعتد
واقعتها الآن بغير توحيد ولا رشد ..
ومضت السيارة تنهب السدوب
المستترات بتشلك الأعصان
فما لشعاع من الشمس وأحد
درب بين زحمة الأوراق والأصان

مراعي نحن الآن في « الفيرا » فكانما
طعني ياقة حلاقة ، فما لي بغير الجرح
جس ولا بهميل ..
الفيرا .. يقولون : الفيرا .. مثل جلمه
كأنك لا تعرف ماذا يعني ال فتحتي
أعير تصد بحرس - ريس سريح شد
الليل .. ولأظ الرجل شدة اضطرابي
وعليسة الدمع على محارجي - ورعدي
لما سمعت وما كنت أرى هز رأسه يقول
وهو يخاطب نفسه بالانجليزية .. حيث
هي وسيطة الاتصال بيننا - نعم .. نعم
.. إنها كانت مدينة عربية في كل شيء
لحلت السنين ... هاهو ذا اسمها جال
فأدة التعريف العربية ، ما يزال على
حاله ...

الله يا الفيرا .. ما زالت طفلة الحسن
كلمة تميسين في رواء شباب لا يشيب ،
وحياة خضراء ضح اخضرارها حتى في
قسوق والعروق ... عزاء للمسلمين عربا
وبربرا وصقلية لما أصابك من خفوت
الأذان ، وانقطاع الذكر للواحد الأحد لم
بد ولم يولد .. فمن قبل المسلمين طالما
تداولت الأيادي .. وتهاوت على فضلك
البنود والأعلام .. سقيتهم جميعا كؤوس
قهوي وظارحتهم أرق عذرات الغرام ..
وغلوا وغلب صوابهم ، وضاعت في هذا
لجعل الحلال مرادهم .. ثم أرتخت
عن السلاح أياديهم ، وجانب العدل

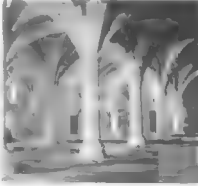
ليت صاحبي ما توقف في « الفيرا »
فهناك لم تكن الدور ومندستها ، وقسمات
فوجود وتعبيراتها تعيد لي صور الماضي
كعظيم المندش وحسب ، ولكي كنت من
قريب قبل ذلك قرأت كتاب المرحوم علي
أدهم عن حياة « المعتد بن عبد
والرجل أقد كتاب التراجم في أدبنا
الحديث لأنه لا يعيد لك سيرة من يفص
حياته وحسب ، ولكنه يستنهض عصره
كله من ركاب الماضي البلاد فلذا أنت مع
أهل ذلك العصر تشاطرهم حياتهم ،
وتعيش معهم مخلوهم وأزمتهم ،
وتعنى لهم في أفراحهم ... ويكل سحر
العربية المطوعة بين أنامل ذلك الرجل
فأنت تحيا بهجة الساعات مع مؤلفاته
نعلما كما يحصل لك من قراءة تراجم
« أندريه موريا » و « روبري » وغيرهم
من عمالقة كتاب التراجم في الغرب

مدنية شهدت تقليبات القدر

أقول قد كنت لثاني مرة قرأت ترجمة
على أدهم لسيرة المعتد بن عبد ،
فما تزال « الفيرا » تلك المدينة التي
شهدت مرارا تقليبات القدر الحادة في
حياة المعتد ، تمثل في خيالي بكل
روائها وخيرات أرضها وسمت الأندلس
العربي تتجلى فيها ... فحين قال لي

ثلاث للقطات .. الأولى على اليمين
إيضاء في شبيونة نرى في أصميتها
وقواسه الطراز الإسلامي الجميل ..
ونرى نفس الطراز الفنى في اللقطات
الأخرى لبعض الأبنية في مدينة
القيصرية

الأثر الإسلامية الباقية في البرتلال



شاهدناها .. وانظروهم في ملابسهم فهل
أتى لونا واحداً فاتحاً ؟
وايولاه إن الماساة ما تزال تمد روايتها
عبر القرون على نوازي أولئك
المتضعفين من بسواقي المسلمين
الاندلسيين ، فكانما الشجر لا يرد
بخفيه إلا اصداء نشيج اجدادهم حين
كان التعصب المجنون وصالحكم التفتيش
لدموية تحيل حياتهم جميعاً لا يطلق ..
الله اكبر .. هنا لهم بوضوح كما لم
يقم في حياتي كلها معنى قوله تعالى
: «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلَهَا بَيْنَ النَّاسِ» ومعنى
قوله «وَأَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ آفَلٍ أَمَرَهُ
لَهُمْ وَمَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ..»

وسالت نفسى : ما الذى جاء بجدادى
من العرب إلى هذا المكان الأوريس من
ساحل بحر الظلمات ؟ والجواب طبعاً
دعوة الأيام ورسالة الاسلام .. لم تذكرت
كتاب علي ادهم عن المعتمدين عباد وما
أضحت به الحال بالناس من التفكير لثنية
قديين ورسالة رب العالمين .. ورايت
منطقياً جداً أن يخرج العرب حتى بعد
سمعة من السنين من هذه الجثث
المعددة على مدى البصر .. وأخشى ما
أخشاه الا ينقل لهم سوى أرض العرب
وحدها ما تحلوا عن الإسلام ورسالته ..

أحمد العنانى

فقد ظل حقيقه باكباً على كركبته .. جارة
النجرة .. قللى العلياب والتكبي وسجى
الغدور والحقون

خديس لها فلاس ما سماها اجدادي هنا
بالناصرية ؟ قال ومالاً عندكم من القواكه
والزراعة في ناصرتم بفسطين ؟ .. قلت
لربما والتين والعنب والزيتون ..
وقداسة من عطر المحبة في بلد المسيح ..
فقال ينتسم : والله أن هذه لهم مفاخر
هذا البلد سوى أن الرجل الذى جعل
لنفس قبره مزاراً غير معروف الهوية
تماماً .. والبعض يقول إنه كان من
الأولياء العارفين من رجال المسلمين ..
فأضض معى الآن لايرك ما يدعشك .. ولكن
تماسك ولا تضعف كما ضعفت بالغيرا ..
أبدأ لن أنسى ناصرة البرتلال ما
حيث .. كل شيء في ذلك البلد الجبلى
لجميل مزال عربياً مسلماً إلا أسماء
الناس دون أسماء الأحياء وبعض الاسر
والأسماء المستجدة لمساجد قديمة محولة
عن أصل صبغتها .. أما الملابس فهي
عربية فضفاضة محتشمة وعلى رؤوس
النساء وصدروهن خمر ستره ..

ويقول لى صاحبى : ههنا يقرون
الضيف ، ويدفعون عن كرامته بالنسيق
ولا يسامحون في العرض ، ويحيون
الحياة وكانهم في ماساة لا تنتهى

إلى أن انحسرت الجبال عن ساحل
امتدت فوقه رمال بيض نواعم لا تنكر
للقدم الحافية منها شيئاً ولا تخشى
غائلة .. وأمواج الأطلس في الجو الرائق
بالت تمازج اليابسة مزاحاً لطيفاً ، وقد
انبثت على الساحل اكتسك عليه
للسائحين مصبغات من الملابس ، ومن
لداخل تعبق رائحة السردين في اشهر
بقاع تواجده في الأرض .. وجلسنا
للغذاء ، وأنا اتمتم .. ما كلن ضر قومي
لو خافوا الله حق مخلفه ، وشكروا له
هذه النعم حق الشكر له .. فابقاهم هنا
في هذه الجنة الفيحاء .

القرية المعلقة

والقيت إلى أعلى الجبل نظرة .. فقلت
لصاحبى ما تلك القرية المعلقة في أعلى
الجبيل ههنا ؟ قال : هي «الناصرية» ونحن
نكفلها «نازرة» ولكنى لست سائرناك إلى
هناك .. قلت : لم ؟ قال : قد أشجك
ما رايت في «الغيرا» والفيحاء فكيف لو
رايت ما يمكن أن تراه في الناصرة ..
فقلت ما عليك من شجنى فاصعدنى إليها
ولك منى ما تريد ... فوالله إننى لفى شوق
إلى ناصرة بلادى في فلسطين ، فما
دخلتها حياتى كلها إلا مرة واحدة
تفتقت بعدها على نفسى أن ينالها من
هوس سحرها تأثير ما أصاب طوقان ..

من رأى الدكتور عبد الحميد يونس وتلاميذه «محمود زهبي وعبد الحميد حواس وآخرين» أن السير الشعبية العربية اهتمت في عتوية بناتها بتمكين البدارء الحق للوحدة العربية الشاملة سلايا ، وساسيا ، وثقافيا . ولو جاز لنا الاختلاف مع هؤلاء العلماء درجات فقد لا نخرج على التمييز بين العفوى والارادى فى مقاصد الشعراء والرواة الذين صاغوا والذين طوعوا وطرهروا لنا هذه السير بنسجها الاقليمى المميز من حجازية ، وعراقية ، وشامية ، وقاهرة ، وصعيدية ، وسودانية ، ومغربية .

الذاكرة السردية فى مناطق القلب من البلاد العربية كدمشق والقاهرة غالبا ما تنسج روايتها انطلاقا من الوعي الكبير بقضايا الاسلام والعروة ، وذلك فى ظروف صعبة مثل تدهور الحكم العباسى والشتات الذى تبعه فى العصورين الفاطمى والمملوكى حينما ساد حكم لطوائف واسرات المغافرين والشيخ الدينية المتحسسة . لها الاطراف الدائمة لتتدب بالترحال العربى المسلم من صقع الى صقع بعيدا عن دائرة القلب فشغلها الارتداد والمزيد عن الارتداد . سلايا وسياحيا وثقافيا . داخلية كل حين فى اوطان ربما لم تات منها الاخبار بعد .

عند تعزز الاعراب البدو معدات التاقلد السريع مع العناصر التى تحل ومسطها ، وقد لا تشرع فى عمليات التاقلد اكثر من موهبتين اساسيتين من مواهب البطولة ايما وجدت وهما البسالة والحكمة .

سيرة بنى هلال فى مراحلها الثلاث .

ببلاد السرق ثم فى نجد وعلى مرامى النغربية . تزدهم بالابطال العرب . والعربيات . ورغم ذلك فان ملاحفة دكتور عبد الحميد يونس تصدق حول وضع ابى زيد سلامة بن رزق كبطل حقيقى لسلاسل الحكايات الطويلة المتداخلة والمتفاصلة لزمانة وامكنة . واذا كانت التقسيمات القبلية الباكورة فى الجزيرة العربية تكثرت لانتساب الابطال العظام خاصة الى اصولهم لدى زغبة . وريح . ودريد . والزحلان . وما سواهم . فان هذه الفروع تحتفظ باهميتها فى اطار السيرة وهى تتفرده فى مصر وبلاد المغرب حتى عهد قريب .

الاهتمام بالدرجات القبلية هذه لحد ملحوظ ينتج عن اهمية التفاصيل فى



ابو زيد الهلالي لدى بعض مسفره ابرو . فى كل احدى ابعثم العربى

العلالجا أبوزيد

رأى دكتور عبد الحميد يونس

بقام : إبراهيم إسحق إبراهيم



فراتى خليفة .. أبرز أبطال السير الشعبية

الوقائع التاريخية والجغرافية وزخرفتها وهناك التحول الموضوع على الوظائف المهنية والاجتماعية للأبطال .. واستقراء مؤشرات هذه التحولات والتنويعات من صميم هموم الدارسين والمستمعين بالظاهرة الحيوية والانتشارية الشلعة للسير الهلالية في إفريقيا العربية . كان للدكتور عبد المجيد عابدين السيق في لغت الأنظار الى التوظيف المدّش الذي وجهت به الجماهير في القرن الرابع عشر الميلادي سيرة سيف

الشعبية كتنفيس مستمر للربة القاهرية ، وبحسن عبد الحميد حواس التعبير عن طبيعة هذا التعلق بالسير الهلالية . بينما وصلت فيجعل ذلك التعلق مفتاحاً لقدرتها على حمل التكوينات والتنويعات المحلية المعبرة عن خصوصيات البيئة وتميزاتها الثقافية والاجتماعية . أحمد ممو في تونس يحتفل بنفس هذا الدور للرواية الهلالية ببلاؤه ويصوره في قلب اسماء ..التحولات في اقصيص بني هلال.. . فهناك التحول المستحدث في

سرد المواقف والفروق بين الأبطال ومحال الأزمات في اصناف ونسخ السيرة التي ظلت تمثل بضاعة وصناعة مهنية للشعراء والمحدثين في مصر اكثر من غيرها . اما اذا تابعنا اندثار العرب الى انبادية الصحراوية وراء ساحلى ليبيا ، وتونس وقدامها في سهوب شمال نيجيريا وتشاد والسودان فالوضع يتغير كثيراً .

اهمية الروايات الشعبية

بداية قد يفرض انقطاع الوصل بين تسميات القبيلة العربية الام والجميلة العربية في الأعماق الافريقية امتناع كل داع سلاخات لانتقال الهلاليين باساليبهم القبلية في سير «عربيا العربية» . فما يستفاد من الراوى بين اعراب الشوا يضاف بحيرة تشاد من ذكر رغبة والرحلان ، او ماذا يعنى دريد ورياح الرواة في ضواحي الخرطوم وكردفان ودارفور . إن انعدام الاتصال الاسمي بين الجد الهلالي الاسطوري والحفيد العادي المتسكع في هذه البناى الافريقية يستحق منا فهما دقيقا فالمعروف من قديم ان الاسر المتباعدة عن بطونها حتى في حقب الجزيرة العربية سرعان ما تتخذ من اسم الاب الاكبر او الام المسيطرة لائحة قبيلة جديدة تصبح لها شعرا ايماء سارت ووسط من في الاقوام المعاليرين حفت . وينها تجعل قبائل البقارة في غرب السودان من وجود العناصر الهلالية الضئيلة بين عشائرها حجة للانتماء الى الية سمعة البطل المرفوع على الدوام ميسما للذاتية الهلالية ايماء وجبت . ان انعدام الركيزة الوثائقية للزمان والمكان الذي مات فيهما سلامة بن برق لهو اجمل ما تصنحه كل يوم السيرة الهلالية للعربية البدوية والافريقية خاصة من فرض باهرة لصياغة ايولوجية بنياميكية غفوية وعوقرة الاخصاب .

عبد الرحمن الانودى يحدثنا عن تكرر الفلاح المصرى على ابي زيد وبقية الأبطال الهلاليين ليقيم من اخبارهم ديوانا يحوى مواجد الانسان الصعدي في الحقل والبيت والمقهى . وفي القاهرة يرى عبد الحميد يونس والباحثون غيره احباب وبلديون ، اهمية هذه الروايات

ابن ذي يزن ضد عمليات التتبع لحمير
المسيحي الحبشي الذي انتفض من
أثيوبيا الملك عبد صالح (١٣١٢ -
١٣٤٤ م) فيما عدا على ترويجه من
دعابة تحت اسم سيف أرعد... فكان
التحول الذي طرأ على السيرة السيفية
العربية مطوعاً للدرجة عكست ترتيب
التواريخ وأصبح سيف بن ذي يزن
التاريخي المتوقفي في العصر الجاهلي
مسلماً ومعاصراً للنبي صلى الله عليه
وسلم، لكننا قد نستطيع ملاحظة الشيء
الذي يجعل مغفل السير العربية، من
السيفية، والعنصرية، وذات الهمة،
وميرس، وعلى الزيق، والمزير سالم،
والى حمرة العرب، أقل انتشاراً ومفعولاً
من الهلالية في الوقت الحاضر. فهندرة
وأبو زيد هما وجددهما اللذان لا يرتبطان
بالمثل الضيق أو المرتكز الواحد، وهما
يتنكران أيضاً في صفة لاصقة بواء
العرب الأفارقة وهي سواد البشرة، في
مقدور غنترة أن يسوح الى الحبشة
والسودان وبلاد العجم لكسب الاحلاف
وتشهود الاطلاح مع الأمم في مقابل
احتياط البطل في قشلم أو الشطاري في
حواري المدن. ولما أبو زيد يهريك الريح
سارحاً مع الجموع الهلالية فلا ينتهي
تطاوله حتى وهم على مشارف خط
الاستواء بافريقيين - وحتى عدى يموت
الابطال المؤسسون فإن السيرة الهلالية
تخلق من جبال ابتنائهم الأيتام ابطالا
جداً أكثر مطلوعة لمتطلبات المراحل
والعصر والبلدان التي يعبرون عما
لقونوه فيها.

جميعاً اخترت في عنوان المقال تقديم
نسبة الهالسي على أبي زيد (الكثنية أو
اسم العلم لا أدري) لربت من ورائه
شعيرتين . في بداية عرب السودان
يفصلون الحديث عنه هكذا ، والسبب
الأخر هو الأمل في أن يكون طرقى
الوزير بطولته أبي زيد ثنائياً
وواصل نشء جدد ومغابر للمعتاد في

عربية حديثنا عن الهلالية وبالتالي يستطيع هذا التطبيق في الاسم استيعاب مفاهيم معالجة في للالهية اقارب ابي زيد في اعماق افريقيا . ابراهيم الصيرفي ينضم ايضا الى اتحاد موو وبعض الدارسين المؤثمين في التركي على جانين من السيرة الهلالية وتقديهما كاهم الجوانب فيها وهما البطولات وقصص الحب . وهذا صحيح . ولكنني فضلت ان اقول مقسرا ومعمرا بان البطولة في معانيها المعنوية الواسع وحتى النوي المقدس ليست في البسالة العادية ولكن ايضا هيمنة العقل والحيلة والحكمة على سلبات الحياة اجمع . ومن هنا يتسق ما قصت اليه مع مقالات اولئك الدارسين المجودين لآراء لاله .

تغريفة بنى هلال

المصدق في تحقيرة بنى هلال.
 الملاي الخوازين تمها في حيا الحيلة
 النسقة . فهد الرجل الأسود فتكر
 ارات في رى المغنير الجوالين فيطرب
 سندهم وبعهم . من
 شروى فسله الفرسه وراى على
 عيلة الرجلين فيلحقه الزوميه كرا
 اعرقيه . ويفس بين الاعمال ملا
 ويها مائس اثار اليهود
 بهم . يدعى قطب فيؤمن على
 الارواح . ثم يستعمل البنج لظهر
 اعائه . ولولا هذه الحيل والاعجب لما
 الهالكون تلك الملك البيريه
 الممقة على كل شير من الارض حتى
 صلوا من تجد اى تونس .

هذا الأثر من التحليل الجيد يضعه
الإعراب الجيد نصب أعينهم وهم
يتعلمون في بلاد البربر والسودان ومنه
يستفيدون فائدة صوى . فلذا أرادوا
تدريب أذهان ناشئتهم على الحكمة
والحيلة المخطوئين للبقاء الصالح في
وادي غريبة سرودا عليهم أخيرا أبي زيد ،
وفي «التفريعة» كما في السير
الهالكة بمصر وأونس يلاحظ المكثر
سروز دور النساء المحترقات لا يظلم مثل
الجزائرية وشيعة في بذل الرأي المفيد
والفيلق . وهذا لدولة ما ينقص
للمسير الهالكة بقرى السودان . ثم لم
يضر الخس هناك لهذه الحكمة أن تنفذ

فأصغروها لخصال الحيل والمهارة
 اللغوية المتعددة واللبدية الحاضرة عند
 أبي زيد - في الحياة الصغرية العامة
 اتعزلت تدريجياً بعض مواقف الحكمة
 من التسنج الكلي للمسيرة الهلالية
 وأصبحت سائرة على لسان الجماهير ،
 حتى وسط الذين لا قبل لهم بتبني
 الخطوط الهامة لأخبار بني هلال ، عن
 عبد الحميد يونس ومن عنه يأخرون
 فعلم أن الشارع المصري يقول للمهزم
 الفجرى : «عالم أبو علي، تشبيها له
 بجنس من سرخس أضر على بني هلال ،
 وأخذوا عن استيلاء دباب بن غنم على
 جهودات أبي زيد واعتقاله إياه مثلهم
 السائر «كانت يا أبو زيد ما غزيت» ،
 ويتفق المصريون تماماً مع أعراب
 السودان في جعل تصيب أبي زيد من
 اللامحاة هلالاً وكاسخاً وذلك في قولهم
 سبعة أبو زيد كلها سليلك .

أما في أرض الجزيرة بوسط السودان
فحكوا أن إبا زيد ودياب تغلطا في
حديقة الرجل الكريم الجنود فقال دياب
يوجد من الموجود، وقل أبو زيد
فصلنا من الجنود، أي العطش حتى في
هذه العسرة و هو مصداق الآية القرآنية
الكريمة «ويزنون على أنفسهم ولو كان
هم خصاصة» في هذه البيئات
الإسلامية كثيرا ما تندرج الموضة
الدنيوية في الحكمة الشعبية بمقتضى
العقوبة. وفي بلاد بين النهرين قالوا
أيضا أن دياب الهالكي قال «الوجع إما
ضرس وإما عرس» فرد عليه أبو زيد بأن
الضرس يمكن قطعه والعرس يمكن
تأجيله لكن الوجع الحقيقي هو وجع
العين والهم والأفزع هو هم الدين (بفتح
الدال) - أو كما يضع أبو زيد ذلك في
اللغة الشعبية السودانية «السهر يادين
يا عين» - فالعين لا تلقى والدن ليس
أخيرا في متناول الدنويين.

قد يعود التمسك الحاد بالسياسة الهلالية كأداة لتثبيت الزائفة وتحقيقها إلى وجود الأعراب السودانية التي أساس لإيصال طلاب التخليخ في مراحل تنمحيصه وادوجود الفعليلبنى هلال ووسط الجماعات النبوية التي سارت جنوبا منذ القرن الثالث عشر الميلادي وانبجت تدريجييا رعاة الإبل والبقر فيما وراء الصحراء الكبرى ومجمهريتي السودان وشمك. كالت الظلمة وسط

اولئك المهاجرين للقبائل اليمنية . لكن عناصر من فزارة ورفاعة وفيها بنى هلال كانت موجودة بينهم كما يشير لذلك حشد من الدلائل . ولما كانت الجماعات اليمنية بأفريقيا تفتقر لحد ما الى الاسطورة الاصولية ذات الانتشار والذوب كما لدى بنى هلال فقد جرى في تعامل غالبية هؤلاء البدو قانون مبيعي ومعروف هو تغليب القطاع الأشهر على الجموع المتنازعة والمتضاربة سعيًا وراء اصطناع كيان تكتلى ضخمة وصلب وغير قابل للتفتيت . وهكذا أصبح معظم هؤلاء البدو في إخبارهم عن أنفسهم أحفاداً للهلالى أبى زيد . وحتى الملكية فى سلطنتى التجنر والغور (حوالى ١٥٠٠ - ١٩١٦) تنسب الى أحمد المعقور العربى الهلالى الذى يدعون له قرابة بابى زيد .

رعاة الإبل من الزيدية ودار حامد والمحاميد فى القطاع الشمالى من هذا الحز الرعوى يحكون عن أبى زيد ونوادره وملحه نفس الأخبار التى يرويها عنه رعاة البقر فى القطاع الجنوبى كالزريقات ، والحوازنة ، والمسيرة ، والبنى هلبا ، والهبانية ، الفارق الوحيد

هو أن تميز كل من القطاعين عن الآخر يميز ويتضح فى تغييرات طفيفة على الحكايات فى كل حالة ، تغييرات تعنى بالجانب المعيشى لكل جماعة وترسم على الرواية سمات ذلك المعيش وملاحظته البيئية . فساعة الإبل يحملون أبى زيد على جمل أو ناقة ، وساعة الأبقار يحملونه على ثور . ويعيش أبو زيد فى كل من الحالتين فى ظروف جغرافية وعرقية وثقافية مختلفة للأخرى ومفصحة عن ذلك الاختلاف .

الهلالى رائداً وحكيماً

ساختار الآن عينات موجزة من وتطبيقات الريادة والحكمة عند أبى زيد الهلالى معروفة لدى الزيدانية والزريقات والبنى هلبا التى تمثل للجماعات السودانية البدوية العريضة التى ذكرها جندب بلنكر أن الهشامية فى شرق السودان والريفات والمناصر والجنابيل فى شمال السودان معروفون بالريادة كحكايات ومواقف محمودة تهم سلطانها حكمة تلم المعاصرات

الانفصالية التى نجدها لدى المصريين والتونسيين والليبيين ، فى الوقت الذى يكاد أهل غرب السودان لا يحكون من تلك المغامرات النمطية شيئاً . ولأن أبى زيد فى ياديه غرب السودان يمثل جداً للرعاة لا يتعدى بعده الزمنى عنهم عدة أجيال كما يحسون ، فهم لا يميزونه بشئ عن نمط حياتهم الحاضرة . وأول مهام هذا الحكيم للقبلى فى البداوة هو أن يكون رائداً لمواقع القطر ومنابت العشب ومسابك المياه فى البرية حيثما تسير القبيلة ، وهو مؤهل تماماً لذلك شجاعة وصواب رأى وإدراكاً للمخاطر الغريبة . ومن هنا نجد فى إخبار أحمد المعقور الهلالى أنه ساعة يلقاه أهلى دارفور مغرباً ومهجوراً فى القفار يدخل معهم فى تقاهم ومخاطبات مباشرة دون حاجة لمرجم أو شرح من الرواة لصعوباته الأولى فى التلقى والإيصال المعنوى معهم .

عن الريادة يقول الزريقات أن أبى زيد هو الذى اكتشف لهم الأرض التى استوطعوها ووجههم لسمكتها ، ربما للمامتها لتربية الأبقار . فحينما دعا أبو زيد من ريادته سلوكه كيف وجد البلد الذى رآه لهم فأجابه بان فيه ذبابة صغيرة (ذبابة النسي تسمى الضمارة للحيوان خاصة الإبل) وكتب جسور (ويعى الأسد) وأشجارها بلا صق (مما لا يناسب الجمال) وأرضه إذا ابتلت تميعت وإذا تبسبت تشقلت . اما لرعاة الإبل فقد أعطاهم أبو زيد درساً ماسوياً . يقولون أن أبى زيد سار فى القفار يدرى قوس الخضراء وحده حتى كالت دابته فنزل منها وصعد على شجرة هناك ما وراء الكلبى . لكنه لعقله لم يعقل بعيره ولم يضع عليه رستا فيريطه . إنصرف البعير عليه الماء والزاد والأخفاف . نزل أبو زيد وجرى كل وجهة حتى أعيا فلما دهمه الموت عقل رجله ورسن شراعه ومات . وبذلك وصيته الغالية للاحلقة فى بلاد السودان ، على أثر نبههم يقول لهم «اعقلها وتوكل» . وهكذا تكال كل مقالات الحكمة فى هذه المناطق تتشكل فى الزمن الشعبى بما يتناسب وشخصية أبى زيد الهلالى . يوصى أبو زيد الهلالى ابنه قائلاً عليه بسوق كل يوم وضياقة كل يوم والسلام راكياً» . فلما احتار الآخرون من

الفلس الذى لا يتحدث إلا بالعبارة الحكيمه . هكذا ترى شخصية أبو زيد فى السودان

رائدة وحكيمة

هذه الأقوال فسّر لهم الابن مقصد أبيه فقال : سوق كل يوم هو أن تكون لك شعاع تبيع منهن متى شئت . وضيافة كل يوم هي من أولويات حياة البدو وذلك باستغلال تنافس الضرائر على الزوج ومباينة كل منهن في التودد إليه . والسلام رابعا هو أن تكون على داية وليس راجلا . أبو زيد الهلالي الأفريقي يستغل إجادته للغات الإفريقية ويدايمته في تقريب الشقة بين أهله وجيرانهم الجدد . إشارة للتأقلم اللغوي للعربان مع الأهالي السودانيين فإن الكثير من هذه النواير تنشأ على الخلّ قائمة على ثقافة ذات جرس ومعاني في الطرائف المحلية . من هذه أخبار طويلة عن زواج أبي زيد الهلالي بنساء الجماعات الأخرى لما توافقه وتركهن وأطفله في بطونهن . فلما يكبر الصبي وتعلم به العرب ونسأل عنه أبا زيد تراه يوصي الرجال العقلاء بالذهاب إلى ذلك الحي وامتحان الصبي . فالملطوب الشلّخ من الصبي هو أن يخبرهم ما هو المقصود بكلام مثل : اللو في اللو واللو في اللو واللو في اللو .. ولهذه الأخبار مسارات طوال .

في مجلّي الحكمة تتفق روايات السودان الشعبية مع أخبار الرعاة غرب السودان عامة على أن أبا زيد بعد ريادة لبروب تونس الخضراء ورجوعه إلى قرقان العرب سالوه رايه عن كيفية الانتقال إلى تونس فقال لهم : ساخركم برايس غدا . ثم إنه يقض على حمامتين وحشيتين ونسهما في قارورة بعد أن تنف ريش أحدهما ، فلما جاعوا من الغد قال لهم أبو زيد : راي في تلك القارورة فافتحوها . وبعد التعجب كله فتحو القارورة فإذا بالحمامة السليمة تطير فتبعد ، وإذا بالخنزولة واقعة تنطح . ولغيرهم أيضا فهم مقلد أبي زيد فطلب منهم أن يستعينوا لذلك بلبنة مريضة . فكان لا بد من الإرسال في طلب الابن .

وهذا يستطرد الراوي في ذكر اختصار حصة مريضة . يريّح حديثهم فقال أن أباه يعني طريق الوصول إلى تونس الخضراء جد شاق ولا يتم قطعه إلا للقوى . فمن كان قويا من الأعراب طار مثل الحمامة السليمة ، ومن لم يكن قويا فيصير حاله إلى غلبة الحمامة للخنزولة . وهكذا باع العرب المهاجرون نخاعهم ومعينهم واكتفوا من القنّاء الأبل الشديدة فحملوا عليها الزاد والروايا ثم عبروا إلى تونس الخضراء . ويبدو لي أن مثل هذه الحكمة تخلصنا أيضا ضمن صحتنا العامة ونحن مرتبكون أمام عدو راصد وطموح في التطوير الحضاري الذي يلحقنا ببرجات المتقدمين .

فيض من الحكمة

لربما صح أن الريادة العقلية التي جسدها أعراب إفريقيا في شخصية أبي زيد لا تزيد ولا تنقص كثيرا عن كونها بدولوجية سلالية وثقافية تهدف لمواصلة التوسع والتعمق في استكشاف الأفاق المكرة للعربية والإسلام أيضا



لمعان الهلالي أبو زيد الذي تمحه سيرته حتى اجتدل في بفاع الأرض

يسير هؤلاء البدو ومستعربوهم في صعيد مصر تحفر هذه الريادة في الأعماق ، في اغوار النفس ، لأجل استبطان قوى التحمل والصمود وأحياء الطائفة المحجوبة كما يوحى لنا عبد الرحمن الأبنودي . وفي بوادي غرب السودان يدخل النقارة والبالبة أصحاب البقر والأبل كل مرة في تجارب أوسع وأعمق محتكين بالبيئات المعيشية والثقافية الجديدة ومختطين بسلالات لم يعاشوها أو يعاشروها من قبل إلا لما . في بحر الغزال وأطراف الكنعو على حواشي الغابات الاستوائية قطعان الرزاريين والهلبات وغيرهم الهلالي تشرح بهم . وحتى ركوب أبي زيد الهلالي فوق النور في تشك وكردفان ودارفور تعلمه فقط من هذه البيئات الجديدة .

هنا تلد الريادة فيضاً من الحكمة لتجارب العروبة والإسلام فتزورها . وكما تسعى للمؤتمرين في تونس للتحايط حول الدراسات الهلالية عام ١٩٨٠ أن يطلعوا على مواضيع متجددة في هذه المجالات مثل بحث المستشرق الفرنسي حاكين أرثو عن «بني هلال في أعمال كاتب ياسين» فإن للمؤسسات العلمية والثقافية في العالم العربي أدوار يجب عليها الاكترأ لها . فليطبعي عن أن أن السيميولوجيا والمسرح والمسلسلات العربية تكاد تنهك حكايات عترة وعيلة ، وقبس وليلى ، ووضاح اليمن ، وأمثالهم من أبطال الجزيرة في القديم الأبعد . وربما تستفيد الذهنية العربية شيئا جديدا لو تتعرف على البطل الهلالي في ذاتيته الزنبقية التي تمنحه حق التجوال غير المقطوع ولا المحدود في أنحاء الأرض طالما يذهب بعيدا عن منعه في نجد . والتشكل على كل هيئة فاضلة أينما يصل . لقد عاشت أمريكا مثلا أكثر من قرن من الزمان وهي تستولد لساتير ذلك المغامر الجوال في البر والبحر لأجل تحديد وتعميق مفاهيم إنسانية البطل الأمريكي من أساميل في «موي ديك» وغير «هك هن» في «مغامراته» على المسيسيبي وحتى جونان سيقال طائر الخورس المصعد في الفضاء . ولتأمل نحن مثلا سمرات طلفات أبطال الشعبين مثل أبي زيد الهلالي مرات وتندبر معطياتهم .

أبراهيم اسحق إبراهيم - الخرطوم

همنجوای



ARCHIVE

ثم أطلق على رأسه الصاعقة

بقام: جمال الكنايف

همنجوای ، اديب فحل حار النقد في وصفه وتحديد موقعه من مدارس الادب .. فمن النقد من وصفه بالبدائية ، او بانه مثقف منحل ، او بانه نموذج للامريكي الصميم ، او انه اوروبي اقتلع من جذوره ، او بانه واقعي ، او طبيعي ، او رومانسي ، او كلاسيكي ، او رمزي ، او نيهيستي ، او وجودي ، او انساني ... وليس في الادب الانجليزي والامريكي غير همنجوای من تخطى النقد حياته

خشيت عندما هممت بالكتابة عن إرنست همنجوای أن تغلبني نوبة من حماسة فاضعه على رأس قائمة الكتّاب الأمريكيين المحدثين ، فيهب لمعارضتي فريق ويليام فوكنر، ويراہ أحق منهما ... لهذا رضيت بالقليل وقلت لنفسي يكفي أن يكون صاحبنا همنجوای واحداً من العظام الثلاثة ، رغم ما أثارَت كتاباته من عواصف النقد والتقريظ ، ورغم ما كان له من أثر ملحوظ على أدب أمريكا وإنجلترا وأوربا ...

علم نفسه الكتابة .. ثم أطلق على رأسه الرصاص



صانع الأثير - ابنه في رأي همنجواي مثل الكتب :

كان لرنست همنجواي بفضل أن يراه الناس صيداً للمسك على أن يروا اسمه

له اثر بيروني (نسبة لبيرون) رومانس على معاصريه ، لم يظهر في الأسلوب الأدبي فحسب ، وإنما تجلى كذلك في الأسلوب العام والخاص .

ولقد تمكن همنجواي حتى قبل نشر كتبه «وداعاً أيها السلاح» من تعريف أسلوب للكلام ، بل أسلوب لحياة جيل كامل .. أسلوب استمر اثره على البعض الى يوم نشبت الحرب العالمية الثانية . وهمنجواي ، أكثر من غيره من رجال الأدب ، هو الذي قدم لشباب الثلاثينات ولجيل الحرب العالمية الثانية تعريفاً للحرب وحدد مكان الفرد فيها إن كان له ثمة مكان . ولسنا نتردد في أن نقول إن همنجواي هو المسئول الأول عن تحرر أطراف النزاع في الحرب العالمية الثانية من كل ملامح المثالية أو التأثر بالإنفعالات ، وكان اثر همنجواي أكثر انتشاراً من اثر بيرون ، لأنه بلغ مكانة أسطورية ، فتأثر به حتى من لم يقرأ له ، وتعلم قراؤه أيام الحرب العالمية الثانية

«رجل الأدب» .. ولعلنا نذكر أن تي.إس. إليوت ، وهنري جيمز ، وهمنجواي نفسه ، اثروا الإقامة في إنجلترا أو في أوروبا أو كوما على الإقامة في أمريكا نفسها ... وكنت فكرة الخفى وراء قناع ما ، شائعة إذ ذاك ومثل ذلك باوند، وبيكس ، وإليوت ... إلا أن ما أثار سخط الناس على همنجواي ، هو أنه كان يرفض أن يظهر بمظهر الجد وأنه كان يعادي الاتجاه العقلاني ... ولكنه على الرغم من هذه الألاعيب وذلك النفاذ ، كان كاتباً جدياً جداً . والواجب أن لا تضلل حياته الخاصة بعض النقد .. فهي خاصة به وحده .. خاصة بذكره .. لا تعنيان .

علم نفسه الكتابة !

الذي يعنيها هو أدب همنجواي .. كتاباته .. حصاده الفضي .. وعندما تمر عاصفة النقد الموجه اليه فسيجد الناس أنهم مديون لهمنجواي بالكثير ... فلقد كان في أغلب كتاباته كلاسيكياً كما كان

وغربلها أكثر مما نخلوا حياة اللورد بيرون ، بحثاً وراء ما يشين سمعته أو يلوث اسمه الأدبي .

ولم يكن اهتمام النقد بمحاولة الخط من قدر هذا الأديب والنيل من سمعته عفو الخاطر ، ولكن كانت له أسباب وعلل أهمها شخص همنجواي نفسه .. فهو من ناحية كان فريسة لما أصاب من نجلح بعد نشر كتابه «وداعاً أيها السلاح» في عام ١٩٢٩ . واختار همنجواي بعد هذا النجاح أن يتصل من «وصمة» كونه لئيماً .. ولكم أثار حفيظة قرائه والمعجبين به بالافراط في استعمال استعارات مأخوذة من محيط الملاكمة أو كرة المضرب .. ورفضه ما يظهر بمظهر الأديب ، إذ كان يؤثر أن يراه الناس صيداً للمسك أو الوحوش ، أو ملاكماً ، فوحنا نصلرعة الثيران

ولهمنجواي بعض العثر في ذلك ... علىجمهور الأمريكي الذي عاصره لم يكن يرتاح من الناحية الاجتماعية لفكرة

ما هو غير ضروري أو غير لازم وكيف يستغنى عن استعمال الصفة والظرف والحال .

أسلوب ذو ثلاث طبقات

وواجب كل من يريد تقديم أثر أسلوب همنجواي أن يدخل في حسابه أن عبداً من صغار الكتاب قد قلده ، فلماذا إذن من تقويم الأسلوب قبل أن يرخسه هؤلاء المقلدون ، ويجب على من يريد التقويم أن يذكر أن همنجواي ، وإن كان قد تأثر بغيره ، فإن أسلوبه كان أصيلاً لا يشوبه أي تقليد ، وإن هذا الأسلوب يمكن أن يوصف على نحو ما تصف الجيولوجيا طبقات الأرض ، بأنه يتألف من ثلاث طبقات .. طبقة بكيرة ، وطبقة وسطى ، وطبقة متأخرة ، وإن كانت هذه الطبقات تتراكب حافتها أحياناً .

أما أسلوب الطبقة البكيرة ، كما يتجلى في «والشمس تشرق كذلك» فيتميز بقصر جملة التي تنطوي في العلب على إعلان حقيقة من الحقائق .. ويتميز بالبساطة ويعدّه من اللاتينية .. وفيما عدا «رجلى العجوز» نجد أن قصص «في عصرنا» ترقى كلها بصيغة تغالب مع الاحتفاظ بسعة الموضوعية ، كما نجد الحوار فيها درامياً ساخرًا فيه تكرار والتواء ...

ويضاف إلى ما يتجسم أمامنا من ذكاء همنجواي ، روح دعابته ويعدّه عن المبالغة ، وبقلته وانتباهه إلى الحقائق وما في الحياة وفي سلوك الناس من تنوع .. وعندما يبلغ أسلوب هذه الطبقة البكيرة ذروته ، نجد أنه يولد أثراً عاطفية تلحق في عقبها تلك الوسائل القليلة التي يعتمد عليها المؤلف في كتاباته .. على أن هذا الأسلوب يتدهور وينحط أحياناً كما هي الحال في «اليوم هو يوم الجمعة» فيصبح أسلوباً عاطفياً زائفاً .

وأما أسلوب الطبقة الوسطى من كتابات همنجواي فله ميزات أسلوب الطبقة البكيرة إلا أنه أكثر مرونة وأطول باعاً وأوسع مدى .. استعمل الكاتب فيه الجمل الشريطة والعبارة التبعية بدلاً من الاعتماد على الجمل التي تربطها وأو العطف .. وهذا هو أسلوب رواية «ودعا أبها السلاح» ، وأحسن ما جاء بعدها من



إيوت .. كان مثل همنجواي بفضل الإقامة في أوروبا



ف. هـ. لورانس .. هل أثر في كتابته



فرنزو مورافيا من الذين تأثروا بهمنجواي



قضاء الحرب العالمية الثانية استطاع همنجواي أن يعثر على الناس جيلاً يعيشون مع الحقائق

ياوند» و «فورد مادكس» وغيرهم ... أما همنجواي نفسه فقد اعترف دون تردد بدينه «مارك توين» . ثم إنه عجز رأى لقاتلين بأنه تأثر بمن ذكرنا غير «مارك توين» لما بالغ وألح في انكار ونفي أثر هؤلاء الكتاب على أسلوبه . فالغرض أن همنجواي استعار شخصيات الأمييين البدائيين من «شروود أندرسون» الذي يمكن أن نلح أنه جلياً في رواية «رجلى العجوز» .

فموضوع سبق الخيل والاستعانة بغلام كراوية ، وجو الغموض الذي يسود الرواية توحى جميعاً بأثر «أندرسون» على همنجواي .. والفروض كذلك أن همنجواي تعلم من «جرتروود ستاين» طريقة بناء الجمل والعبارة التي تربطها «أو الوصل» ، بدلاً من الاستعانة بالطريقة التقليدية . ويقال إن «ستاين» علمته صنعة تكرار بعض الكلمات والأفعال .. وأنها بالاشتراك مع «باوند» و «فورد» علمته كيف يستمد كل

كيف يعيشون مع الكوارث .. بل ومهم من تعلم كيف يموت معها .. فكان همنجواي بذلك واحداً من قلة استطاعت أن تعلم الناس درساً مباشراً ، لم يعتمد أثر همنجواي على مادة كتاباته ولا محتواها .. فقد سبقه كثيرون بالكتابة فيما طرق من مواضيع مثل مصارعة الثيران ، والرياضة والحرب ، والطفولة ، والدين ، والحب ، والموت ، ولكن لم يكن لأي منهم ما كان له من أثر على الناس ... وكان أثر همنجواي يكمن في أسلوبه فهو أول أمريكي منذ «مارك توين» غير لغة الأدب في أمريكا تعبيراً ، جزئياً .. ولكنه للأسف أثار حفيظة الكثيرين لأنه كثيراً ما ألح إلى أنه الوحيد بين الكتاب الذي علم نفسه الكتابة

ولقد شغل نقاد همنجواي أنفسهم لفترة طويلة بالبحث عن العوامل التي أثرت في أسلوبه .. ويريدوا اسم «مارك توين» ، «شروود أندرسون» و «إرزا

قصص قصيرة مثل «حياة فرانسيس ماكوير القصيرة السعيدة» .

واسلوب الطبقة المتأخرة الذي نراه في «الموت بعد الظهر» فهو على نقض سابقة .. مبالغ في زينته ، طويل الجمل ، ثقل في سخريته ، يستعمل لغة المتكلم وتعود نأحيته الخيالية في رمزية مجردة من كل رشاقة ... ولكن كتابت هذه المرحلة لا تخلو من طفرات أو صفحات ، أو حتى من فصول لا تقل جودة وجبارة عن الفضل مكتسب في المراحل السابقة التي تتميز بنقلها .

ويمكن تحليل نجاح اسلوب همنجواي وشعبية منقطه ، بأنه قادر على أن يبرز خلاله ما يومه القارئ بأن الأمور للعقدة التي تتعلق بسلوك والضمير ، يمكن اختزالها إلى عناصرها الأولية وترتيبها على السيطرة عليها . ويبدو أن همنجواي قد حقق هذه الطريقة واتقنها إلى حد الكمال .

وحقيقة الأمر هي أن اسلوب همنجواي ، في بعض نواحيه ، محدود ، معيب ، ولكن العيوب مستورة بمهارة ، والحدود تبدو وكأنها مصدر قوة . واسلوب همنجواي أسلوب معاصر دون أن يكون محلياً أو قديمياً . وفي ذلك ما يجعل نضرته وجاذبيته . وهمنجواي يعتمد أبداً على الذاكرة بدلاً من الاعتماد على التلخيص .. فهو يصور دنيا الحاضر المفتوح ولا يمسح دنيا الماضي حتى وإن تجلت مظاهر الماضي في قصصه .. استمع إليه يقول : «وركب أربعيناً عربية مفتوحة إلى سان سيرو .. وكان اليوم جميلاً ، وسارت العرببة خلال المتنزه وعلى مفاذاً خط القرام إلى خارج المدينة حيث كان الطريق كثير الغبار .. ومررنا بعدد من الفيلات تحوطها أسوار من حديد وجدائاً مشحونة بالشجر وحفر مليئة بالماء ينساب منها ، وحدائق فيها الخضى والتراب يعلو أوراق الشجر» .

وهنا نجد أن «واو» العطف الوصلية تخلق سلسلة من الصور المرئية الواضحة دون أن تستطيع تحقيق أكثر من ذلك .

وداعاً أيها السلاح

ويؤخذ على همنجواي أن الرواية في قصصه ، وخاصة «فريدرك هنري» في «وداعاً أيها السلاح» ، غير عادية ، أو قل إنهم أهل بطولية ، يرغبهم الكتب على سرد قصص بطولاتهم فينتهل بذلك إغلاهم لأن الأبطال يعرفون عادة عن قنذحت عن أعمالهم البطولية . ولكن همنجواي يدرك هذا العيب ويحاول التغلب على هذه الصعوبة بصيغ أعمال هذه الشخصيات بشيء من الفكاهة والميل إلى عدم المبالغة ، ولكن ذلك لم يشف لهم أو يخفف من امتعاض القارئ مما يتناخرون به من علم لا تحده حدود وخبرة تقبله للغة .. خذ مثل هنري ..

تجد أنه يعرف كل شيء بالسلاح وهو خير إنشأ نوع النبيل والطموح ، يعرف للدر وفن المعركة والرسم واللفات والحراجه والتكتيك الحربي . ويستطيع أن يحدد ما يريد من سحر بحرية مجبوري .. هذه هي موسوعة شخصية لا تنطق .. ولا تتحدث .. ومع ذلك تجد أن القارئ لا يبرم بهمنجواي نفسه .. لأنه يحتفظ بتعاطف القارئ بسبب انتقاله لنف حوار .. حوار همنجواي والحق .. حوار يعكس رأياً أو أكثر عن موضوع بالذات أو عن الحياة كلها .. وهو مليء بالاشارة والايحاء والاماء والاتواء .. متناجح فيه إيجاز وبلاغة غير البلاغة التقليدية المألوفة .

والأراء التي تجمع على مدح حوار همنجواي وإطرانه ، تختلف وتتضارب فيما يتعلق بالناحى الأخرى من أدبه .. ومرجع هذا الخلاف والتضارب هو التخطيط في تحديد الهدف الذي يرمى إليه همنجواي ، أو تعريف ما كان يريد تحقيقه ، والمادة التي كان يريد تقديمها .

ولعل « ويندام لويس » نطق بلسان غيره من النقد أو غير ممن إرائهم في مقال له فيض عنوانه « للور الأخرى : دراسة لآرست همنجواي » سخر فيه من طريقة اختيار همنجواي

لشخصياته ، لأنه اعتبرهم «مجردين من كل عزيمة» وأنهم «سلبيون» وأنهم «نهب للأحداث» .. وجاء بعده «جون بيل بشوب» وقال عن شخصيات همنجواي : «لأنهم مجردون من كل إرادة أو عزيمة دون أن يعوزهم الكفاء ، نجد أن رجال همنجواي ونساءه مجردون من كل كيان روحي . فدينام تعاصر الحرب وما أعقبا من فوضى واضطراب ، وهي دنيا مجردة من كل القيم التقليدية » ..

ومن الواضح أن هذا التعليق صار عن شخص صلب يحقر نوعاً معيناً من الشخصيات ونوعاً خاصاً من الأدبيين سواء أكانوا من الملاكين أو من رجال العصابات أو الجنود أو مصارعى القثيران .. ولكن وما إلا الذي يقول إن هؤلاء غير جديرين باهتمام الكتاب ؟

جوانب لا تخلو من الغرابة

ونعود إلى الوجه الثاني من نقد «ويندام لويس» وما ذهب إليه من أن شخصيات همنجواي مجردة من كل إرادة أو عزيمة ، ونلك لحظة عند شخصية «جيك بارنز» وهو بطل مسيحي يناهض معايير السلوك في عصره ، ويؤسس السلوك ويحكم عليه ، وهو موضع احترام الناس واعجابهم ، بل ومنهم من يتبعه ... وهذه الصفات ذاتها تتجلى بوضوح أكثر في شخصية «فريدرك هنري» بطل «وداعاً أيها السلاح» ... والحوار بينه وبين النفس في هذه الرواية يشير إلى إلمام تام بتعاليم المسيحية ، وهمنجواي يصور الحرب بطريقة تجعلها وجشية بشعة مجردة من كل أسلحة ، وفراز هنري من الجندي كتيك يمحض إرادته ، ولحرصه على الاحتفاظ باحترام نفسه .

ولسنا من بين من يقولون بأن الناحية الدينية في كيان همنجواي وتكوينه الأخلاقي كانت من مير العواص التي جعلته كاتباً مجيداً .. ولكن هذه الناحية تعين على تفسير ما ظنه بعض النقاد قوة رمزية في كتابته ، وبين أنها في الواقع قوة روحية شبيه دينية ، وهي القوة التي تعينه على خلق ما تلتس في كتابته من بساطة وما لها من جاذبية عليية .

ومن نداعي فخر همنجواي أنه أول

أبيب غير أسباني استطاع أن يدرن وأن يسجل بما له من سلطة وثقون أدبي ، أن مصارعة الثيران ليست رياضة بدنية في ذاتها ، ولا هي لعبة من ألعاب السيرك ، ولكنها فن أصيل خلص . وأهم من ذلك أن همنجواي أدرك ما بين مصارعة الثيران وبين النشر الخيالي من علاقة ، فكتب عن المصارعة ما راه عين خياله ، فكان في كتابته مفعف لعابيه . ويعتبر كتابه « الموت بعد الظهر » دليلا يهدي القاري إلى خبيليا مصارعة الثيران ، ولقد وجد همنجواي بوصفه كتابيا يهتم بالحاضر دون الماضي ، في مصارعة الثيران هدفا يدعو لاهتمامه . فمصارعة الثيران مادة طبيعية لكتاب يهتم بالثبات وهم يواجهون مواقف بالغة التطرف تحت تهديد العنف ويرى كرامة الفرد وراحة نفسه حين يحسن الأداء وهو في موقف بالغ الخطورة .. وهو يرى أن مصارع الثيران كالكتاب ، يخلق كيانا لم يكن له وجود قبل أن يبدأ عمله .. وإنه يتمكن مما له من مواهب وقدرته على ضبط النفس ، من التحكم في نفسه وأن يتحكم في النور عن هذا الطريق ، وبذا يجمع كل هذه العناصر طغوس المصارعة .. والنثر وهو نفسه ، في واقع جديد .

هناك ناحية من نواحي اثر همنجواي الأدبي لا تخلو من غرابة .. فللإحاطة مو أن همنجواي كان له كبير الأثر على الكثير من الكتاب الأمريكيين غير النابهيين ، بينما كان له أثر واضح في كتابات عدد من كبار الكتاب الإنجليز من أمثال جريهام جرين وكريستوفر شرود ، وعلى المؤلفات الأولى لألدوس هكسلي .. وأغرب من ذلك ، على دي . إيتش لورانس نفسه . وكان لهمنجواي في

فرنسا اثر على بريغوست وكامو وسارتر .. ويقال كذلك أن همنجواي هو المسئول عن البساطة للنسبية التي تتميز بها كتابات بعض أدباء ألمانيا مثل وولف جاتج وميندركل بل ، ومولر وسجريد سومر .. ولم ينح كتاب إيطاليا من اثر همنجواي الذي يظهر في كتابات ليوغوتوري ، وجوزيبي برتو والبرتو مورافيا .

ولن يفوتنا في هذا المجال أن نشير إلى اثر همنجواي على الكتاب الفرنسي هنري دي مونترلان حتى أن هذا الكتاب كان يلقب باسم همنجواي الفرنسي رغم أنه كان يحتقر كل من يسميه بهذا الاسم .



إرنست ملر همنجواي ، هذا الروائي الأمريكي ، كتب القصص القصيرة والذي تميز بأسلوب رائع بارع الإيجاز ولد في «لوك بارك» بولاية إنديانا في اليوم الحادي والعشرين من شهر يوليو ١٨٩٩ .. ولم يتعد تعليمه المرحلة الابتدائية ولكنه من جعرة نبيس للإدب في عام ٤٠ .

في سنة ١٩١٨ ذهب همنجواي مع زملائه إلى فرنسا لخدمته في الحرب العالمية الأولى التحق بوحدة الإسعاف من فرقة المشاة في إيطاليا ، وفي ليلة التاسع من شهر يوليو ١٩١٨ ، أصيبته شظية من قنبلة قرب قرية بيفاف في شمال إيطاليا وجرحته جرحا بليغا دون أن تقتله . وبعد فترة نقاهة في ميلان ، عاد إلى مدينة شيكاغو يمارس الصحافة ثانية إلى أن أبحر إلى فرنسا يوم ٨ ديسمبر ١٩٢١ وعمل

لألدوس هكسلي .. الأثر واضح جراهام جرين .. كان اثر الأدبي ولطم فوكتنر .. يراد للتعبير الحق على كتاباته واضحة



مراسلا من الخارج لصحيفة «تورنتو ستار» . وعاش بعد ذلك خمس سنوات في شظف من العيش يمارس الصحافة في فرنسا وأسبانيا وسويسرا وألمانيا واليونان .

في عام ١٩٢٢ نشر همنجواي ثلاث قصص وشعر قصائد ، وفي ١٩٢٤ صدرت في باريس رواية «في عصرنا» ، فكان ذلك مشجعا على نشرها في نيويورك (١٩٢٥) وأصاب همنجواي اول نجاح لما نشرت له رواية «والشمس تشرق كذلك» في عام ١٩٢٦ ، نشر بعدها مجموعتين من قصصه القصيرة رسخت بعدهما قدمه واحتل مكانته كأحد كبار الكتاب . أما الرواية التي أكدت سمعته كروائي من الصف الأول فهي «بداعيا إيها السلاح» التي نشرت عام ١٩٢٩ وهي عاسة ضابط أمريكي وممرضة بريطانية وقعت أحداثها في إيطاليا وسويسرا للحيدة أثناء الحرب .. وانصرف همنجواي بعد ذلك إلى الكتابة عن مصارعة الثيران « الموت بعد الظهر» (١٩٢٧) ، وفي ذلك عشر سنوات .

فلما نشبت الحرب الأهلية في إسبانيا اهتم همنجواي بأمرها اهتماما شديدا وكتب فيها قصته المشهورة التي ظهرت على الشاشة البيضاء بلن تدق الأجراس» (١٩٤٠) وتعتبر أعظم رواياته ، وهي تروى قصة أمريكي متطوع ينضم إلى إحدى العصابات وراء خطوط اللواتي .. وتصور القصة كيف خذلت للقوات الفلنسية الشعب الأسباني ، كما خذلته العناصر الرجعية في أسبانيا نفسها .

ولقد أثنت اللجنة التي تقر منح جائزة نوبل على فن همنجواي القوي وسيطرته على طريقة القصص الحديثة وفنونه النادرة على بناء هيكل من الرمزية الطبيعية .

ومات همنجواي ، الذي صمد للقتال ، في داره في «كتشود» بولاية «إيداهو» يوم ٢ يوليو ١٩٦١ من اثر جرح سببته رمصاصة أطلقها على نفسه .. وخسر الأدب وخسرت القصة وخسرت الرواية بموته كتابيا فحلا .

جمال الكتاني

السكين على العنق .. حالة من حالات
العنف ، تقوم بها الممثلة - اميناهيل
ادجاني ، في فيلم امثال



ما تبقى من سينما عام ١٩٨١

شهادة علماء دموي

بقلم : رء وقت ستوفيق

وسجلت الشاشة العلوية هذا العنف
.. بمزيد من العنف !
وبجارت الإهلام لتأكيد المعنى الدموي!
وقد كانت كل الظواهر السينمائية ،
تشير خلال الأعوام الماضية ، إلى أن
ظاهرة العنف في الأفلام ، تنمو وتتسع
بطريقة سرطانية .. وكانت التوقعات
أيامها تنبأ بأن هذه النوعية من الأفلام
لن يستمر الحماس لها - من المتشاهدين

الأنباء على أن شيئاً خطيراً قد حدث ..
أما الآن .. فال اليوم الذي يمر دون
حادثة عنف .. يعتبر يوماً فريداً !!
وامتد العنف من دائرة النصوص
والسفاحين في جرائمهم المعروفة .. إلى
دائرة المعارضين والمتطرفين في
السياسة . !
وشمل العنف العالم كله ، وكأنه وباء
سريع الانتشار !

لم يشهد العالم حالة من العنف
والإرهاب ، مثلما يحدث الآن ، فيما يشبه
الأعمار الرهيب الذي يطحن كل شيء
أمامه ! .
أصبح الرصاص هو اللغة السائدة ..
والدم هو الطعام اليومي !!
ومنذ سنوات قليلة .. كانت حادثة
عنف واحدة ، من الممكن أن تهر العالم من
انصاه إلى انصاه ، وتسجلها وكالات



الصورة أعلاه: يمينه: محمد أبو زيد، رجل من جديد .. حيث يقوم أحد الممثلين بدور رعم العمال أثناء مونتاج الأفلام مع الحكومة والصورة السفلى: نفس اللحظة .. ولكن في الحديقة وكما حدث بالفعل



الشباب ..
وأفلام أخرى من داخل المناطق
المتخفية في العالم ، قلبي بشهادتها حول
ما يجري في بلادها ؟
وهكذا .. فإن المتأمل لخريطة السينما
في عام ٨١ .. يكتشف أنه أمام خريطة
اجتماعية وسياسية .. متفاوتة التعبير -
عن نبض أيام مشحونة بالقلق والتوتر ؛
في الأسابيع الأخيرة من عام ٨١ ..

وهكذا استمد صناع السينما عبر
الاستمرار لأفلام العنف ،
البعض يحاول أن يحلل ما جرى
للعالم بهدوء وحكمة .. والبعض يستفيد
من دم الواقع ، ليسكت مزيداً من الدماء
على الشاشة في تلذذ غريب ، وهوس
شاذ ، أقرب ما يكون إلى المرض النفسي !
ويجلب الأفلام العنف .. فظهرت أفلام
تعكس حالة الضياع والتفريق الحاد عند

وبالتالي من المتخجلين - ... وانها مجرد
موجة لاتلبث وأن تأخذ مداها وتنتهي ..
ولهذا أسرعوا وتماسكوا في إنتاج الأفلام
الليينة بالعنف ، حتى يستفيدوا منها
القصي استفادة !
ولكن الموجة لم تنته .. بل ازدادت
واخذت اشكالا مختلفة .. لا لسبب إلا أن
الواقع اليومي لأحداث العالم أصبح
واقعا أكثر عنفا وشراسة !

وهذه النظرة الفلسفية يطرحها الفيلم من داخل بنوراما هائلة وملينة بالتفاصيل عن الحياة والموت في لسان .. او بمعنى أدق عن الحياة والموت في هذا العالم التمس !

إيطاليا والارهاب

ومن داخل إيطاليا .. قدم لنا اثنا من أكبر مخرجي السينما الإيطالية .. هيلمين عن الارهاب ومظلمات القتل والخطف التي ترفع شعيرات سياسية .. وهي

الظاهرة التي تنوء إيطاليا بالأمها وماسيها اليومية المتكررة في شراسة !

المخرج الإيطالي المرموق هراشيسكو روزي، يقدم فيلم «الأخوة الثلاثة» ليحكى ٢٤ ساعة في حياة أسرة تحنوب إيطاليا ، تفارق أبناؤها كل واحد في مهنة ، وكل واحد في بلد .. وكل واحد في مشكلته :

الأب الغضبي مع مشكلة الارهاب .. يحلق قضاياها ، ويطاردها بالاعتقال اذا استمر في نظر هذه القضايا ؟ الابن العامل ومشكلته مع ادارة المصنع .. وحيث لا يجد وسيلة للاحتجاج سوى الاضرابات والعنف ، ولكن لا يدري متى يتحقق الهدف سريعا . الابن الثالث .. المدرس في اصلاحية الأحداث ، والذي تشغله فكرة ان العالم لكي يتم انقاذه ، يجب ان يبحث عن إلهام روحي ، وقلب جديد ولا جاء السقوط مدويا ورهيبا !

هؤلاء الأبناء الثلاثة (الذين يمثلون مشاكل إيطاليا المخارة حاليا) يجتمعون في بيت العائلة ، تلبية لبرقية وصلتهم من والدم العجوز (لعب الدور الممثل البارع شارلن فانيل) يبلغهم فيها بوفاة امهم .. وها هم يلتقون معا بعد غيبة طويلة .. وفي البيت الذي شهد طفولتهم وصباهم .. ومع جثمان الأم التي كانت تمثل لهم الحب والحنان .. كل منهم الآن يحكى مشكلته ويغضض عن همومه .. حتى تأتي لحظة الوداع ، وتشيع جثمان الأم .. لينفجر كل منهم في بكاء مرير ..

إنهم في الحقيقة يبكون امهم .. ويبكون ايضا انفسهم !



للمسح في اليد دائما .. في الفيلم الأمريكي ، شوارع العنف ..

حقيقة يومية ، يتعامل معها الناس وكأنها هي الحقيقة الأصلية .. فيما يراه بين أطراف القتلى في ليلهم .. أنهم يحاربون ويناسقون بطبيعة يدعو لهجرة والدهشة .. فهم يرتدون نفس الألبسة ، ويستخدمون نفس الأسلحة ، وفي جميع الأحوال يستخدمون نفس اساليب العنف .. فعندما تقع منبجة في إحدى المعسكرات ، يكون رد الفعل .. هو منبجة بنفس الشكل والأسلوب في المعسكر المعادي .. وهذا النموذج .. كما يقول الصحفي .. يصور حالة الزيف في هذه الحرب !

وعندما ينشر الصحفي مقالته .. تثار حوله الاعتراضات ويتهومونه بالكتب والخداع .. ولكنه يدافع عن نفسه وعن منطق ، وكيف أن ملغراه هو مزيفا ، يراه الآخرون على أنها الحقيقة .. ويقول :

« إن ما يؤثر ضيقى وحزنى ليست هي الحياة التي أحييها .. ذلك لأنى مؤزات غير قادر على استيعابها .. رغم اعتقادي القوي بأن هذه الحياة المزيفة هي الحياة الحقيقية » . !

وهكذا يربط المخرج الألماني «شولندورف» بين التمزق الداخلي لهذا الإنسان .. والتمزق الداخلي في لبنان .

بدا عرض فيلم «المزيفة» للمخرج الألماني العبقري «فولكر شولندورف» الذي أذهل العالم بفيلمه السابق «الطيلة» .

هاهو يقود أبطال فيلمه الجديد «المزيفة» داخل بيروت التي هدمتها الحرب الأهلية .. من خلال قصة هذا الصحفي الألماني الذي يعتبر من أحسن المحققين الصحفيين في ألمانيا (يلعب الدور الممثل الألماني برونو جانز) والذي جاءته فرصة السفر لتغطية الحرب اللبنانية .. فيترك زوجته وحياته الجافة الباردة ، ليلقى بنفسه داخل بيروت .. ويتحول عينا رأسه الى كاسيرا دقيقة ومراقبة لكل ما يجري في الشوارع ، وبين الحواجز والمتاريس ، وخلف الجدران المهدمة .. ويكتشف ان الحياة تنمو جنباً الى جنب مع الموت والخراب .. فالأطفال يذهبون الى مدارسهم والشوارع تنبض بالحياة العادية .. بينما القنصاة في الأطراف المتحاربة ، يتبادلون الرصاص والقتل والدمار ! ويوقع الصحفي في علاقة عاطفية مع امرأة متزوجة .. ويحاول أن يكتشف حقيقة ما يجري في داخله .. وأيضاً ما يجري على أرض المعركة في لبنان .. ويكتب مقالاً عن الزيف الذي أصبح

تسبب أوروبا الأزمة

وعن الضغوط التي يعاني منها الشيبال الأوربي .. قدم المخرج الإنجليزي (كين لواش) فيلم « نظرات وابستلمت » عن مشكلة البطالة في إنجلترا من خلال قصة شابين أحدهما التحق بالجيش هربا من البطالة .. والآخر حاول أن يعمل في أمة وظيفة ولم يستطع .. وأصبح عليه إما أن يقف في طابور الحصول على أذنة بطالة .. أو أن يلتحق بالجيش .. وهذا ما لا يهيج ! .. ولكن هل هناك اختيار في ظل هذه الظروف الاجتماعية الشديدة القسوة ، والتي يعرضها الفيلم بجرأة وصدق ؟ يقول المخرج الإنجليزي « كين لواش » عن شخصيات فيلمه :

« أنهم شباب في عمر ١٧ .. كلهم حيوية وحلم وس تقاؤل .. إنهم نتاج مجتمع غربي صناعي .. ولديهم الكثير ليعبوه للعالم .. ولكن ماذا لدى العالم ليقدمه لهم ؟ »

● ومن المانيا الاتحادية .. يأتي فيلم « مدينة الياس » كاول فيلم يخرج الممثل الألماني « فاديم جلوفتا » ليقدم مأساة الشيبال في مدينة المينة .. حيث لا أمل ولا مستقبل .. ولا طريق للهروب .. وهناك حلم يترشح بين الحب والآخر بين بطلي الفيلم وهذا شاب وفاتة العشرينات ، إنه ربما تكون هناك فرصة للهجرة إلى أمريكا .. ولكن يتبدد الحلم .. فليس هناك فصل يستطيع أن يقدم الحب والفهم للشباب ...

والفيلم ليس به قصة لها بداية ونهاية .. ولكنه صرخة مستمرة ، ورحلة معاناة مع بطلي الفيلم وهما يحاولان أن يجدا ميرا للحياة .. فكل ما حولهما يغلظهما ويطاردهما .. الأهل يعرضون عليهما أسلوبا لا يقبله .. والعمل يضعهما في قوالب يرفضونها .. والمدينة تلتهم كل شيء بسرعة .. ولا تدع فرصة للتأمل والحلاص .. وفي النهاية يأتي الضياع والتمزق واليأس .. ويصبح الحب مستحيلا ! ..

● ومن المانيا الاتحادية أيضا .. يأتي فيلم « كريستيان » ف . « من أخراج « إيرلش آيدل » لينقل على الشاشة قصة حقيقية نشرت في مسلسل مجلة « شتين » الألمانية .. عن اعترافات فتاة

أخرى من القلق الذي تعيشه إيطاليا حاليا .. وهو الاختلاف المطالب بقضية كبيرة .. والضحكة هنا في قصة الفيلم .. رجل من الطبقة المتوسطة استطاع بجهد أن يبني مصنعا لمنتجات الألبان ، وأن يعيش حياة مرفهة .. وهذا الرجل له ابن وحيد ، وبلغا باختلافه عن طريق منظمة تسعى للحصول على الأموال لزيادة مواردها وتدعيم خططها . ويعكس الفيلم مجرى للاب (أوجو تونياري) والام (انول اميه) وحالة الرعب والقلق التي اجتلبتهما .. وكيف بدأ الاب برمي المصنع وبيع ما يستطيع منه . لكي يجمع النقود المطلوبة كدفية لابنه المخطوف .. ويعود الابن ، لمكتشف أنه عضو في هذه المنظمة وأنه مشترك معهم في هذه اللعبة السخيفة !

ويقدم لنا المخرج حلقة الفوضى والارتباك الفكري والإخلاقي بين أعضاء تلك المنظمة وكلهم من الشيبال .. في محاولة لإدانة هذا الأسلوب الذي نفث في إيطاليا .

ورغم أن الفيلم لم يأت على المستوى النحوي من المخرج روبرتو لوتشي ، إلا أنه نجح ودخل ضمن النخبة لابتكارات عالم الألمان .. ويحفل الفيلم بأوجو تونياري « على جائزة نجس ممثل في مهرجان كان ٨١ »

ويعود الأخوة الثلاثة إلى دنياهم .. وهمومهم .. بعد أن استخلص المخرج من خللهم .. وبأسلوب فني يشع بالعدوية والإنسانية والجمال .. أهم القضايا التي تشغل إيطاليا اليوم .. وربما أخطرها قضية الإرهاب .. حتى أنه يكاد يكون أول مخرج إيطالي يجرؤ على طرح هذا الموضوع الملتهب للنقاش ! !

وعندما سألوه في حوار صحفي : لماذا تأخر كثيرا في إثارة هذا الموضوع .. بينما الإرهاب يغتشى في إيطاليا منذ أكثر من عشر سنوات ! !

أجاب المخرج « فرانيسكو روزي » بمرارة واضحة :

« هل تظنون أنه من السهل صنع فيلم عن مأساة الإرهاب ؟ ! ! لقد فكرت في هذا طويلا .. ودائما ما كنت أشعر بأن هناك شيئا ناقصا .. وقد كثر في الممكن أن اصنع هذه الأفلام من وجهة نظر المشاهدين .. ولكن لكي أقول لهم ماذا ؟ .. كيف يمكنني أن أحكي قصصا للجمهور .. بينما أنا شخصيا لا أفهم قواعد اللعبة الدائرة ؟ ! ! »

مأساة رجل أحمر

ومن إيطاليا أيضا .. يقدم المخرج « برناردو برونولوتشي » فيلمًا عن جانب



تعرض أفراد منظمة الاختلاف في فيلم « مأساة رجل أحمر » .



حوار حول الإرهاب بين القاضي وأخيه العامل في فيلم « الأخوة الثلاث »



لصاحبة في ميروك - لقطة من فيلم المرء

لصباح والتمرق كما
تجسد هذه الذاكرة
في فيلم « مدينة الياس »

بدأت تدخل عالم المخدرات في سن ١٢ عاما .. ثم ادمنت وانحرفت لتنفق على شراء المخدرات !!

وايشع ما يقدمه هذا الفيلم هو رؤية طفلة تفقد أجمل سنوات البراءة والنقاء، نتيجة ظروف عائلية مرتبكة .. وفي مجتمع لا يرحم .. وبين جموع مراهقين وشباب لا غناء لهم إلا المخدرات . !!

رجل من حديد

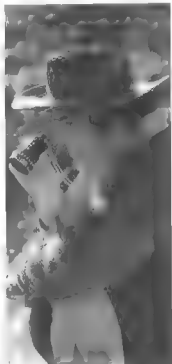
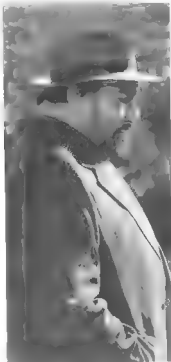
ومن واقع حركة العمال في بولندا .. افنى كلت ، ومازالت ، تشغل اهتمام العالم كله .. يقدم أكبر مخرجي السينما البولندية « اندريه فايدا » فيلمه « رجل من حديد » ليصبح هذا الفيلم أحد أهم أفلام عام ١٩٨١م .. وليسجل على خريطة السينما العالمية .. يقظة وجراحة السينما البولندية التي قدمت خلال عام ٨١ عددا من الأفلام الهامة عن جدور الاحتجاج والمقاومة في تاريخ بولندا . وفيلم « رجل من حديد » يعود إلى

أثناء اخراج هذا الفيلم ؟
قال المخرج متواضع شديد وثقة :
« اعتقد ان الإنسان لا يستطيع ان يقدم الحقيقة كاملة في أي عمل يعتمد على الفن .. فهي مسألة أحداث او وقائع تاريخية .. نستخدم فيها الصور والوثائق والاعترافات والادلة .. وبفضل كل تلك المصادر نستطيع الاقتراب من الحقيقة .. وقد ركزت كل جهدي في ذلك الاتجاه .. ويقدر المستطاع استخداما صورا فوتوغرافية للوثائق الأصلية والأفلام والشرائط المسجلة ، بالإضافة إلى أننا كنا مبهوتين بهذه الشخصيات الأصلية الصادقة . التي صممت

بدايات احتكاك العمال مع السلطة البولندية منذ أحداث ٦٨ ثم صدامات عام ٧٠ وعام ٧٦ .. لتتوج في النهاية ، بالتحرك العمال في حركة التضامن عام ١٩٨٠م .

والمخرج « فايدا » يؤكد في فيلمه .. على أن حركة العمال ، حركة وطنية ، وأن شهداء معارك العمل مع السلطة طوال هذه الأعوام .. كانوا بمثابة القوة الملهمة للاستمرار والصلاة .

والرغم الفيلم اهتماما عاليا بالعا . وقد علق المخرج « فايدا » على التساؤلات التي ترددت حول مدى الاستفادة منالحقائق الكاملة لما حدث في بولندا .



المخرج براتونوتشي - والممثلة سوك ايمبي - والتيلد اوجو سيجماري - فيلم - مائةة ريال حقيق -

إن مثلت الأفلام التي شهدتها دور العرض خلال عام ٨١ .. وهذه الأنهار المتدفقة من الدم ، على شاشات السينما .. وهذه العواصف المدوية بطلقات الرصاص ، والصراخ والألن ، والتي جسدتها مكبرات الصوت .. هذا المخزون الهائل من الألم .. والخوف .. والضباب .. هذا الإيقاع المجهين للحياة .. وسقوط القيم والإخلاق .. وتبدد الأحلام والأمل .. ليس إلا شهادة سينمائية حزينة على عصر مرتبك .. دهمى .. وقراءة سريعة لأهم الأحداث الواقعية التي شغلت العالم في ٨١ .. تجعلنا نقول إن السينما العالمية لم تنال في شهادتها .. بل لم تقل كل الحقيقة ' ويبقى الأمل في عام جديد .. أكثر استقرارا .. وهذوا .. وأفلام جديدة .. أقل عنفا وحرارة ' . رعون توفيق

الجيد ، بداية من الفحص الطبي لآثار مدى الإصابة ، ونهاية بعودتهم إلى حالتهم الطبيعية . ! وبراعة ذلك الفيلم - ولأسوته أيضا - أنه يقدم الحقيقة الكاملة الرهيبة على بشاعة الحرب وما فعلته في هؤلاء الجنود الذين فقدوا النطق والسمع .. أو أصابت أجسادهم ارتعاشات دائمة .. أو عدم القدرة على الحركة .. أو النوم .. واحساسهم الدائم بالفزع . ويعتمد الفيلم على مادة واقعية تنبض في كل لحظة من مدة عرض الفيلم بهذه الآلام الإنسانية المروعة ، والعذابات التي تصفح عنها عيون الجنود والتي استطاعت كاميرات دقيقة موضوعة في زوايا مدروسة بعناية شديدة ، أن تلتقط أدق التفاصيل والمشاعر .. ليؤكد بها المخرج العبقرى ، نداه الذي اختاره عنوانا للفيلم ليكن هناك ضوء !

الأحداث وخلقها التاريخ .. وكل ما صنعناه أننا حاولنا إعادة تقديم هذه الشخصيات .. !

وثيقة فنية خطيرة

وشهد عام ٨١ .. وثيقة فنية خطيرة .. سجلها المخرج الأمريكي الكبير « جون هيستون » عام ١٩٤٥ .. وظلت هذه الوثيقة موقوفة عن العرض منذ ذلك التاريخ ، بأمر من وزارة الدفاع الأمريكية .. حتى تم الإفراج عنها في بداية ٨١ .. وهذه الوثيقة الفنية .. عبارة عن فيلم تسجيلي مدته ساعة يعنوان ليكن هناك ضوء .. أخرجه جون هيستون من خلال المستشفيات الأمريكية العسكرية والتي استقبلت الجنود الأمريكيين الذين اشتركوا في الحرب العالمية الثانية ، وأصابتهم الحرب بصدمة نفسية وعصبية عنيفة . والفيلم يتابع دخول نماذج من هؤلاء

حركة العاصفة والاندفاع في الأدب الألماني

بقلم الدكتور عدنان رشيد

● يتميز الأدب الألماني بملامح خاصة وفريدة تميزه عن الآداب الأوروبية الأخرى وذلك لتاريخه الحافل بالكفاح المميز الذي خاضه هذا الأدب والمراحل التي تمخض عنها حتى استطاع في منتصف القرن الثامن عشر وضع اللبنة الأولى لصرح الأدب القومي في ألمانيا ●

الاستقلال الأمريكية وثورتها ضد الاستعمار البريطاني، كما كان ليصر ألمانيا فريديش الكبير لا يتكلم في قصره سوى الفرنسية وكان يقول: «إنني لا أتكلم الألمانية سوى مع خيولي».

قد ألهت حركة العاصفة والاندفاع للشخصية الألمانية أهمية كبيرة وأصبح المواطن مطالب بالتكافؤ والمساواة في الحقوق ومبدأ الحرية لتطوير شخصيته دون قيود أو حواجز اقتصادية وسياسية واجتماعية. وتعتبر شخصية هنا تطوير الفكرية الألمانية وإدراكها في جو من الحرية والتشجيع وذلك انطلاقاً من هذا العصر على هذا العصر بعصر العبقرية.

ولاحل إردمان هذه العبقرية لابد من وجود أرض صلبة تنطلق منها هذه العبقرية، لذلك استهدف كلاً من مطلق العاصفة والاندفاع تطوير ووعية الشعب والإسرحية الألمانية والاعتماد على قليلات الألمان الأصيلة، أن الإنسان المعرفي في مفهوم العاصفة والاندفاع هو ذلك الفنان العبقري الفريد في عمله ولا يهاب الصعاب ولا يخشى التقليد. ويطلق في عمله البشري من مصلحة الجماهير وأن ينتج فناً يفهمه الشعب. لقد اتسم عصر التنوير بالحكمة والتفكير، أما عصر العاصفة والاندفاع فقد أطلق العنان للعواطف والشاعر الانسحابية دون حدود أو قيود. وقد انعكس ذلك في رواية الأم فترت لجوته التي صدرت عام ١٧٧٤ والتي جسدت المشاعر والعواطف الشخصية.

وقد أدت المفهمة الاجتماعية ضد أدب القصور والصلوات إلى التخلي عن القيود الجمالية. وكان الكتاب الإنجليزي أدوار يونغ قد نشر بعض الأفكار عن الأعمال الأصيلة وترجم هذا العمل إلى الألمانية عام ١٧٦٠ ودعا فيه إلى

الفرنسي على مسار حركة العاصفة والاندفاع وعلى تفكير معنيتها مثل هيرد، وجوته ولين وهامان وفاندر مولر... كل هؤلاء الفلاسفة لم يهتموا بجمال حذر روسو كماً، على مطلق حركة العاصفة والاندفاع نفسه في دعوته العودة إلى الطبيعة واستنساخ من شخصية سحرية. وقد ورد في رسالة روسو عام ١٧٥٠ صفة «الغريب» الذي لا يهتم بالاعتماد على الآخرين بل يعتمد على نفسه في الحياة وأدركت المرحلية الألمانية المعنى الجديد لدعوة روسو إلى العودة إلى الطبيعة في الحياة مجتمع متحرر ويعتمد على أساس العقل وأن يتحرر من السيطرة الاجتماعية، أما الطبيعة فكانت تعني عند روسو متكلمة الإطعام وأشاعة للعمل الاجتماعي.

لقد دعت العاصفة والاندفاع إلى ضرورة إضفاء الطابع الألماني على الأدب والفن وعدم الاعتماد على التأثير الفرنسي والإنجليزي كما استهدفت دعوة مطلق العاصفة والاندفاع نفس مصالح الانطباعيين الذين كانوا يحكمون ألمانيا من خلال ديورات صغيرة لم يكن يوجد ما يشبهها في أوروبا. وكان يوجد في قصور هؤلاء الجنب من دول عديدة لم تربطهم أية رابطة قومية مع القومية الألمانية أو مصطلحاتها العلمية، وكان هؤلاء يعززون متصرفاتهم المصلح الوطنية الألمانية. ومن هذا ارتفع صوت المفكرين والكتاب إلى ضرورة تطوير قصور الانطباعيين من الأجانب كما طلب جيل العاصفة والاندفاع ضرورة المحافظة على حقوق الأمة وعدم انقيادها بها، حيث كلى الحكام الانطباعيون يبيعون الجنود الألمان إلى إنجلترا لاستخدامهم في قمع حرب

تعتبر حركة العاصفة والاندفاع ثورة أدبية عصفت بالكتاب الشباب عام ١٧٧٠، وكان هدفها توقيض الانطباع وأطلق الحرية الفكرية للكتاب والمفكرين وتحطيق التحرر السياسي والاقتصادي للطبقة البرجوازية لكي تأخذ مكانها في مسيرة التطور وتحل محل الانطباع.

وقد طلب الكتاب في هذه المرحلة المتحررين من انتبعية الانطباعية للانطباعيين الذين كانوا يريدون بمثلثات قوية مع الكنيسة كما طلبهم الكتاب الشباب في كتاباتهم بالتحري من سيطرة الكنيسة على الحياة الفكرية، وقد وصل هذا التطور ذروته عام ١٧٥٠ عندما ظهر كلوبشونك واستنق.

عكس كلوبشونك في فصلاته التي نشرها لذلك الروح العاطفية التي تجبر عن الطلب الإنساني ومشاعر الحرية والصداقة والحب الطبيعية والوطن.

وأعلن لأول مرة بأن المسيحية جزء من المشاعر الطبيعية، كما أن للشاعر لم يعد بعد الآن مجرد واعظ للمثل الأخلاقية.

كلوبشونك لم يجد في ألمانيا جمهوراً يلتهم أفكاره وكان يستنق في ذلك الوقت أحد دعاة التحرر من سيطرة الكنيسة ومبادئ بشعارات وطنية تنطوي على مفاهيم ومثل أخلاقية وتقدمية.

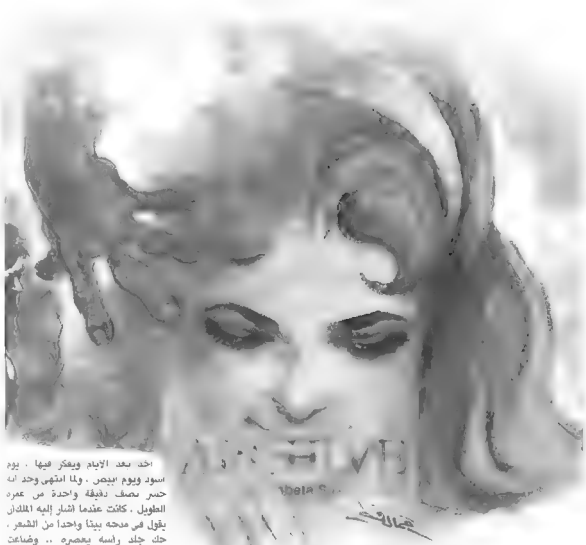
إن العاصفة والاندفاع مدينة في مشاربها وتطورها إلى المفكرين الإنجليزي والفرنسيين لاسيما فيما يخص المشاكل التي عالجهامسها الاهتمام لكشعر الشعبي والأدب القومي.

وقد حدثت في إنجلترا ثورة هزت المجتمع وأغرقت بمبادئ العقل والحكمة. وقد أثر هوم وغيره من مفكر عصر التنوير الإنجليزي وكذلك فولتير وروسو وغيره من مفكر عصر التنوير

د. عدنان رشيد - جامعة الرياض

القرار لم يفهموا المفزى الحقيقى لانتحار فرتر ، ويعتبر فريريريش شار خير من مثل العاصفة والارتفاع فى مسرحيته -كيد وحب- التى صور فيها كيد الإقطاعيين ضد فتاة نخب مواطانية من طبقة النبلاء لإحباط هذا الحب .





أخذ سعد الأيام ويفكر فيها . يوم
أسود ويوم ابصر . ولما انتهى واحد ابن
حسر نصف دقيقة واحدة من عمره
الطويل . كانت عندما أشار إليه الملك أن
يقول في مدحه بيتاً واحداً من الشعر .
حك جلد رأسه يعصره .. وضاعت
الارض في لمح البصر . لو طاوغت
قريحته على الفور لتغير مسار حياته
كله . ياله من انسان غبي وبليد وخامل
البصيرة . بدل أن يعطر عليه الخير .
قيده بالسلاسل والحديد . ورموه في
السجن . حتى كاد يتعفن من النسيان .
وفي الزنزانة الضيقة كان يتذكر كل
الحظات التي مرت به . حلوها ومرها
على السواء . وكان قد تعود على هذه
العادة السيئة . فاهمل الحاضر
والمستقبل . وقال لنفسه : درجت على
الحق وصلابة الرأس منذ طفولتك
الباركة . فترصت بك عصابة الأصدقاء
اشعوك ضرباً وفهراً . وها هي الأيام
تعود . فيم كنت تفكر ... قاموس اللغة
فياض . وبحور الشعر وقوافيه بين
اصابعك . تلعب بها كما تشاء
ياخبيبتك الثقيلة . وضرب الجدار بعنف

قصة قصيرة

عيناها والصبر

بقلم : فاروق منيب

يرتقون احديتهم بالعافية .. سفلق مطلق !

وصب الشاي الدافئ . كان الوقت في الشتاء ، والريح تضرب خيمته الرقيقة القديمة ، وريح انه لا يكف عن السيل . نذته المخروطية ، بيضاء الشعر ، تنكسه مكر الثعلب ، الذي تدرب على حيل الحياة . كان يفرسه بمطراته التحتية ليعرف خباياه . وكان هو الآخر يحاول ان يعرف منه . وفل الاسكافي الفقير بشاغله على مدى الايام دون ان ينسى .

– صباح الخير يا عم زلطة
قال الاسكافي :

– صباح الخير يا ولدي ..

ويحلق بعينه الضيفتين اللامعتين ثم اذرف :

– لم اصبح مركوبك بعد ... الشفل كنتو ماولدى ...

قال :

– ~~فيم ارجع من اجل المركوب~~ .. جئت لانتس بيك .

فـ ...

– حك سببي

فـ ...

– مس بدر حكتك

فـ الاسكافي

– العالم اليوم مملوء بالشربور ... ونمخض وهو يذق المسامير في كعب حذاء على السندبل . وكل عجزا وضاعا ومنهكا . وقال عم زلطة حين وجده ، صعلتا :

– فيم تفكر ؟

قال :

– في احوال الدنيا

قال عم زلطة

– صل على النبي ... تشرب شاي ؟

قال :

– تشرب ...

واشعل الاسكافي رايكة النار في الحفرة امامه ووضع اليراق . ثم قال : – هل تعلم ان الصلحك يطاردوني من مكان لآخر . لاني لا ادفع لهم المعلوم . انهم لا يرجحون . ولا يريدون ان تنزل رحمة ربنا على احد . وضحك في اسي ضحكة مشروخة تحمل همومه الزمته . ثم همس وهو يمسح قطرات من العرق تجمعت على جبهته :

– لكنني تعودت على قرقهم ...

● على مرقا الدم والصبر ●

اليوم الاسود يختلط باليوم الابيض الفرح بالحزن ، الغلام بالقور ، الحياة بالموت . ومن الصحراء القاحلة تنبع المياه ، ومن وسط الصخر ، وعلى جوانبه . يفتح الورد . المثل يقول ، فز ساعة ، ولا كل ساعة ، ولكن نزيفه لا يتوقف . يوما بعد يوم وهو ينزف . الجدول معلق على الحائط .

يعرف الآن بسليقة حب الحياة وعزيمتها ان لابد من الفز . وهذا الانقسام الذي يعيشه ، هو انقسام الموت مع الحياة ... وقطرة وراء قطرة ينزل ، ثم يصحو يرتل الآية التي يحبها : « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » . الجسد والروح معا . والدم النازف ضريبة الكبرياء والفقر وشقوة الطفولة . وتعلق قلبه بالمجهول ، فرأى انه استحل الى كبريا متعنتة ياكلها الدود . اقبس بمرارة وسخرية . هل يبقى المعنى والذكرى ؟ . ربما ... ربما . المثل يقول ... الصبر طيب ... ولو كان مرا نصبر له . وفي تلك اللحظة يخرج من ذاته . ليعانق كل الاصدقاء : لماذا يا اجنابي تغرقون في الصراع ؟ . ومن صعيد مصر إلى امدرسن ، إلى بكرة الى طرابلس ، الى بغداد . الى لندن وبليز ، الى قطر والبحرين ... الى كل البلاد والمنازل على وجه الارض ... نحن غرباء ايها الاحباب ... لاننا ملائنا نعلني ونرسم الاشواق . واحتضن امه وغربته وصبره . فتدفق دمه ونبضه مفتديا عظامهم . واختزلت شعاعات

حتى سال الدم من كفه . الان يتانسف على ضياع لحظة العمر التي لا تتكرر . الملك لا يطلب من احد شيئا . الكتاب والشعراء هم الذين يتقدمون اليه بالكلمات الموشاة بماء الذهب . يا امه كان المعنى حاضرا في ذهنك ، فما الذي اصاب قريحته ؟ . السجن حلال عليك . ان تعلم من تجاربك المحزنة . هل تعلم ؟

● اصداق الفقر والفن ●

تنفس في راحة شديدة . العالم الان ملك بيده . ليس لحرته حدود . امامه كسرة الخبز وبقايا العسل الاسود . وقليل من الجبن القديم والبصل . ومشروع قصة يهل عليه من الماضي . تنهال الفكرة منتشية بنفسها ، مزهوة بابداعها الجديد . اه لو ينزل البحر . ليتلظ اصدافه الذهبية ولؤلؤه ومرجلته ؟ . فعلها مرات كثيرة . ورغم العناء الذي لاقاه . لكنه كان يخرج في كل مرة فرحا وسعيدا ونقبضا . الفقر ليس عبئا ، الفقر هو العيب . تذكر الحادثة القديمة ، فيصق مغيظا وحائقا . ثم شبع في صدره امل ياهر . بدأ يستعد للمغامرة اللطيفة . يدخل إلى علة المضي . كان ياما كان .. رجل وامرأة او طفل وشعب كلن ... وامتلا قلبه بالدفء والاشعاع . كيف يبدأ .. لا يعرف . المهم انه لا يسبح وحده . وجوه الاطفال تغرش الافق امام عينيه . وفي ركن مظلم كان يقعد اسكافي فقير . يرتق احذية المارة . حياه وراسه يشع بكلمات النبي .. اللهم احشمني في زمرة المساكين . وقال :

الخرطوم

مدينة امتزجت ملامحها العربية بالملامح الإفريقية

واعيش الحرب في البقعة - التي كانت ملتزمة - من بلادي ، ولم أكن مستعداً للابتعاد ولو يوماً واحداً ، عن الضباط والجنود الذين عرفتهم ، وكنت استمد عوامل التزاني النفسي من مطولاتهم ، ووقائع الأحداث اليومية ، اعتذرت عن السفر إلى السودان ، مع أنني لم أكن قد خرجت إلى أي قطر عربي في ذلك الزمن الذي يبدو لي ثانياً الآن كالقرون الخوالي ، ومضى أحد عشر عاماً قبل أن تتاح الفرصة من جديد ، في مارس (آذار) ١٩٨١ ، وفي أحد ليالي الحارة ، نزلت إلى مدينة الخرطوم عبر المطار الذي يقع في قلب المدينة ، موقع فريد لمطار دولي ضخم ، كانت المناسبة ، وصول وفد اللجنة المصرية للقضاء على الأسرى الأفريقي ، وكنت أحد أعضاء الوفد ، وكأى بلد عربي لا يشعر الإنسان بغربة حال وصوله إليها ، الملامح العربية الأصلية تطلعتنا في الوجوه وأن امتزجت بالملامح الإفريقية ، السيارة تخترق شوارع الخرطوم الليلية ، الهائلة ، شبه الخالية من الحركة ، لا تستغرق المسافة للوصول إلى شاطئ النيل حيث الفندق ، إلا دقائق قليلة ، وقبل أن أرحل عبر المدينة ، أبداً الرحيل في تاريخها ، وتاريخ الخرطوم مرغم حدائقه ، إلا أنه حافل بأحداث تاريخية ذات طابع درامي ، وتكوين المدينة العمراني ، مرتبط أشد الارتباط بهذه الأحداث .



الخرطوم اليوم بكل ملامحها من حياة معاصرة

«أتاحت لي الفرصة لزيارة السودان لأول مرة عام ١٩٧٠ ، كانت المناسبة حضور احتفالات العيد الأول لثورة مايو ، غير أنني اعتذرت ، كانت حرب الاستنزاف تشهد تصعيداً خطيراً في تلك الأيام النائية ، القصية ، وكان الطرفان الرئيسيين للقتال ، سلاح الدفاع الجوي المصري ، والطيران الإسرائيلي المعادي ، كنت مقيماً في الجبهة وقتئذ ، أصف لمواطني المعارك من خلال عملي كمراسل حربي» .

الأصل

ما اصل الاسم ؟

لم يختلف الناس حول اسم مدينة ، كما اختلفوا حول «الخرطوم» يقول بعض الأوربيين ان الاسم مأخوذ من القرم ، وهو نبات تكثر زراعته في مصر . وكان يستعمل زينه للاضاءة ، اخرون يقولون ان الاسم يعني في لغة الترك ، اولمة الدينكا ، المكان الذي تجتمع عنده العيون والانهار ، ويرجع الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم اللفظ الى اصول نوبية. من ناحية اخرى يقال ان العرب اطلقوا

هذا الاسم على المكان لان طرفة يمتد في شكل شريط يشبه خرطوم القبل حتى يلتقي النيلان الأبيض والأزرق . ويبدو ان اصل اللفظ بالناء اي الخرطوم . ثم قلبت الناء الى طاء ، كنوع من تهذيب اللسان العربي ..

روايات متعددة ، ولكن لا توجد رواية واحدة حاسمة ، وفي التاريخ لا يذكر المؤرخون شيئاً عن الخرطوم في عهد

مملكة النوبة المسيحية العليا ، في سنة ١٦٩٨ زار الرحالة الفرنسي بونسيه السودان ، ذهب من قرى الى سنار مباشرة يدون ان يتوقف في الخرطوم او يذكرها ، في سنة ١٧٧٢ اتجه الرحالة بروس من سنار الى شندي عبر الحلفاية دون ان يذكر الخرطوم ، وتجاهلها ايضا الخرائط التي طبعت في اوروبا اوائل القرن التاسع عشر ، لم يكن الموقع يشكل اهمية بالنسبة للرحلة الاوربيين ، وفي سنة ١٨٣١ زار ادوارد بارون فون كلو



انصاعاات الشعبية في ام درمان

السودان ، ويعرف باسم ارسلان بك ، ودون مشاهداته ، وذكر ان رأس الخرطوم ليس به شيء إلا بعض الاكوخ الفقيرة ، لم تكن الخرطوم وتكتنل سوى نقطة عسكرية ، بينما كانت عاصمة الاقليم الحقيقية في الحلفاية ، ويرغم ذلك ، فقد ادرك ارسلان بك اهمية هذا الموقع ، ومرور طرق القوافل به ، اقترح انشاء مدينة تجارية بها ووضع الخرائط اللازمة ، وفي مخطوطة كاتب الشونة - الطبوعة في القاهرة - يذكر الموضع مرة واحدة في فترة حكم الفونج ، ثم يأتي ذكر الخرطوم عند الحديث عن عبور جيش اسماعيل النهر من ام درمان الى الخرطوم ، ثم عد محيى عثمان بك ،

وتشيده النقطة العسكرية بها . ثم محيى مشو بك خلفا لعثمان بك ، وفي كتاب طبقات ود ضيف الله الهام ، لا يرد ذكر الخرطوم على الرغم - كما يقول الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم من ان مؤلفه من الحلفاية ، ويذكر كثيرا من ولاء هذه المنطقة ... لم يكن للخرطوم

اهمية ، كانت منطقة مغفوة بالفيضار ، تعطلها الغابات ، وفي سنة ١٦٩١ ، جاء احد الاولياء واسمه ارباب العقائد وعمر النهري لينشيء في هذا الموضع اول قرية ماهرة ، كان من عادة الفقيه الذي يشتهر امره ، ان يفلر مكان مولده ، وان يبحث له عن مكان جديد يستقر فيه ، وهكذا غادر الشيخ ارباب العقائد جزيرة تونى ، الى هذا الموضع ، وكان لارباب العقائد تلاميذ ، منهم الشيخ خوجلى عبد الرحمن الذى استقر بالخرطوم بحرى وبني فيها مسجدا ومنزلا ، وتوجد منطقة الآن تعرف باسم حلة خوجلى وفي الخرطوم بحرى منطقة تسمى الآن حلة حمد ، ترجع الى احد تلاميذ الشيخ ارباب العقائد وهو حمد ولد مريوم ، وقد ساهم هؤلاء المشايخ في نمو مدينة الخرطوم ، مع الفتح المصري وصل اسماعيل باشا يجيشه الى هذه المقطة ، واتساع معسكرا للجيش ، وكان ذلك بداية مدينة الخرطوم الجديدة ، وفي عهد محو بك اتسعت الخرطوم ، ويطلق اسمه الآن على منطقة الشجرة الواقعة جنوب الخرطوم ، وتعرف بشجرة محو ، كانت المنطقة تسمى في البداية شجرة النفارة وكانت القبائل تتجمع حولها تدق الطبول وتقام فيها المهرجانات القبلية ، وحتى



إبراهيم السيد في القاهرة المصالح

توسعت المدينة ، وبدا البناء ، ويضم كتاب «تاريخ الخرطوم» تفاصيل دقيقة عن تطور حركة العمران ، وشق الشوارع ويسمى المدينة ، والطابع الأوربي الذي نشأت على أسسها «الخرطوم» لازال مسيطرا حتى الآن ، بعكس مدينة ام درمان المدينة الإفريقية الصميمة ، التي تروج بالحياة ، والحركة ، ذات الشخصية المتميزة .

وقد لاحظت في المباني الجديدة التي اقيمت بعد الاستقلال ، وبعد ثورة مايو ١٩٧٠ ، استحياء النمط الأوربي الحديث ، يبدو هذا واضحا في قاعة الصداقة الضخمة وقاعة مجلس الشعب ، كذلك شيدت الفنادق الكبرى على النمط الأوربي الحديث ، فماعدات الفنادق الكبرى الذي بني اوائل القرن ويشبه فنادق اسوار الكبرى القديمة ذات الطابع الانجليزي المختلط بالطراز المحلي ، ويعد تجديد الفندق الكبير بعد ثورة مايو احتفظ بطابعه الاصيل ، وشرفته السجاسة المطلة على النيل ، والحقيقة ان الخرطوم تتمثل فيها بس المشكلة التي تعاني منها بلاد العالم الثالث ، فيما يتعلق بالعمارة ، وتقليد

المصالح الحكومية وبيوت الموقلين ، ثم يأتي ذلك القطاع التجاري ، وهو يقع جنوبيا شارع الخديوي ويمتد غربا الى المسجد الكبير ، وشرفته التي تشارع فيكتوريا (انقصر حليا) وجنوبا الى ميدان عباس (ميدان الامم المتحدة حليا) . ثم يقع وراء هذا الميدان السوق العربي ، والتي الغرب من شارع فيكتوريا القطاع الصناعي ، حيث تتجمع الصناعات الخفيفة كالحدادة ، والنجارة حرس كتشنر على ريف لقطاعات المدينة بواسطة شوارع عريضة تسير من ركن مربع الى اخر لهذا السبب ، وحرس ايضا على ان تكون المدينة في طابعها سكنية . بدأت الحياة تدب في الخرطوم مع نهاية القرن التاسع عشر ، وجد كتشنر ثلاث كتائب من الجيش المصري وعددا كبيرا من اسرى جيش المهدي لتنظيف الشوارع من الانقاض ورمد الاماكن المنخفضة من المدينة ، هي سنة ١٩٠٤ سويت الشوارع ، وتم رصف شارع رئيسي يربط بين قصر الحكم العام ، والفندق الكبير ، والسوق ، والمسجد الكبير ، وقصور يمتلكها الوطنيون ، وانشامصنع للتاج في شرق المدينة ، وكلية جوردون التذكارية ، ثم

اليوم تدق الطبول في المواسم والاعادي ، ثم اطلق على المكان اسم شجرة ماهي ، وقبل انه المكان الذي ضرب فيه خيمته ، وظلت تعرف باسم شجرة ماهي حتى سقوط الدولة المهديية ثم فكر احد مفتشي الحكومة في اشارة خيال السواح ، فزعم ان جوردون الانجليزي زرع شجرة ضخمة وزرعها حتى كبرت ، ومن ثم اطلق الناس عليها شجرة جوردون ، اما اليوم فيطلق عليها الناس اسم الشجرة فقط .

اول تخطيط

في سنة ١٨٤٨ ، وصل الى الخرطوم فوج من المبشرين يقودهم الاب ريلو ، وقد قدر عدد سكان الخرطوم محوالي ١٥,٠٠٠ نسمة ، وقد استقبل هؤلاء المبشرين تاجر سوداني مسلم ، رجب بهم ، وقدم اليهم مساعدات شتى نظرا لانقاذهم الى المال ، واشترى لهم من ماله قطعة ارض على شاطئ النيل الأزرق فاقاموا فيها ارسالية الخرطوم في الموضع الذي تقوم فيه بلدية الخرطوم الآن ، وتجلس في هذا التصرف ساحة اهل البلاد تجاه من يخالفونهم العقيدة ، .. تتعدد الروايات ، بخصوص مبادى المدينة الفعلية ، ولكن المجمع عليه ان الخرطوم لم تصبح مدينة رئيسية الا في الربع الاول من القرن التاسع عشر ، ويرجع الشكل الحالي للمدينة الى اواخر القرن التاسع عشر ، بالتحديد بعد هزيمة الثورة المهديية ، ودخول كتشنر الى الخرطوم ، منذ اليوم الاول لدخوله اولى المدينة اهتماما كبيرا ، وضع التخطيط الجديد بمعاونة بعض المهندسين ، وقد استوحى في التخطيط شكل العلم البريطاني . ويعتبر هذا اول تخطيط لمدينة سودانية ، إذ قامت الخرطوم القديمة ، وام درمان علوا ، استهدف كتشنر انشاء مدينة على النمط الأوربي ، خاصة الانجليزي ، ويذكرنا ذلك بالاماكن التي انشأها المستعمرون الانجليز لتصبح صورة من مناظر العمران في بلادهم ، يتمثل هذا في منطقة المعادي بالقاهرة ، والبالاء بمدينة الاسماعيلية ، قسم كتشنر المدينة الى قطاعات متعددة ، الاول يقع بين شارع الخديوي (شارع الجامعة الآن) وما بين النيل الأزرق ، وفيه توجد

الخرطوم

هذه مدينة استراتيجيّة صارت عاصمة السودان

بإسلامها القديم

الانتماء الأوربيّة ، بصرف النظر عن الطابع المحلي للعمارة الوطنيّة ، أو مراعاة ظروف المناخ الخاصّة في البلاد الحارة ، والتي تؤدي إلى الاعتماد التام

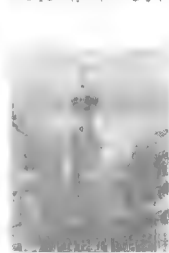
على أنظمة تكييف الهواء الصناعيّة ، لذلك فإن الطابع العام لمدينة الخرطوم يبدو حارّاً ، في التطلع إلى النمط الأوربي في العمارة بجملة ، وما بداخله من تناقضات في الشكل الخارجي ، (قاعة رومانيّة ، ومنازل بطوب الأحمر على الطراز الإنجليزي ، وعمارات حديثة أمريكية الطابع) وبين الطابع الوطني للعمارة ، والذي يتمثل في منازل الفقراء التي تقوم على الأفراف أو المساجد ، وأضرحة الأولياء ، ذات الشخصية المتميزة إذا ما قورنت بالعمارة الإسلامية في البلاد الأخرى ، ومن أهم العوامل التي تكسبها هذا التميز شكل القباب التي تتوحد في جميع مناطق السودان ، القبة العالية التي تستوحى في استدارتها إلى حد ما شكل ثمرة البصل الخارجي .

أم درمان

.. مع عبور النيل ، والانتقال من الخرطوم إلى أم درمان ، يتم الانتقال من نمط في العمارة والشكل ، إلى نمط آخر مختلف تماماً ، أم درمان مدينة أفريقية صميّة ، تتدفق شوارعها بالحركة المستمرة ، بعكس شوارع الخرطوم التي تقف في غير ساعات العمل ، تقف أم درمان على حدود الصحراء ، ولتأسفها وشوارعها نظام خاص في الانتشار والاتصال ، نابع من التخطيط النابع من داخل احتياجات المدينة ، وغير المفروض عليها من الخارج ، ويتمثل التخطيط ويتجسد في السوق

الكبير الضخم ، الذي يضج بالحياة ، حيث تخصص لكل سلعة قسم معين ، بدءاً من سن الفيل ، والمصوغات ، وحتى الخضروات ، واللحوم ، كانت أم درمان مجرد موضع صغير بالجانب الغربي للنيل ، وعندما قامت الثورة المهدية وابتدأ زحف الانتصار على الخرطوم متوقعا بنى الجنرال جوردون طلبية من الطين في أم درمان ، ركز المهدى هجومه على الطلبية حتى سقطت ، وبعد أن فتح مدينة الخرطوم جاء إلى خلاء أم درمان ليقبض فيها معسكره للهجرة ، وقد نما هذا المعسكر نمواً كبيراً ، حتى أصبح عاصمة للدولة المهدية .

ولكن مدينة أم درمان لم تنته بعد سقوط الدولة المهدية ، والتركيز على عمران الخرطوم ، ويقال أن المهدى اختار موضع المعسكر بأن أطلق لجملة العنّان فصار الجمل حتى برك في الموضع الذي توجد به القبة الآن ، وقد وقع اختيار المهدى على الموضع وعلى جدران من الطين في المكان الذي برك فيه الجمل ، وما توفى إلا ما تكفاه اصطفاة في حجرته رسول الله في حجرته لسيده عائشة التي ماتت فيها ، أطلق المهدى على المكان اسم البقعة ، وكان يقال البقعة الطاهرة ، أو المباركة ، وعرف الموضع باسم دار الهجرة ، ولكن هذا الاسم اختفى ، وبقي «أم درمان» الاسم القديم الذي يقال أنه



الجامع الكبير بالخرطوم

اسم مكان قديم يرجع إلى امرأة كان لها ولدا اسمه (درمان) .

في قلب المدينة تقع قبة المهدى السامقة بلونيهما الأخضر والفضي ، وهذه القبة يقع المسجد الكبير ، وهذه المطهارة كانت تقسم المدينة بصغير تقريبا ، القسم الجنوبي ، حيث جناح الخليفة عبد الله وأقربائه وحرسه وأهل الغرب عامة ، والجناح الشمالي وهو جناح الخليفة علي ، والخليفة شريف وأهل البحر عامة ، ثم تطورت المدينة واتسعت فيما بعد ، إلا أن قبة المهدى - في رأيي - تعد بمثابة القلب للمدينة حتى الآن . وقد مدّى في حفر أساس القبة يوم الأربعاء الثاني من ربيع الأول سنة ١٣٠٦ هـ ، وكان ذلك بحضور الخليفة عبد الله ، والخلفاء ، والقضاة ، والأمراء ، وجماعهم الانتصار ، وقد بدأ الخليفة عبد الله الحفر بنفسه ، استمر الحفر حتى التاسع من نفس الشهر ، وضع الخليفة الحجر الأول إلى التاسع ، ثم تبعه الخلفاء والانتصار ، وكان أسسه فوق الأرض بالحجر ثم بنى فوقه بقطوب الأحمر . وكان البناء مربع الروايا ، وبعد أن ارتفع إلى ١٤ أراعا ، أصبح مائعا ، ثم تبدأ القبة . وبعد اكتمالها أصبح الارتفاع خمسين ذراعا ، وكان في علوها هلال ، ومن وسط الهلال يرتفع رأس حربة كبيرة ، إلا أنني لم أر هذه الحربة التي يبدو أنها زالت منذ زمن وطليت القبة في البداية بالجير الأبيض اللامع ليكون له بريق في النهار والنيل ، وداخل القبة يقوم الآن الضريح المحاط بالخشب المنقوش والمطعم ، وتفرش الأرض مجموعة من المساجد القديمة المهداة ، وعلى الجدران علقت بعض أعلام المهدى التي كانت ترفع أثناء المعارك ، ولزال فمائها يحتفظ بالوانه الأصلية . كذلك بعض اللوحات الزيتية التي تمثل معارك المهدى ، لوحة تمثل الحرب بين السودان واليوتوبيا ، و لوحة أخرى يبدو فيها عدد من الفرسان والمشاة وهم يلتحقون بالبحر لتنفيذ لأوامر المهدى ، كما يوجد بالقبة أيضا الحزام الذي كان يمتطحن به المهدى ، وسبعته ، و لوحة كبيرة تمثل شجرة المهدى ونبتة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين جندو المهدى تجد محمد بن حاج شريف وقد حدثنا حارس القبة فقال أنه عاش

حتى المغرب . وهو ذكر وطابع خاص ، ينتظم المريدون صلوفاً ، ثم يتحركون حركة دائرية ، تصدر أصواتهم المكتومة ، تتشابه إيديهم ، بينما يطوف حولهم بعض الدراويش فرادى ، أحدهم يشير بأصبعه إلى السماء ، بينما يتوقف آخر ويدور بسرعة شديدة حول نفسه على سنبل واحدة ، ويبدأ برفق الأرض مصوياً سلاحاً وهمياً إلى عدو وهمي ، وينتهي الذكر بارتفاع صوت المؤذن داعياً إلى صلاة المغرب ..

الاحتشاد

اكتشاف المدينة ، المقاهي ، الشوارع ، الطابع الخاص ، الروح الداخلية ، المعاصر ، حضور لقاات اللجنة المصرية للضمان الأسبوعي الأفريقي بأعضاء اللجنة السودانية ، لقاء عدد من الشخصيات الهامة ، هذا ما كان يشغل اليرنج اليومي ، ولكن في إطار ذلك كان لي هدفي الخاص ، وهو اكتشاف الحياة الثقافية في السودان بقلد ما تسمح به المدة المحدودة ، والزمن المضغوط .

في اليوم التالي مباشرة تجولت بانكتيش ، ثم عرفت طريقى إلى قسم النشر بجماعة الخرطوم الذي يشرف عليه الأديب السوداني علي المنك ، وإلى المجلس الأعلى لرعاية الفنون ، الأنشباع الأول ، هو جديفة حركة النشر المحدودة هنا ، وارتقاء مستوى مطبوعاتها التي لا تصل إلى مصر ، ولا أظنها تصل إلى

أقطار العالم العربي الأخرى . في السودان تصدر مجلة الثقافة السودانية ، ربع سنوية ، تصدرها وزارة الثقافة السودانية . هناك مجلة آداب السنوية المتخصصة التي تصدر عن كلية الآداب في الخرطوم ، وتعالج قضايا التراث العربي ، والثقافة العربية ، وليست السودانية فقط . توجد مجلة أخرى خاصة باللكلور السوداني يصدرها معهد الدراسات الفولكلورية ، وتهتم الصحافة اليومية بالأدب . وتخصص جريدة الأيام يومين في الأسبوع (الاثنين والجمعة) لإصدار ملحق أدبي . ويشرف عليه الصحفي والأديب عيسى الحلو ، ومادة الملحق متنوعة ، من الواقع المحلي ، والعربي

١٩٦٦ ، ثم رفض دفعها ، وأرسلت إليه حلة ، ومات في الحروب التي تخللت هذه الحرب .

ونفارق البيت ، والقبعة ، والمسجد الفصح الذي يقع إلى جوار القبعة ، ونطوف بالسوق الكبير ، ولا نخطئ العين تعدد الأجناس داخل حركة السوق اليومية ، القادمون من أفريقيا الغربية ، من كلون في نيجيريا ، يبدلون رحلة طويلة شاقة ربما تستغرق سنوات للوصول إلى مكة ، بعضهم يصل ويؤدي فريضة الحج ، والبعض يموت في الطريق ، وأعداد منهم تستقر في السودان ، وتوجد أحياء كاملة على أطراف الخرطوم يسكنها هؤلاء المهاجرون أو كما يعرفون هنا بـ «الفلاتة» . وبالقرب من أم درمان توجد منطقة اسمها لم يدة بيوتها من الطين ، لم تصلها الكهرباء ، يسكنها عدد كبير من المهاجرين القادمين من الجنوب ، أو الغرب . في أم درمان تنظم مهرجيات شعبية بشكل متلفي تماماً ، خاصة يوم الجمعة إلى جوان ضريح السيخ حميد الميل .

رايت حلقة ضخمة تضم آلاف الرجال والنساء ، يجلسون في مدرجات المهرجيات ، بين أبناء القبائل المختلفة ، والقبائل أصول ، وقواعد ، ومحكمات ، ويهين الفضاء بذكر أبناء القبيلة التي انتصر مصارعها . بالقرب من حلقة المصارعة ، وإمام مسجد حميد النيل يقوم ذكر أسبوعي بعد صلاة الجمعة ويستمر

ملتين وثمانين عاماً ، قضى منها مائة وتمليق علماً في الأسفار ، والترحال ، ثم عاد إلى السودان ليستقر ، وليعبد الله حتى نهاية عمره ..

إلى جنوب القبعة نجد المقر الرسمي للخليفة عبد الله ، وهو بناء بسيط يتكون من طابقين ، أنشأ الخليفة الدور الأرضي منه سنة ١٨٨٧ ، ثم بنى فوقه الطابق الثاني عام ١٨٩٦ ، والبيت عبارة عن مجموعة من الأبنية والفرف يؤدي كل منها إلى الآخر ، ويستخدم الآن كمكتحف ، ونجد به العنقريب (السرير) الذي ينام فوقه الخليفة ، وصورا لمعارك المهدي ، والأسلحة التي استخدمت ، وقارب استخدمه الجنرال الفرنسي مارشند لعبور نهر الجوز عندما كان في طريقه إلى غزو فاشودة ، وعددا من عربات حكومات السودان ، وتمت إلى طراز العربات الذي صنع في بداية القرن ودقة الواوور الذي كان يركبه ككتشنر أثناء حملة دنقلا ، وصور الزعيم السوداني عثمان دنقنة ، وكان قائد عسكرياً موهوباً من قادة المهدي . وقميصاً أحمر للمسلطان علي دينار كان يرتديه عندما يذهب لحضور تنفيذ حكم الإعدام ، وكان السلطان علي دينار موجوداً بأم درمان خلال الثورة المهدية . اشترك في موقعة كرى في ٣ سبتمبر ١٨٩٨ تحت قيادة الأمير يعقوب ، ثم عاد إلى دارفور ونصب نفسه سلطاناً عليها بعد هزيمة الثورة ، دفع الجزية حتى عام



جامعة الخرطوم

الطبوعات يمثل ثروة فنية ، ومادة علمية هامة ، وهذا جهد رائد يتم لأول مرة في إفريقيا بجهد الفريق لا يعجز الى هذا التراث نظرة سياحية .
في الخرطوم التقيت بوزير الثقافة الدكتور اسماعيل الخالج موسى ، واصبح ياهتم الى ملاحظاتي حول ضرورة مد الجسور بين الثقافة العربية في الاقطار الاخرى والسودان ، إن الثقافة العربية كل لا يجزأ ، وإذا انحزل قطر عن الآخر انعكس هذا بشكل سلبي على مجملها . كيف يتم ذلك ؟ اعتقد انه من الضروري أن تخطو الجامعة العربية خطوة في هذا الاتجاه . بأن تدرس الوسائل الكفيلة بتسهيل حركة الكتاب العرب .
في إحدى امسيات الخرطوم الحارة ، جمعتني في حديقة المجلس القومي لرعاية الفنون والآداب جلسة تعارف مع عدد كبير من الإلهام السودانيين بالنسبة لنا في مصر وجدت أنهم يعرفون أدق التفاصيل عن حقيقة الأوضاع الثقافية ، وما يصدر من كتب ، وأعمال فنية ، وللاسف لا تلم نحن بكل ما يصدر في السودان ، نتيجة لخلف وسفل تبادل الكتاب والمجلات الاوعية الاساسية لنقل الثقافة .
صحيح ان السودان قدم الى العالم

السودان ، أما الآن فهناك الجمارك والرقابة ، وقوانين الاستيراد والتصدير في كل قطر عربي ، متى يكون هناك سوق عربية مشتركة تتجاوز الخلافات والمحظورات ؟ وهل من المعقول ان يتردى الوضع بالنسبة للكتاب العربي في اواخر القرن العشرين عن اوله ؟ إن الامر لا يقتصر على السودان فقط ، ويكفي أننا الآن في القاهرة لا ندرى شيئاً عما يصدر من كتب في بغداد ، ودمشق ، والمغرب العربي كله . وهذا وضع خطير ستكون له اثار سلبية على الثقافة العربية في المدى البعيد .

الجهة الثانية التي تتولى النشر ، المجلس القومي للفنون والآداب ، ويغلب نشر الأعمال الابداعية على مطبوعات المجلس ، لفت نظري مسرحية يمنية من مطبوعات دار النشر بجامعة الخرطوم ، فبرغم الإمكانيات المحدودة يجد مؤلف عربي من قطر آخر مكاناً له هنا .

هناك أيضاً معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية ، وله مطبوعات قيمة ، تشمل دراسات علمية ، يتم من خلالها اكتشاف وتحصيل الوثائق التاريخية للقبائل في السودان ، ذات الأصول المصرية ، أو الخليجية ، وهو تراث متنوع وخصب ، وما تحويه هذه

والعالم ، وهذا الملحق من انضمام الملحق الأدبية في معالم العربي .
في مجال نشر الكتب ، تتركز جهود النشر في دار التاليف والنشر بجامعة الخرطوم . كتب الدار متفاهة بعنايه ، تشمل الدراسات العلمية ، والأدبية ، والإبداع ، كما أن إخراجها متقن وأنيق . من أهم الكتب التي صدرت عن الدار (طبقات ود ضيف الله) ومؤلفه محمد النور بن ضيف الله الذي ولد بحلفاية الملك (١٧٢٧ - ١٨١٠م) وترجم في الكتاب لـ ٢٧٠ شهياً وولياً وخطيباً وقاضياً ، ويعد كتابه مصدراً أساسياً في حياة السودان الدينية والعلمية والأدبية والسياسية والاجتماعية . ويكشف عن المؤثرات الطغية التي أسهمت في تكوين جذور الشخصية السودانية . بل أنه أحد المفاتيح الأساسية لفهمها . حققه الدكتور يوسف فضل ، من كتّاب الدار الأخرى المهمة « محمد علي في السودان » للدكتور حسن أحمد إبراهيم . و « دراسات في تاريخ السودان » ليويس فضل حسن ، و « المهدي والحيشة » محمد سعيد القفال . و « السودان والثورة المهدي » لكي شبكة ، و « القصة الحديثة في السودان » و « نماذج من القصة القصيرة في السودان » لخيتار عجويبة ، و « القصيدة المادحة للدكتور عبد الله الطيب » الروابط الثقافية بين مصر والسودان . للدكتور إبراهيم الحردلو الذي عمل مستشاراً ثقافياً في مصر لسنوات عديدة لقد عدت باكثر من خمسين كتاباً قيماً من مطبوعات الدار ، معظمها - إن لم يكن كلها - لم يوزع في معالم العربي ، قال لي صاحب إحدى المكتبات ، أنه في أول القرن وحتى منتصفه ، كان الكتاب يصدر في القاهرة ويعد أسبوع يوزع في



نهر النيل ، مصدر الجمال والهدوء والإلهام للحماء الثقافية لخصه



احتفالات الشفاح حيث الألواح القروية وشفلة العوام

الرابع عشر ..

يستوحى إبراهيم العوام عمله من الصوفية ، وقد دخل الإسلام السودان بطريق سلس ، وليس بالفصح ، وانتشر عر طريق الصوفية ، وفي الإسلام توجد التعادلية بين الروحية والمادية . ويبدو واضحاً في أعماله التي تستخدم الخط العربي محاولة استعادة القوى المصرية للحرف ، وتحريره من بعده ، وإعادة تقديمه من جديد ، خلفيات اللوحات بيضاء ، بينما تتشكل الحروف في أشكال معينة ، يحاول إبراهيم العوام استخراج امكانيات واسرار الحرف ، والحرف في النهاية ما هو إلا وسيلة من وسائلنا التي نتواصل بها ، وتذكرنا لوحاته بتفسيرات الصوفية للحروف ، واستخراج الدلالات من أشكالها ، ونطقها ، وعلاقتها ببعضها .. في السودان حركة فنية تشكيلية نشطة ، متميزة وخصبة ، وحركة نشر محدودة ولكنها جادة ، وعميقة ، وحيوية ثقافية ، وخصوصية نابعة من وضع السودان كبذل عربي افريقي ، متى يتواصل مع الثقافة السودانية ؟ ، لانك انما في حاجة الى مجهودات صادقة ومخلصه ، تتخطى كل الحساسيات حتى يتم ذلك ، وليت الأمر قاصراً على السودان فقط .

جمال العبطاسي

الكلوة ، في الكتاب ، في المسجد ، اشكال الالهة ، الاقداح الاثريه ، وهذا يوجد رؤية مختلفة للرؤية الأوروبية ، ويبدو ذلك في أعمال أحمد شبرين ، وإبراهيم الصلحي المقيم حاليًا في قطر والعملة مقلدة في فن الخط الذي لا يترك

سبحانك

ويقول إبراهيم العوام :

هذه المدرسة المتعاطلة الحديثة الراضية للتراث ، والفضية عندهم جمالية بحثية ، يرفضون تسمية اللوحة . ويعمل هذه المدرسة حسن موسى ، وعبد الله بولا . وهناك أيضاً الاتجاه الواقعي ، وفئة اتجاه آخر يحدث ضجة الاتجاه البلوري أو الكريستالي ، وممثلوه رفضوا أي مستوى من الحرفية ومع هذا الرفض يتحدث عن الشفافية في العمل الفني ، ويعتقدون أن الشفافية هي الأساس الجمالي فيه ، والفكرة مأخوذة من مسألة الجوهر والمظهر . على رأس هذه المدرسة حامد شداد وكمال إبراهيم ، ومن الفنانين المتميزين ، أحمد عبد العال ..

والفنان إبراهيم العوام ، يعمل الآن في لوحة ضخمة بدأها مع بداية القرن الرابع عشر الهجري ، يحاول فيها استقراء التاريخ الإسلامي ، ومحاولة إلقاء نظرة على المستقبل ، وتوجد فيها فكرة اكتمال دفتر الكون في القرن الرابع عشر ، كما يكتمل القمر في اليوم

العربي الروائي المعروف الطيب صالح ، ولكن أعمال الطيب صالح ظلت فترة طويلة في السودان مجهولة لنا ، ولولا أنه قدم من خلال القاهرة ، فلا ندرى كم من السنوات كانت ستضيق قبل أن نسمع عن موسم الهجرة إلى الشمال . و «عرس الزين» .

الفن التشكيلي

.. تعرفت الى الفن التشكيلي السوداني من خلال الفنان الكبير إبراهيم العوام . لقد تميزت أعماله برؤية شغافة ، فيها روح صوفية ، واستلهم تقاليد الفن العربي الاصيل . خاصة الخط ، تخرج إبراهيم العوام في الجامعة الأمريكية عام ١٩٦٤ ، ومن كلية الفنون الجميلة المصرية عام ١٩٧١ . أقام أول معرض له عام ١٩٦٥ ، في القاهرة . وعرض في مصر ، وكوريا الشمالية ، واليابان ، حدثني إبراهيم العوام عن مدرسة الخرطوم :

«هذا تعبير أطلقه ناقد نيجيري ، قال ان هناك حركة متميزة . في البداية كانت هناك ردة الفعل نتيجة للتلقى الأوروبي ، والمعالجات الأكاديمية ، ثم يجيء الإدراك بأن الوجود الأوروبية غير مناسبة ، وهنا حدث رد فعل مضاد إلى التراث ، واستلهم عناصر تشكيلية من الواقع السوداني ، موجودة في

أم الناس

شعر: محمد المهدي المجذوب

يا بللعة الكسرة
لَقَاكِ الشَّاشُ الْأَبْيَضُ بَيْنَ يَدَيْكَ غَمَامٌ نَامَتْ فِيهِ لِفَاتِكُ الْغَنَاءِ
يا سمراءُ
أَسْتَمُّ سَمَلَتِكَ الْخَضْرَاءَ وَتَرْحَابِ الْإِتْقَانِ رِضَاءَ جَمَالِكَ يَضْحَكُ لَا لِلْعَنَى
لَا غَبْرَةَ مِنْ أَتْرَابِكَ رَزَقُ اللَّهِ تَقَسَّمَ فِي أَصْحَابِكَ
كَحْ شَاكِرٌ
أَهْوَاكِ أَصَابِعَ صَبْرِكَ وَالْعَمَلَ الْمُوَصُولَ الْجَيِّدَ لِبَنَاتِكَ
وَرَدَّأَتِكَ الشَّمَاءُ
لِلْفَقْرِ تَجَمَّلَ سَمْتُ مَنْ كَرِهَ وَحَفَا بِصَرْنِي مَعْنَاكَ
يَشْفِينِي مَنْ سَحَطَنِي بِشَكْوَى فِي الْمَسْوَاقِ لَعِيرِ سَمِيحِ
أَسْمَعْتِ بِذَاكَ النَّاعِ ذَاكَ السَّارِقِ فِي الدَّبْوَانِ
خَانَ الْمِيزَانَ سَمِعْتَ سَكَايَتَهُ الْخَيْرَى
يا ويلاهْ إِذَا شَكَّ الْمِيزَانُ
كَفَّتْهُ الْآخَرَى تَسْأَلُنِي عَنْ تَوَامِهَا الْمَفْقُودِ
أَسْمَعْتَ بِظُلِّ سَجِينِ غُرْبَتِهِ عَنْ ظِلِّكَ تَسْأَلُنِي
وَأَرَى أَطْفَالَكَ فِي ذَاكَ الْبَيْتِ الْأَقْصَى
يَنْتَظِرُونَ الْخَيْرَ الْعَائِدَ كُلَّ مَسَاءٍ
يَحِبُّو أَطْفَالَكَ فِي بَيْتٍ يَحِبُّو
مِعْرَاجَ شُغْبَتِهِ فِي رَاحَتِ الرَّغْبِ وَلَتَغِ الْأَلْسِنَةُ الْأَوَّلَى
ذَاكَ الْبَيْتُ النَّاشِءُ فَوْقَ رَكَائِزِ
لَا يَغْنِيهِ نَفْلٌ مَكْتَحِلُ الْعَيْنَيْنِ
لَا يَعْنِيهِ
لَا يَعْنِيهِ لَصُوصُ الشَّمْسِ وَلَوْثُ السَّعْرِ وَلَا تَطْفِيفُ الْكَيْلِ
وَأَوَزَارُ الْخُرُطُومِ الْمَفْتُونَةِ
تَعْنِيهِ الْأُمُّ تَدِيرُ الْحُبَّ الْعَائِدَ كُلَّ مَسَاءٍ

اطفالك اطفالى

ابكى فى سرى بين يديك
ودموعى الوان شتى فى جنبى

زهر يتفتح

وجراحات منسيات تتذكر

تسائل هل صادقهم ذاك السكر

يتعشقهم لم يعرف إلا فيهم خلو مذاقه

لنكرنى لم تعرف نفسى إلا مر رعايه



اهواك عزيزتك الغراء وهذا العمل الطيب منذ الشجر على رأسك

وجلست به كالوردة ربا تومض فى ظلماء السوق المستنقع

تيمنى ثوبك هذا الابيض ، وجهك يسفر لا كالبدن ولا كالشمس

ولكن من ايمانك

الثوب السابع برز بلادى لا الباروكة والفستان العارى

فى وجهك هذا الباسم حزن الصبر تفاعل

ما اجمل هذا الحزن الصابر

ما اجمل هذا العمل الساهر

يتخطى القشر الصائح فى الصفحات وفى التلفاز وفى المذياع

يتخطى اللغو الخادع والساعين اليه باطماع شوهاء

يا راهبة السودان

يا ام الناس جميعا لا يشرون الكسرة بل يجنون بهاء صفائك

يزن الأعمال ولا يزن الأقوال يضيع بها الانسان

اقبلت عليك اظهر نفسى من اعبائى

لتعلم منك الخير الكاسى

تعتق حسنك والاحسان

واضحك فيك عزائى

رسالة لندن من
مجددي نصيف



مهرجان لندن
السينمائي الدولي
الخامس والعشرون



أكثر الأحداث الفنية إثارة في سينما العالم

«كان مهرجان لندن الدولي للسينما
محظوظاً دائماً» .

هكذا قال كين فالشين مدير عام المهرجان
في جلسة النقد والصحفيين التي سبقت
الاحتفال هذا العام باليوبيل الفضي
لمهرجان لندن السينمائي، وقلّ شين كذلك
واحد من أشهر نقاد السينما في الغرب .
ومهرجان لندن الدولي للسينما أصبح
الآن واحداً من أكثر الأحداث الفنية إثارة
في بريطانيا والعالم . ويأتي في شهر
نوفمبر ، قبيل نهاية العام ، وقبل أن ينصرف
البريطانيون إلى الإعداد للكريسماس

شبابول» . وخلال عامين فقط تضاعف حجم المهرجان كما وبنوعا . وما إن حل العام الثالث حتى كان المهرجان قد أصبح ظاهرة فنية عالمية لا يمكن لصناعة الفيلم في العالم الاستعانة عنها .

ومنذ العام الماضي مارست إدارة المهرجان تقليداً جديداً ، هو تقسيم الأفلام المعروضة الى مجموعات نوعية لمساعدة المتفرج على الاختيار من بين هذا الكم الهائل من الأفلام ، فهناك الرسوم المتحركة ، والأفلام للأطفال ، والسيما البريطانية ، وهناك قسم الأفلام الأمريكية المستقلة ، وهي تلك الأفلام من الموجة الجديدة التي أنتجها الشباب الأمريكيون بتكليف قليلة وبعبءة عن الشركات الكبرى السينمائية ، وهي عادة ما تكون الأفلام تلتمز بقضايا الإنسان المعاصر . ولقد شهد المهرجان هذا العام ١٧٧ فيلماً من ٣٩ بلداً من أنحاء العالم ، وليس بينها بلد عربي واحد . بالرغم من وجود فيلمين عربيين ، واحد للمغربي أحمد المانوني (انتاج فرنسي) : والثاني للفلسطيني ميشيل خليفي (انتاج هولندي - بلجيكي مشترك) .

مهرجان المهرجانات

لقد نجح مهرجان لندن السينمائي الدولي الى درجة أن البلاد يطلقون عليه اسم «مهرجان المهرجانات الدولية» . بل وأصبح المهرجان معيذاً عن المهرجانات الدولية الأخرى رغم أنه لا يقدم جوائز وكانت الأسباب التي يظن أنها ستقسيب في فشلها ، هي الأسباب وراء نجاحها : فأولاً : لا يتبع المهرجان مؤسسة تجارية او حكومية ، وإنما يتبع هيئة أكاديمية مستقلة هي «معهد الفيلم البريطاني الذي يعتمد على الدعم المباشر من وزارة التعليم ومن «مجلس الفنون البريطاني» .

و«معهد الفيلم البريطاني» من أعرق معاهد العالم السينمائية والفنية ، وتعتبر مكتبته سواء تلك الخاصة بمكتبة أو تلك الخاصة بالأفلام ، من أقدم واكمل مكتبات السينما في العالم . وثانياً : يصبر المهرجان على استعابته عن الشركات الكبرى السينمائية



لندمن من آخر حـ جورج رومبرو الذي اعتد

فهرسار المراهة عن مقلدات فلام مخرج مقدم افلام الموت والزعب

بقول كين فالشير حول المهرجان : - بدأت فكرة المؤتمر عام ١٩٥٧ . وكان عدد الأفلام المعروضة آنذاك لا يزيد عن ستة عشر فيلماً . لكن بداية المهرجان واكبت أيضاً املايح فجر عصر جديد في السينما : أفلام «الواقعية الجديدة» لاطالية، و«الموجة الجديدة» الفرنسية ، التي ما إن أوشكت الخمسينيات على نهايتها حتى صارت حركة فنية متماسكة متكاملة على يد «تيتوروي دي سيكا» و«فريدريكو فليني» و«كلود ليلوش» و«جان لوك جودار» و«الآن رينيه» و«كلود

وراس السنة وإجازاتها . ويصنع المهرجان فرصة طبيعية لمعيشة التجارب السينمائية وإعادة تقييم العديد من الأفلام ذات الأهمية والدالة من مختلف أنحاء الأرض . ورغم أن ميزانية المهرجان محدودة للغاية فهي اصغر ميزانية مهرجان دولي للسينما :

إلا أن المهرجان اكتسب سمعة عالمية واسعة الانتشار جعلت منه مقصداً للمهتمين بفن السينما ، وأصبح ساحة خصبة للمناقشات الفنية والنقد والمحاشرات عن الأفلام وصناعاتها .



تطروا باسم .. أحد الافلام الانجليزية الجديدة التي تعالج مشاكل الشباب

الصهيونية عرضه لأنه يكشف المؤامرات الصهيونية ضد الفلسطينيين ، وضد بدو صحراء النقب .

والظاهرة المثلثة للنظر هذا العام هي دخول المخرجين من أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية في إنتاج الأفلام الإنسانية - ففي الأعوام السابقة كانت الأفلام الإنسانية - الفنية المحتوى الجيدة التعبير السينمائي القليلة التكاليف - تقتصر على العالم الثالث وبعض الدول . والسبب في عودة السينما الغربية إلى إنتاج الأفلام هادفة هو ظهور أشكال جديدة من التعاونيات السينمائية ، تعرف في الولايات المتحدة باسم «السينما المستقلة» . ويعتلتها في مهرجان لندن الدولي هذا العام ١١ فيلما ، كما يشترك المخرجون البريطانيون في هذا المجال بـ ١٢ فيلما أيضا بعضها تم اخراجه عن طريق منح تقدمها وزارة التعليم .

موضة الاخلاقيات

وقد عدلت شركات السينما الكبرى تدرك أهمية التيارات الجديدة ، فدخلت

كن مهرجان لندن سينما في تقديم الافلام الصهيونية المعروفة باسم «افلام تحب الأرض» التي كلفت بملايين الدولارات على النسخ المتعددة وغير هذا من الموضوعات

وعرض المهرجان الافلام المخرج الجزائري محمد الأخضر حاميته ، عن كفاح الشعب الجزائري من أجل الاستقلال .

وفي العام الماضي عرض المهرجان الفيلم الايطالي «اسرائيل البدو» للمخرج الشاب كارلو كارلوتو ، والفيلم شبه تسجيلي . وهو يقول لما وراء الأخيار ، حيث أن الأخيار التي يقدمها لنا التلفزيون هي اختيار تخاطبنا وتتركنا عند اللحظة التي يقع فيها الحدث موضع الخير . وهي لا تحاول أن تقدم لنا تفسيراً لما وقع قبل هذا الحدث ،

ولا توصلنا الى التلخيص المترتبة على حدوثه . وهنا يقضي كارلو كارلوتو اسابيع طويلة في مخيمات البدو الذين اصبحوا لاكثرين بعد «الحدث الخطير» عام ١٩٤٨ . وقد منعت السلطات

ولهذا لا يقدم المهرجان اية جوائز . وإنما يقوم قضاؤه باختيار افضل عشرة افلام من كل مهرجان عالمي (موسكو - قرطاج - طشقند - كان - البندقية) . ويقوم النقاد بشرح عشرة افلام أخرى . ولا يعنى ذلك أنها الافلام الفائزة بالجوائز ، لأن حسابات الريح والخسارة والسياسة والاحتمال تتدخل في هذا ، وإنما يضع القضاة لوائح خاصة بهم تعتمد على أسس فنية واكاديمية بحتة . ويعطى المهرجان الفرصة للمخرجين الشباب والجدد ، الذين يمثلون تيارات جديدة ويهيمون عن مضامين فكرية جديدة . وعادة ما يكون هؤلاء المخرجون من الشبان السينمائيين الذين يعملون قضايا اجتماعية هامة تتناولها افلامهم . كذلك يقدم المهرجان الافلام عن قضايا التحرر الوطني والفرقة العنصرية والمراة .

أما مفاجأة مهرجان هذا العام ، فيقدمها كين فلشين بقوله - مثلما قدمنا عام ١٩٥٨ المخرج اليوناني أنجلو بولس - مقدم هذا العام المخرج الفلسطيني ميشيل خليفي في فيلمه «الذكرى الخصبة» .

يقول ريتشارد راود النقاد السينمائي الأمريكي ، والمستشار الأدبي للمهرجان : « بينما أحجم مهرجان «كان» ومهرجان «البندقية» عن تقديم ما يدور في جميع أنحاء العالم ، من كفاح الإنسان ضد الاستعمار والعنصرية في الخمسينات والستينات ، اعطى مهرجان لندن ، وميزال ، الأولوية لهذه الموضوعات .



١١٠ - مجلة الدوحة - يناير ١٩٨٢ م



كاتبة سحر حديفة في فيلم النكزى الخاصة، الذي كان ملاحظة المخرجان هذا العام

نحسية انثى نضجت في السبعينات بعد انصهار خبراتها الاولى في سينمات، وهي اشارات واضحة الى الحرب الفلسطينية .

ذكرى من فلسطين

واذا كان المخرج التشيكوسلوفاكي ايفان ياسير قد نجح في استخدام طاهرة «العنف» في كشف حقيقة مجتمع الرفاهية، فإن الفلسطيني ميشيل خليفي استخدم لغة سينمائية رفيعة ومبتكرة في حركات كاميرا شاعرية رشيقة ولقطات انسانية تدور حول «الحياة اليومية» لعرب النضفة الغربية، فتمكن رغم الرقعة والشاعرية من نقل واقع مأساوي مرير، للظلم الذي لم يسبقه مثيل في التاريخ، تلك الظلم الذي تعرض له الشعب الفلسطيني .

ورغم بساطة الفيلم وقلة تكلفته، إلا أن كاميرات ايفزان ديرميرين، ومارك ادريه ملتصقان، تمكنت من تسجيل أدق تفاصيل الحياة مع المونتاج العبقري الذي قامت به مفيدة الطلاطي، والذي ساعد على الاظهار الموهوب لثراء الحياة

وجنونه وحرارة قلبه وحيوية كماله بعد وفاته في عام ١٩٩٤، وسراجه المخرج في اللغة السينمائية الراقية التي استخدمها فالإشارة الى غيبته قليلة جدا . وفي حمل قصيرة للعناية ولكنها ملتزمة الغضب، مثل :

- كنت ملقى على الشاطئ انزف ، مبتور الساق ، ولتم هنا تعاطلون المخدرات .

ويركز الفيلم على البنية الاجتماعية الداخلية للمجتمع الأمريكي، والفلسف الاخلاقي الكامن وراء «العنف» الذي تصدره الولايات المتحدة الامريكية الى فييتنام والعالم، فخلل واجهة «الشاطيء» و «النفي» و «اليخت» و «حمام السباحة» «السيارات الفارهة» يبع القبح والعنف وتناقضات مجتمع الظلم الاجتماعي، والخاصة هي تعفن وانحلال البناء من الداخل : إنه يتهلوى وينهار عند أول صدمة .

ويشير كثير من النقاد الى ان دور الزوجة «هو» الذي قامت به ليزا ابنتهونين ، يعتبر الفصل دور مأساوي لهذا العام ، فرغم قلة الحوار الذي افردها ، تمكنت ليزا من رسم أجهد تعقيدات

كمثال في الأفلام الهادئة بتوظيفها لمخرجين على درجة من النفاضة . وفي رأى عدد من النقاد البريطانيين أن السبب وراء هذا هو حرص هؤلاء على «لا يتخللوا عن حركة الدمى رفع الوعي السياسي» . وفي رأى عدد آخر من النقاد أن السبب هو ظهور تيار اخلاقي جديد بين صفوف اصحاب الشركات والمندجين أنفسهم ، تيار يعادي الحرب ويحذر من تدهور قيم المجتمع .

شركة يوناييتد ارستت على سبيل المثال ، تقدم فيلم «على طريقة كتر» تتردد فيه اصداء بشاعة الحرب الفيتنامية التي تركت بصمتها الفظيعة على المجتمع الأمريكي ومازال يعاني من ذلك حتى الآن رغم مرور سنوات على انسحاب الجيش الأمريكي . وسيناريو الفيلم كتبه جيفري الان فيسكين الذي اقتبسه عن رواية للكاتب الروائي الشهير نيون تويريج . وقد استدعت الشركة الأمريكية المخرج التشيكوسلوفاكي ايفان ياسير الذي اشتهر عام ١٩٦٦ بعد أن فاز فيلمه الثاني «كرة رجل المطاي» بإحدى جوائز مهرجان موسكو للسينما ، لأخراج هذا الفيلم .

يتركز الفيلم حول شخصية كتر الذي يحسبه الناظر «عالة على المجتمع» لا يصلح لشيء . فهو مشوه ، مشلول الذراع ، «مبتور الساق» أعور ، وهو يعاقر الشراب طوال الليل والنهار ، ويسوء معاملة زوجته . ولا نكتشف حقيقة المأساة إلا في منتصف الفيلم ، حينما يتحدث «كتر» عن رجل الأعمال السيد ج-ج كورد الذي يمتلك الشاطيء والمدينة والصحافة المحلية ونصف اسهم شركة التليفزيون . نكتشف الحقيقة عندما يقول كتر :

- «ذهب انا وانت لنمويت في ادغال فييتنام ، ليزاد ج-ج كورد ثراء» . وقد مرع جون هيرد في رسم ابعد شخصية «اليكس كتر» ، الذي يطرح مأساة جيل كامل من الشباب الأمريكيين الذين سقطتهم مصالحي الشركات العالمية الكبرى ، وخلصه شركات السلاح ، الى حرب لا مثاقلة لهم فيها ولا جمل ، والقوا بالاف الاطنان من القنابل والمحترقات والتجارب على رؤوس أبناء الشعب الفيتنامي البسيط البريء



لحدي لقطات الفنان الشاعر بخلاصة النقاد

لأنه يكون قد امدح بلغة السينما ولقد تمكن المخرج بمساعدة الممثلين ان يرسم خريطة الجغرافيا الانسانية للمشكلة الفلسطينية حول محور «الذكرى الشعبية» للفلسطين العربية ،

صعاليك معاصرون

اما المخرج المغربي احمد الماموني فقد قدم فيلماً اسمه «الحال» استخدم فيه الثقافة القومية . وينور فيلمه حول فرقة موسيقي مغربية اسمها «الناس الغواص» تحاول تقديم اغنيات عربية على طريقة فرق «الروك اند رول» العربية باستخدام الات موسيقية عربية والفرقة نفسها محاولة عصرية لاجياء حلقة من التراث الجاهلي ، مجموعة شعراء الصعاليك الذين كانوا يرتحلون من مكان الى اخر وتعززم هذه الفرقة الطوائف بعواصم العالم مع ، تركز على اوربا العربية ويرى مد معتبر فهم احوال ، مقدمه فنية طيبة

تتمة اعدوه من موجبات «تكملة» . تمكن المخرج من طريق الحوار العاطفي الذكري والسخرار ينتزع الضحكات وان يشهد الذاكرة لفتح النوافذ على حقيقة المأساة الفلسطينية

ويتضمن فيلم «الذكرى الخصبة» لميشيل خليفة من ان يصبح دراسة انسانية هامة للمجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية في ظل الاحتلال ويصح في ان يقدم «الانسان الفلسطيني» في شخص امرأة عجوز، تصبح امتثالها وحكاياتها هي معين لا ينضب يروي الذكرى الخصبة، من التقاليد والعادات والتراث الثقافي الذي يعبر عن تشبث الشعب الفلسطيني بالارض ، رغم محاولات الصهيونية ، وقد شاركت الكاتبة الفلسطينية سحر خليفة بالتمثيل الى جانب فرح حقوم في تقديم لغة سيمائية راقية قال عنها الناقد السينمائي ايان كريستي :

« اذا تمكن المخرج من ان ينسج موضوعا انسانيا ، حول محور فكرة فنية



مهرجان لندن السينمائي الدولي

الاجتماعية للفلسطينيين في ظل الاحتلال الاسرائيلي ، وهم يحاولون المحافظة على شخصيتهم «العربية الفلسطينية» يملأح ثقافتها ، رغم العذاب اليومي تحت نير سلطات احتلال قذيع .

ومن خلال التناقض بين الحوار البسيط لقلاعات فلسطينيات فقيرات ،



جذل سلاخ حول اخلاق ال - في جمعية عمل العسل - لندني في فيلم «الراكبة» .. أبرز الفلام المهرجان :

يقدم فنه لنفسه فقط. وبقيم اخلاقية مجردة ؟

ولان روميرو نفسه يعيش هذه «التجربة» ، فهو يلج على الجمهور لمحاولة البحث عن إجابة لحيرة الفنان بفحصه لعلمه الخاص جدا ، الفنان النقي «إحدى» الفكرة ، ولا يقدم روميرو إجابة شافية .

● ●

ولاشك ان المهرجان فرصة طيبة للنقاد والسينمائيين والكثف العرب الذين لم نر واحدا منهم في القاعة القومية للعروض السينمائية على الضفة الجنوبية لنهر التيز ، والتي تحتل مكانها في مدينة القنن التي تضم مبانى المسرح القومي ومعرض هايوورد وقاعة الاحتفالات الملكية وقاعة الملكة اليزابيث ،

مجدي نصيف

راكبي للدراجات البخارية ، الذين يستخدمونها بدلا من الجياد ، في حلقات نزال كالتي شهدها أوروبا في القرون الوسطى بين الفرسان. وفي هذا المجتمع الجديد ، هناك مجتمع بأكمله يرتدى ملابس بداية عصر النهضة ، بالرقص والموسيقى. وتعرض الجماعة لمسالتين تتحول كل منهما الى امتحان عسير : الأولى عندما قابلوا الشرطي الشرير المرتشي الذي يريد فرض اقاوة عليهم ، (ونتذكر ظاهرة العداء للشرطة في معظم افلام روميرو) . والثانية عندما يتعرض عدد من «الفرسان الراكبة» لاعتداءات التليفزيون والشهرة وشركات الإنتاج الاحتكارية ، هنا يفكرون امام الاعتداءات في التخلص عن مبادئهم ، المثلثة في رفض المدينة الحديثة والتخلي بالخلق الفرسان .

وهنا يطرح روميرو السؤال الاخلاقي التالي : هل يمكن ان يعيش «المفكر» و «الكاتب» حياة نقاء رومانسية في المجتمع المعاصر ؟ وهل يمكن للفنان ان

لطوافهم هذا . ويشير المخرج في نفس الوقت بأسلوب ممتع ، الى رفض الكبار وحملة التقاليد في وجه هذه الظاهرة الجديدة .

ولعل فيلم «الفرسان الراكبة» هو أبرز افلام المهرجان هذا العام . إنه عن «المجموعات المتجولة» ذات الثقافة الخاصة جدا ، والتي تنفرد بها عن الثقافة الاجتماعية السائدة - كظاهرة الهيمنز في الستينات على سبيل المثال - والفيلم من اخراج المخرج الأمريكي جورج روميرو ، وروميرو مخرج غريب فريد من نوعه ، لما بين فيلمه «ليلة الموتى الاحياء» (عام ١٩٦٨) و«الفرسان الراكبة» الذي يقدمه في العام الحالي ، قدم سلسلة من «افلام الرعب» المتميزة الخاصة به ، عن الموتى الذين يتكونون القبور ، وإن كانت كلها تعليقاً نقديا بشكل غير مباشر على المجتمع

وابطال فيلمه الجديد ، الدقيق الصنع الانساني المحتوي ، مجموعة من الشباب

بقلم: محمد فتحي

مصطلح لوب للثليفزيون العربي: طبقة واعية من كتاب الدراما

اللايين أو يدمر ابل الزيت .. ويدمرها بالفعل ، امام أعيننا ، ونراها تشتعل لهيباً بنفسجياً مأسوياً ماله إلى رماح دمدم .

تلك مملج من نهاية الحلقات في السلسلات الأجنبية ، موافق لا ندعو إلى التشويق والزرق بقدر ما ندعو إلى التفكير والتأمل العميق .. إلى تحريك قصص الإنسانية .. كأنما تلتصق الاستهداء في مواقف التيه .. في موقف هذا الرهين الإنساني من هذا الكون الفلجي ، العجيب المثير المعقد .

عندما يبلغ المسلسل الدرامي العربي في حيائه ونسيجه مثل هذا المستوى يكون قد تجاوز مرحلة الاضطراب إلى الاستقرار والسير على الطريق المستقيم للسالة في المقام الأول مسألة تأليف . ولعل المشاهد العربي طعم مذاق التأليف الجيد في قلل طله حسين وجوده السحر الأيام وعلى هامش السيرة ومحمد رسول الله .

بيد أن التأليف وحده ، لا يمكن اعتباره ، في التلفزيون ، بمثابة جواز المرور ، أو بمثابة الشهادة المسوغة للقبول . فالجانب الآخر من العمل الدرامي أو الصيغة أو الحرقية الفنية ،

بعيدا عن الطامور .. كما دفعت بنا له من قبل بعيدا .. إلى أرض لفة الواسعة .. إلى تكن أرض الله واسعة سهاجوا فيها ؟؟

والآنظر إلى ذلك الموقف الذي يراه في الأفق .. إلى الأصغر في الأفق .. على احتماليها .. من نسايس تفوق بالقاتل الزيت النعير .. وممتر بظلم

لذي هاجمنا يؤدج ار للشخصية المستندة
م حصة صواب



المتعة التي يلقاها ويسعد بها المجتمع للمسلسل الدرامي - ذي القيمة الفنية - لا تجيء من مجرد التشويق ، الفاعل من التسلسل الحكاسي . أو من إراحة النسا عن سر غامض (من أولئك الذين تحوم حولهم الشبهات هو القتل ؟) للغة الحقيقية تجيء عن طريق التامل التامل في مصير .. في موقف إنساني قاصم للظفر ، موقف درامي قد يرى المرء نفسه مغروساً فيه .. انظر إلى ذلك الطاغية جى ار في المسلسل الأمريكي المشهور دالاس ، اذك تسائل نفسك ، داخل نفسك .. أما من احد قادر على الوقوف في وجه هذا الطاغية ؟ هل يقوى اخوه الأصغر عليه ، اليس لطعابه من نهاية ؟ انه يحرب العيون .. بدمر الأسر . يهدم ميوت المال .. يدبح كل قيمة اخلاقيه موروثه .. يفسد المركات ، ويدفع بالقيس إلى الانتحار .. ؟؟ وقد تجد نفسك في آخر الأمر تطف مع الضحايا ، تبر مسلكهم غير المشروع .. لقد ضاقت في وجوهم السبل ، ولم يبق أمامهم للتخلص من هذا الشر الكبير إلا أن يصلفوا هي الطامور .. لا غتيلاه ؟؟ تظهر من في الطامور كانت أقرب الناس إليه .. زوجته ؟ زوجته واخت روجه .. نعم ولكن ليس اقرباء الدم ! اواخر العرف الأسرى - وهو هنا في هذا المجتمع مكين - تكف يد الأخ عن أخيه ، وتدفع به

لذلك من صلاحيتها للمعاشية ترعاها .

نحن لا نرى فقط مشاهد المزرعة الخارجية ، بل نرى أيضا داخل البيت ، حجرة النوم ، وغرفة المعيشة العلاء والمائدة فى الشراذم ، وحمام السباحة والسباحين فيه من اهل البيت . كذلك نرى افراد هذا المجتمع العاملين فى المكاتب فى العمارات الشاهقة . نرى العمارة ومصاعدها ونرى داخل المكتب .. رئيس المكتب بمكتبته وتليفونه وخزانة مشروباته ونرى السكرتيرات والآلات كالكاتبه ، تماما كما هم فى الحقيقة والواقع غير الروائى .

مجتمع المزرعة موزع بين الزرع والرعى فى ناحية وإنتاج البترول للوجود فى الأرض فى ناحية أخرى . لذلك نرى ابار البترول وهى تعمل وتضخ حقيقة لا تمويه ، ونرى المصفاة . نشهد على الطبيعة كل ذلك وكل ما يدور من صراع فكرى حول طبيعة البترول وطبيعة الرأعي والتنافس بينهما بسبب ما يصيب البيئة الزراعية من تلوث ..

يعرض بعض أهمل المزرعة فنرى للمستشفى الحقيقى ، ومصحف عافرة بنزلاتها . ونرى المرضى يستشفون ، ويتدربون على الأجهزة المساعدة ، كما نرى الحديثة والشوارع والسيارات تجرى فيه ، والجراجات والبارات والقمم والمطاعم .. المجتمع الكبير النماذج يمثل أمام عبيد وكائنا أنت تسبح بين رحلته .

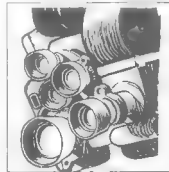
أو انظر الى المسلسل المرح الضحك ، للدعوى سفينة القرام .. أنت ترى سفينة وليس إيهاماً بسفينة . بل كانت تعيش فيها . ترى الكائنات والقمرات ، وترى ظهر السفينة .. الشرب ، والمهلل والبنو

قائم فيه ، والمسح والمقاعد مصطفة حوله . وترى مشاهد القرام بين الإحياء ومن خلفهم البحر الممتد ، بأواجه ، ثلثا أو هادئا كبحر من زيت ، أو دافئا ، أو بترولى اللون . وترى المطبخ ، والمطعم منسقة فيه المواد المهمة تنسيقا لا شائبة فيه ، عمل مطعمين لا تليفزيونيين !

وأفس على هذا فى كل ما ترى من مسلمات اجنبية وتفكر فيه .

ثم انظر بعد ذلك الى أى مسلسل عرسى يجرى على شفتك ، وتفكر فى ذلك الذى نكوي من الطهيعة والخبز والتفاح بين المشاهد الدائرية والحدائق . وهى - حسب أسبقا - يخرج من الداخل الى الخارج أو بالعكس . أغلب الظن أن المخرج سيجيب امك تماما . فللمشاهد كلها تجرى فى غرفة أو غرفتين أو ثلاث . كل شئ فيها ينطق بالعرف من اثاث وستائر وأبواب ونوافذ وزهور .

إن تكن الأحداث فى طائرة أو قاطر فنحن نصنع فى الاستديو شيئا يمثل ركنا من الطائرة أو ركنا فى عربة قاطر .



وإن تكن محطة سكة حديد فنحن لا نشهد غير غرفة مصنوعة تمثل غرفة ناظر للحطة .. ولا نرى رصيفا ولا قضباناً ولا ركاباً ولا سيمافور ولا نرى قطارا ولا نسمع صفيرا ولا .. ولا ..

فى مسلسل تجرى أحداثه فى قرية ، لم نشهد من القرية غير غرفة يوم شيخ القيد ، وأمراته على الدوام نائمة فى سريرها ، وهو يستقبل فى نفس الغرفة خيمره وحلاقه وعيون من الخطاب . لم نر حقلا ولا بكرة ولا حمرا ولا ثرعة ولا كوم سبخ ولا شجرة صفصاف .. حتى لساقية والبئر والطريق صنعت جميعها داخل الاستديو !

تمويه وإيهام لا يخفى على عين مشاهد . ولعل فيه يكمن السر فيما يتقبله من تليفزيون ويرمى ، فى حين ينتزع صدره ، عندما يمتد بصره وخياله ، غير للمشاهد الطبيعية الممتدة الأفاق التى تقدمها له المسلسلات الأجنبية الجيدة .

هل المنتجون والمخرجون العرب ، وهم عاملون على نطاق الوطن العربى كله ، يستطيعون بقلية الجمهور ، عامدين ، وكامرا يقولون له طلق !!

هل المنتجون والمخرجون العرب يجلسون الحقائق الأساسية عن طبيعة الأداة التى يتعاملون معها وتقل عليهم ما تقل من دخل سمين !!

هل يصدق عليهم القول المشهور .. أن كنت لا تدرى فتلك مصيبة . أو كنت تدرى فالمصيبة اعظم !!

طبقا وأعيه من الدراميين تليفزيونيين .. متى تظهر !!

محمد فتحى

سيء ما .. هاجس خفي في أعماق النفس ، يدفع ابتكرة من الشعراء ، إلى تحديث عن الموت في زمن صكر من حياتهم ، يدورون حوله في قصائدهم يرحلون به ، أو يخافون منه ، وعددد يعفلون على الحياة بعدون منها قبل أن تقلع بهم السفينة يوما .. إلى مالا نهاية !

الشعراء

ورحلة العمر القصير.. الجميل !

تقدم د. الطاهر أحمد مكي

لوت بد ، وإذا لم يكن وراء الموت شيء ، وإذا كن الموت ملماً بالظلم والغنى ، بالجوهر والخيال ، بالشجاع والجليل ، الفليس من الأخير أن يأخذ المرء في هذه الحياة بلذات النفس والجسم جميعاً ، فيرضى نفسه ماداء الواجب ، والارتضاع عن الدنيا ، ويرضى جسعه في الإلهاد ما عظم نصيب ممكن يتاح له من اللذة والمتاع ؟

إلا إنهذا اللائسي لشهد اتوقسي وإن احضر اللذات هل أنت مخلصي فإن كنت لا تستطيع دفع ميتي فاعني افرها بما ملكست يدي لعمر إن الموت ، ما خطا الفسي.. لكما لطلول المرخي وشيئه باليد أرى قبر محام خيل بمعه كلب غوي في البطالة مفسد .

وقتل طرفة ، وهو دون الثلاثين . وتقول القصة إن عامل عمرو بن هند على الصحرين قال له ، حين أراد أن يفلح فيه حكما بالموت : إني فلك لا محالة ، فأختر لنفسك ميتة تهاوا ، فقال : إن كان لابد فاعني الخمر .

على السواء ، ومع أن كلمة الموت ذات معنى واضح محد ، إلا أن جهل المرء بأسبيه وما وراءه ، وما يحدث أثناء الانتقال من الوجود إلى العدم ، فتح الباب واسعاً أمام الخيال الإنساني لينصوره بالمريقة التي يحتملها ، في ضوء مزاجه ومعتقداته ، وتسليمه أو تمرده ، ورضاه أو سخطه ، ومن ثم أصبح لفظ الموت ، كثير الدوران في الشعر العالمي والعربي على السواء .

شيء ما ، هاجس خفي في أعماق النفس ، يدفع الكثير من الشعراء ، أحدهم عبقريه ، وأعظمهم إبداعاً ، واسبقهم رحيلاً عن الدنيا ، إلى الحديث عن الموت ، والدوران حوله في قصائدهم ، في زمن صكر من حياتهم ، وإلى الترحيب به ، أو الخوف منه ، فيقبلون على الحياة بعيون منها ، قبل أن تقلع بهم السفينة يوما إلى عالم الفناء ، ويتكرر حديثهم عن الموت لفظاً ومعنى وصفة ، حتى يكاد أن يصبح فكرة ملحة ، تغز بين الأبيات ، وتفرق نفسها على القصائد ، تتماثلها الدواعي حيناً ، وتجرى عرضاً لأولى الأسباب في أغلب الأحيان كالطرفة من شعراء الجاهلية أول من تحدث عن الموت ، وإبان عن رايه فيه : «إذا لم يكن من

أراد جوان مرجال (١٨٦٠ - ١٩١١) ، وهو شاعر عظيم من الطلوونية ، إحدى مقاطعات اسبانيا في الشمال الشرقي ، أن يكتب قصيدة مدح أخيرة ، بعد أن أبدع الكثير من قصائد المديح ، وأن تكون في مدح الموت ، فأمسك القلم ذات ليلة ، وخط الكلمات التالية : « إن أعظم ما يمكن أن يمدح به الموت أن يقال إنه لا يوجد » . ولم يكتب غير هذه الجملة ، ومات في اليوم التالي .

لم يتجاوز الشاعر الواقع ، ولم يكن متجنباً على الموت ولا منكراً له ، وإنما أراد أن يقول أن الموت لا يوجد له في عالم التجربة ، وإنما يوجد في الاحساس فقط ، ويمكن أن نعيشه فقط - ويقله من تناقض ! - ولا يمكن أن نموت فعلاً ، لأن الحي يمكن أن يفكر في العدم ، وأن ينصوره ويمعيشه ، ولكنه لا يستطيع أن يكون العدم نفسه ، ثم يتجاوز إلى الوجود ثانية . ويصف ما رأى وأحس ، ويعلن أحد تحدث عن الموت تجربة ، كلما تحدث عنه تصوراً ، وأحاسيساً ، وما أكثر ما تحدث عنه .

ورغم أن الشعر يضيق بالكلمات ذات المعنى الجادة ، والمصطلحات المحددة ، لأنها تحاصر الخيال وتسحقه ، خيال المبدع والمتلقى

واقصدني ، افعل به ذلك ، اطوال بغير دمه
حتى مات .

وبعض العصر الجاهلي . ويحيى الإسلام ،
وتخلص الجزيرة العربية بأكملها شرقا وغربا ،
ولما دنوا يحملون معهم ديارهم وأغنيهم
وتدخل الحديت النكرية في صراع مرير من الأراء
والبداهة والمعتقدات ، ويصبح الموت قسرا لله
لا مهرب من ، وبعضهم عدد من المشاهدة به الى
جواب مختلفة ، فيأخذ من غير العجايب مفرقة
يدكر بها القليل على الدنيا ، والعالمين .
الآخرة : في عنيت خطبة ، الله الكثير من
تخليها ، انه توجه بها الى الآخرة ، ولم يلف
بها غنى ولا مرة واحدة :

لقدوا للموت وابنوا للخراب
فلذلك يصير إلى تلك
المن تبني ويحزن إلى تسراي
يصير ، كما خلقنا من تراب

وقد تضطرب نفسه لمشاهدة المؤس البشري
على أيهه ، فتجني صرخته حديثا عن الموت
وتعلق به ، في أن يحسم الأمر ، وأن يلقا
العبثية امام مستلزم على الدماء - يريدوه - في
فهي ، ومهما كانت تعاسة الاطرين فلاحة

حسبت المني، ياصوت، حسبا مرثا
وعلمت، يافوت، البكاء الدواكيا
ومرثنا، ياصوت، كل ممزق
وعرفنا، ياصوت، منك الدواكيا
أخي كل يوم نحن نلقى جائزة
وفي كل يوم منك نسبح نديا
وفي كل يوم منك نركب العول
وفي كل يوم نحن نسمع بقا

وكان شعر الرثاء في الأصل يهتم بالميت
فحسب . ولكنا يعرض للموت نفسه لما
حاول المتخيل أن يربطه حالت كرميلا دون أن
يتمكن أن يتخاضر ، فجعل من رثائه سبطا
لنفسه في الحياة والموت ، ورأى الموت أورا
محتوما على كل حي ، لأن الحياة من كسب
الزمن ، والواجب من شراب الأرض ، وسوف
تسعيد الأرض ما أخذ منها . ولأنك
تدفعني إلى الأجزاء أمام الموت ، وإن استقلته
تأمر محتوم .

يحيى بنو الموحدين فاما بالقبائل

نَعْلَفُ مَا لَا يَدُ مِنْ شَرِّهِ
تَخْلُفُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا
عَلَى زَمَانٍ هُنَّ مِنْ كَسْبِهِ
فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جُودِهِ
وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ شَرِّهِ

وقد اختلف النفس على كل شيء إلا الموت
سدا انكروا عليه ، ثم اختلفوا في حقيقته ، فقل
قوم ، إنه هلاك للجسم يتخلص به النفس
وقال آخرون : إنه هلاك للجسم والنفس معا
وترد المتخلف ميتهما ، فلم يستطع من ينهى
عن نتيجة حاسمة ، فاقامه الفكر بين العجز
والشك :

تَخْلَفُ النَّاسَ حَتَّى لَا يَتَّبِقَ لَهُمْ
أَيُّ عَلَى شَجَرٍ وَخَلْفَ فِي الشَّجَرِ
لَظِيْلٌ . تَخْلُصُ بِفِي الْمَرْءِ بِبَالَةٍ
وَقِيلَ تَكْفُرُ جَسَمُ الْمَرْءِ فِي الصَّبِ
وَمَنْ تَعَرَّ فِي الْعَيْنِ وَمَهْجَتُهُ
بِأَمْرِ الْفِكَرِ مِنَ الْحَجَرِ وَتَتَحَفُّمُ .

فراوان و در محله و در خیابان /
مدرسه و بازار و خانه و محله

فَلَا تُوتُوا وَلَافُوسًا مَقْلُوبَةً
وَالْمُسْتَقَرَّ بِمَا لَيْسَ بِهِ الْأَحْمَقُّ

وكما لا يرحم السلاطنة مهما قوى واستبد ،
ولا يتردد امام صاحب المال مهما طاول
وحاور ، لا يضعف امام الجمال مهما سحر وفنن:

يدفن بعضها بعضا وتمشي
اواخرنا علي هام الأوالى
وكم عجب من مقلّة النواحي

● إنه يبدو وخيفتنا
لأننا نخيل أننا سنفقد
لكن في الحقيقة
لا لقاء بيننا

تَحِيلُ بِالْجَنَادِلِ وَالرِّمَالِ
وَمَقْصُ كَيْلٍ لَا يَقْضِي لِحُطْبِ
وَبِالْكَائِنِ مَفْكُورٍ غِيَالِ

والمتنبي يحتكر الخوف من الموت ، ويذم
الحزق قبيل فرقة الروح ، ويعدد
بالأسرها :

إلف هذا الهواء لوقع في الأد
من أن الحميم من المذاق
والأسى قبل فرقة السروح عجز
والأسى لا يكون بعد الفراق

وهو في هذا يناقش مع أبيقور
الفيلسوف اليوناني، في فكرته عن الموت ،
أو يقول إن الموت يبدو مخيفاً لنا ، لأننا
نخبر أننا سنلحد ، ولكن في الحقيقة لا لقاء
يبدأ ، فماتنا حينما نكون لا يكون موت ، وحينما
نكون موت لا يكون لنا وجود .

و جاءت رؤية المعري للموت و بداية فلسفته
 فذكر حكاية جده مترددا ، ركب صاحبه حماره
 و سعى به ، فتدافعوا لتعاضد الهروج ، فلم
 يستقر على شاطئه ، ولا انتهى إلى رأي واضح
 ، أصدق ، إلا أن الأمر غم عليه في يوم كثيرة ، فلفه
 غشا مرحلة انتقري الضاد ، و مع البشر ،
 عاش البلاء ، فالأثر لك في نفسه و دفع به
 إلى التفتن ، و أثر في سلوكه فأنز الوحدة ،
 و سجن نفسه زهاء خمسين عاما ، و أثر في أدبه
 و تجلّى ذلك واضحا في « الفروقات » ، و في
 الفصل والعنايت

لزمي في لفظة من سجوي
فلا تسأل عن الخبر النقيض
للفقدى نقله في لزوم بيئي
ويكون النفس في الجسد الخبيث .

لقد هجرته الحياة لهجرها ، وأسرفت في
إيذانه فحمل عليها ، وجلبت له النواصير فيش
منها ، ولم ترفعه إلى المنزل التي يستحقها
فأخذ يحط من قدرها ، ويذيع في الناس أن
الموت الفضل منها :

رؤس متى أرجسل عن هذه الـ
نبيا فاني قد اطلت المقام
لم ادر ما تجمى ولكن
فرد النحاس مذ كان جرى واستقام
فلا صديق يتحس بدي

القصص

© 1984 by the Board of Christian Literature

ولا عسوى يتخفى انتقام
والعين سقم للفنى نصيب
والصوت ياتي بشقاء السلام
والترب مشواى ومناهم
وما راينا احدا منهم قلم

واخيرا اوجز ابو الصلاء فلسفته في الموت
في قصيدته الدالية الشهيرة ، التي رثا بها ايا
حيرة الغيبة ، ومطلعها :

غير مجد في ملهى واعتقدي
نوح بقى ولا ترسم شغدي .

وتعد من روائع الشعر العربي ، فقد جمعت
بين صفى اللوعة وعمق الفكرة ، ومنجذت مير
عظمة متأثرة مؤثرة تتغلغل إلى اعماق الناس
حكمة رصينة محيرة تنجلي فيها قيمة الحياة
بزاء الموت ، في تصوير رائع ، ولغز حسن ،
وكانى به يرى فيها البشرية جمعاء ، فهو يرى
الأرض فاضت بالقلوب على امتداد تاريخ
الإنسانية ، فاستحالت الأجساد قرابا ، وتحوّلت
إلى معنى شتات رجعها ، (أو أسدة تخص
الأرض وتغذى الشجر ، أو ثوبا يسير عليه ،
ورب حفنة مرمية بين أيديها ، هي في أصلها
البعيد رمال جسد ، وما أكثر القبور التي
تستقبل أكثر من واحد ، يختلفون صفات
واخلاقا

صالح ! ، هذى فيورنا تصلا للرحب
فابن النور من عهد عاد
خلف الوطء ما الظن اديم الأرض
إلا من هذه الأجساد
سر إن استطعت في الهواء رويدا
لا اختلا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحد مرارا
ضاحك من نزاح الأضداد
تعب كلها الحياة ، فما أعجب إلا
من راغب في ازدياد .

ويبدل وجه الحضارة العربية ، ويعود كل
شيء حديثا معادا وقولا مكرورا ، ولم يعد
الشعراء يلتفتون إلى الموت قوة وطامة ، حتى
حين يبكون رفاقهم ، وإنما شعوا بأن يعدوا
مكانا لهم من صفات مدحجة حقا أو متخيلة ،
دور أن تكون لديهم القوة والشجاعة ، وتوهج

الداخل ، لكي يلقوا أمام الموت نفسه متماثلين .
وجاء علماء البلاغة بعدهم لياخذوا من
شعرهم تعريفا لمرثاة فلقوا عنه إنه لا يختلف
عن المديح إلا في صيغة الفعل ، هذا يستخدم
المضارع ، وذلك يتحدث عن الماضي .

ويركز الألب العربي مع أهله إلى إغادة
مؤبلة ، حتى إذا استيقظ ، وتحرر ، ووقف على
قدميه ، ايقظهم معه ، وتغذى متغيرات وظلمات
جديدة ، فكان له مع نهضتنا هذا الشراء في
الشعر والنظم ، والاتجاهات والقضايا ،
والصدق والمعامرة ، وكان الموت بين ما شغل
الشعراء ، والرومانسيين منهم بخاصة ، ولقدوا
ألمه امرأ غامضا ، وقوة ماحقة ، وسرا محيرا .
وهذا لا حيلة لأحد في دفعه ، وليس نكاه على
رفاق داهيين فحسب ، وكان أكثر المألمات له ،
وللتخيليين عنه ، أسبق للشعير رجيلا عن
النبأ .

كفر محمد عبد الحفيظ الهشيري (١٩٠٨ -
١٩٣٦) أكثر الشعراء حدا في الحديث ، وهو
من نهج الأسلوب رص ، من السنين فيه
والله تخلق إليه في الحديث في مرحلة الأولى من
الإنشابة إليه ، كما استقر في أعماله بعدا .
فهو يلون أنشائه بالحنن والشكوى ، والكنا ،
رغم أنه كال موهور الصحة والعافية ، يظهر
تصارة وقوة ، وشعليا وحيوية ، فهو صلاقي ،
عريض المنكبين ، لا يشكو مرضا ، ويجب أن
يتأنق في ملبسه ، ويمشي في الأرض مرحا ،
يشق طريقه في ثقة وكبرياء واعتداه . ومع ذلك
يكره ركوب البحر مخافة أن يغرق ، وإذا سار في
الشارع الخ وسطه ، وابتعد عن جانيه حتى لا
تسقط المباتي عليه فتدفعه تحت أنقاضها .

● سرب سطعت في لهوء رويد
لا أخصيا لأعلى رفات العباد
تعب كلها الحياة فما
أعجب إلا من راغب في ازدياد

في قصيدة « عاصفة في سكون الليل » ،
وقالها ولم يزل طالبا في كلية الآداب ، يضل
الموت في كثير من مقاطعها . رغم طونها ، فإذا
حمل الليل الحزن لقلبه ، وإقامته ميكلا ، جعل
هو من الموت « شمساً » يرتل فيه الحفنة ،
فتجبه أشعره الحزينة صدى لها :

هاهو الليل كما بدا
يحمل الحزن القلبي والحبس
هيك الإحسان في مذهبه
قرب العشاق قريبان انهم
رسل الشمس فيه لحنه
وصدى ترتيله هذى الشجون .

ويبجي الليل يترضاه ، يابل عهده العزاء ،
ويؤبى أن يشده اغمية سميت في الرمز ،
واستحالت في البلى قبيرة ، غير أنها لا
تشتبك فجرا على غصن بان ، ولا تهدد
ضحي في أوك جديدة ، وإنما تعنى ليلا في
وادي الموت ، واستحالت أحلامه زهوا في علم
رغاس ، تنعق موتا ، ويتدلى عودها على
استح من الموتى !

إسى يقبل احكي غسوة
فثبت فيسك على سر السنين
و استحالت في النلى غرة
معنى في دحسى وادى المنور
.....

واستحالت عهدها من عصب
رصدت في علم غير منين
نصحت موت .. وتدلى عودها
دحو استح الدنيا العاديين .

والشاعر عاصفة غالبا فكر طيه الموت ، وجين
القرب من الليل يحاول أن يعرف أسرار الأسى
والآلئين ، استحالت هذه جداول تعمرها فرعات
الموت ليلا في سفين ، وبعد أعوام خمسة عاد
الهشيري إلى هذه القصيدة ، يشدوها ،
ويمضها ، ويستدل بعض القطعها ، حذف
معض ألياتها وأبلى على معضها ، فعل ذلك في
أواخر حياته ، قبل أن ينهيه الموت ، ونشرت
بعد أن قارق دنيانا ، ومن عجب أنه لم يمسس
سها بيذا واحدا ، ولا فكرة واحدة ، مما تنصّل
مالموت .

وقال قصيدته « المفريات » في نفس النعم

الذي أبدع فيه ، «عاصفة في سكون الليل» . وهو ١٩٣٢ ، وأخذ فيها يسترجع ماضيه ، ويتحدث عن الحب ، وما لا مجال معه لذكر الموت ، لكن شيئاً في اعاقه ، يدفع به ، على غير إرادة منه فنعاً ، إلى أبياته هذه ، فيقول إن حبه لا يخشى الموت ، وكأنه البرق إن قولته هذه كانت مجازفة ، لا تعبر عن إحساس يعمل في اعاقه ، فهدد بإسئال حبه : ماذا يصنع إذا حاصره الموت ، هل يواجهه ، ويلقى على يديه مصرعه كما تفعل الناس ، وما يلبث أن يسترد أيمانه به ، فيرى الحب أقوى ، فيهب به : أنت للموت موب ، وأنت صمو الحياة ، وبور الله ، وسوف تبقى بعد الفناء شيئاً شامخاً تسبح في الفضاء ، تراقب انكسر في سبات الموت ، وترأها مثل حلم يرف :

ويك يا حب ، أين تمضي إذا ما
سجحت حولك الموتى شاكاً
ومعنت الانفاس مسؤولة حب
سرى إليها شتى شكواك ؟
أترى يا هوى ستفقد الموقد
ت وتلقى كلفك منه رداك ؟

أيها الحب أنت للموت موت
دو جلاب على البلى مستخف
سوف تبقى بعد الفناء سوحا
في فضاء من الأثير يشف

لتلحظ الكسوف في سميات المناسبات
منسل رئيساً تهوى به وتندف
وفي هذه النس الباكورة يخص الموت بعصيدة
كليلة ، ويجهل منه كأنه وهو عدم ، وجسد وهو
لا شيء ، ولا شيء يظهر في غلبته السود .

تمضي بمن تكل خلفاً ، وتموت السور ليلا ،
ياخيلى ، ماذا يطوف نفسك
ياخيلى ، ماذا يسرق ادسي
أي شيء أحسن ؟ أي دنس
مسند بحد اسبروح مفر
أنته ابرغر ، الفناء بعنسي
ويعد الحنا في مثل لحر
ويرر في سطرء الاعرف وادبا لنموت ،
الطور في بعد موت ، وكل ما تقع
عنه ابعس موت

لهفلى : كل ما أرى فهو موت
ينثر الأرض موعدا باثبـسـور

وفيها يسترجع الرمال وثقوبها ومن للام
الكهوف فقيمت الأحلام تشكو للموت ،
وتستحيض من الأرواح وثقبي ، وسرع
الحر والاسبي ويشـسـر
الليل في حـسـر
أود حـد لـقـد
سـر : إيمان يوم القيامة

وإذا أعاده السكور وأعطى إليه لم ير فيه
إلا أنه حكم الموت ، وكل يحكم الحياة فله ،
فإذا جمع به الخيال تصور مغنياً في وادي
الموت يعني للقلوب لحن صامتاً ، والحب طائر
تكفه عواصف الموت ، فلذا احب استنهي أن
يموت راضياً فخره ، فلذا مات فشاع ذاب في
قفره ، أو حلقة ممت على رهرة ، ويرى القمر
عائداً ، فلذا مدحه خال العوس حانت مينها ،
وفي عيونته سحر سوف يجيبها .

ويوقف قصيدة ناعكها على حياه الشاعر ،
فينتحي خياله : إن شحكتنا ، والأمانا ،
ومناغريا ، غدا تقلى ، وتسلمنا الحياة إلى
العدم ، ويحكم فمها الموت والموت جائز ، لم
يسئل نفسه : لقد عشت في دنيا الخيال معدبا
فهل تراسي لموت سميده ؟

كأن الهمشرى يعني للموت وهو في سن
الصبا والمراهقة ، تلميذاً في الثانوية ، وطالب
في كلية الآداب ، وحيدا يخلع ويأمل ويخالف ،
ويولد من نفسه أنى نفسه ، فلما عمل محرراً في
مجلة النقاش بوزارة الزراعة ، وكان يرأس
تحريرها الدكتور إبراهيم رشك ، ولم يكن مجرد
موظف عادى ، وإنما فينصوفا داعية ، يؤمن
بمسألة ، ومعها الأدب القصاص الدكتور محمد
سو طيلة ، والشاعر الراوية - محمد مصطفى
حماد - ، وجد في صحتهم أسسا أخرجه من
حرائه ، وبلغا أنساد برودة الوحدة ، ورفقة
أراحت عنه إقامة الحياة ، فبقي الموت
والحديث عنه ، والفناء وما يتصل به ، وبدا
يعنى للقلوب ، ونصف حياتهم وموانئهم
ليبرج من الإنجليزية شعرا ما يوائم هذا
الإنجاد ، ومن عجب أن موجه النقاش أنس
شعرته ، ولدت أحاسيسه الداخلية ، لم تنجبه من
الموت المظلم الذي كل خلفه ، فاجترحت له
عليه الزائدة المودبة ، واتقاء العملية أصيبت
أصغله بالنشال ، ولقى وجه ربه بعد أربعة أيام ،
وهو في عناقته تسليه لما يتجاوز اللذائيل من
معدرة إلا بمضعة شعور :

ومضى الركب في الردى ولذائى
أثر الركب في ، صريح الديالى
فكن لحنـسـ كست عدسا
وعزور الحياة طيف خيسال

كأن حديث الهمسر عن موب ورواسيا
حلمنا حرس مناحه أو نخله ، حين يتحدث
عنه ويأمل الفعالة ، ولكنه لم يدعهم مسكه
الحياة والموت هلنسب ، وأما وقف عند ظاهرها
فحسب ، وهو امر طبيعي ، فقد عرض لها فنى
لم تحكته التجزية ، وجاءت وفق شعور لا أثر
للعلل فيها ، وكانت إرغاسا برجلته المبركة ،
والمتعالي أن مردها إلى تارزه للشاعر الإنجليزي
كيتس ، ولكن في موقفه من الحياة والموت مثله ،
أو إلى جماعة (بولو) التي احتضنته ،
فحدثت له صد مجلتها ، لأن كثيرين مثله ،

● في آخر لحضاته مع الحياة .. بلغت معايشة الشابي
للموت حد الترحيب به ، واللهفة على لقاءه ،
بعد رحلة بشرية عني فيها الحياة
وتأمل العواصف والرياح والشمس

الشعراء

وربحة لشمس القصص... الجسيم!

اعتدت مهم الحياة ، وكألو رومانسيين خالصين ، ولكنهم لم يفرصوا للموت من قريب أو بعيد ، وإنما القبل على الحياة نهمين . وعاشوها طويلا ، واعتصروها حتى آخر لحظة ، واحتسوا كاسها حتى النفاة ، والوحيد من بينهم الذي شاركه مشاعره والتجاهه رحل عن الحياة في مثل عمره . وحتى يوبه ناعوا ، وأعيه : أبا القاسم الشابي .

رحل الشابي عن الدنيا في عمر الزهور ، كما يقال ، مات في الخامسة والعشرين من عمره ، بعد أن هاض المرض سنوات ، ومات شيئا غريبا ، ومن ثم كان لحديثه عن الموت رحيق متميز ، فقد كان الموت قلب قوسين منه أو أبهى لسنوات طويلة ، فلم يعد يخافه أو يخشاه ، ولم ير فيه شيئا غير عادي أو معجزة غير متوقعة ، وهو في حديثه عنه أصيل يستمد أفكاره وصوره من نطق مشاعره ولبش خاطره ، فهذه مؤلفه معه ، والتعبير عنه ، جديدا وطريفا في آخر لحظاته من الحياة ، وآخر قصيدة له في الدنيا ، وهي في ظل وادي الموت ، . سعد معاينة الشابي للموت حذ التحريب مع واللطف على لقلته ، بعد رحلة تربة مع الحياة ، شدا فيها غش ، وتامل المصائب والربيع والنشيس ، وبدا الظلام ينفه ويبتعته من كل جوانبه ، والظلام والموت تواسي في شعر الشابي ، ورأى نفسه غريبا في الدنيا ، بعد أن غدا في شعاب الحياة خاليا ، وأكل التراب حتى منه ، وشرب الدموع حتى ارتوى ، وخمر الإحلام والحب ، والإلام والنيس والآسي ، حتى شاب فتى :

تسم مالا ؟

هذا أنا : صرت في الدنيا بعيد ، عن ليوها وعمامها في ظلام القصاص أدنى أيامي ولا استطيع حتى بكاشها وزهور لحياة مهوى ضمنت بحر ، مصجر ، على صرما حفر حفر الحماة للقدم استنى فعبا بجر الموت هب

«فيا بجر الموت هب» ، في سطره التي بها الشاعر العظيم ، كما لو كان يدعو حميدة له في معارة قلقة .

ولم يكن الشابي وهو يفتح قلبه ودراعيه لموت متشاك ولا قلنا ، وإنما هو مدرك

من الإحلام والنمطوح والإرادة ، وبها راح يمشي بين أمته ، يور أن يرى شعبه وقد تحرر من الاستعمار والفقر والجهل ، مانع هنا ، وصاغ انعاما ، ولكن الواقع مختلف ، فلا شيء إلا الموت والصمت والآسي والظلام ، . فلما بين معه أن رحل بعيدا يستمد أسلام في بقور الزمان ، وألوا البقاء مع الموتى ، وأرتقى الفكر سكا ، وتخلص الحياة والرحم ، وجر إلى العالم الذي ولد منه ، فلما قبل الحياة وما بعدها صواوا :

لبشي لم أزل

— كما كنت — ضموه ،

شائخا في أوجود غير مسجل .

وهو في هذا يلتقي مع بعض لآخيلين الفلسفية ، إسلامية وعالمية ومع آراء المتصوفة ، فهي أن النفس أو الروح دور من أصل علوي ، يخرج دائما إلى العودة إلى لأصل الذي صدر عنه ، حيث الصفاء والظهير ، ولا يهونه إلا في الآخرة الحكيم وقلوبه بخرق سيد هو أحمد ، . وبعدها جاءه :
«لما كنا نحن لمعتني بوسطه أرواح للعلماء حين رآته وهو في مصر ، وتقدير صورية حسنة لها ناضية بالحياة ، فلحن مدبرين بتجسيم الموت ، وتصويره كدنا يرى ويمس ، ويحيي ويمضي أمامنا ، لأبي القاسم الشابي ، وهي صورة لا أذكر لها شبيها فيما قرأت ، في أدينا العربي أو الإجنبي ، وكال الصورة واستقرأها ينمى إلى الموت لم يعد في نقر الشاعر كلبوسا مفرغا يهرب من ذكره ، ويحييه لما يفجوا على خاطره ، إنه يهبط على المرء متلبا بصمت كعماقي الكهوف ، مظنا كليل اليهيم ، متلصقا تحمله أجنحة السكون ، ولكن ظلام الدجى رديم ، وطيف الموت ليس لا يرق في مواجهة الحياة ، ولأرتعش يده أمام تلبق القلب ، باعتصر الزهرة فيفرحها في أرواقها ، ويرى الطير طيفه فيجمد الشفيذ في أعماله .

قد دعت كل النساء الموت

بصمت الرهيب ،

فقد أعمى الكهوف

بلا ضجيج أو وجيب ،

ياسي باجندة استكين

كانه لليل اليهيم .

سكن طيف الموت قلبس
والدجى طيف رديم .

.....

أرايت أزهار الربيع
وقد نوت أرواقها
فهوت إسي صدر انتراب
وقد قصصت أشواقها
أرايت شجور الفلا
مترما يسر لعصوب
حمد استبد بصدره
لم رأى طيف المسور ؟

وكان الشابي في الأيام الأولى من مرضه هو الإرادة ، واسع الأمان ، عريض الأحلام والاسل ، فجاء تشبكه بالحياة قويا في سنوى روحه ومشاعره :

ساعيش رغم الساء والأعداء
كلنسر فوق القصة الشما
أرمو إلى الشمس المضيئة هائنا
والسحب والامطار والإنواء
لا الملح الظل الكتيب
ولا أرى
ما في قرار الهوة السوداء
واسير في دنيا المشاعر حالنا
غدا
وتك طبيعة الشعراء ؟

وكان تشبكه بالحياة وهما ، والمتصاهه على الموت طيفا ، فلما انزاحت عنه المشاوة ، أدرك الحقيقة وأعيه ، ويكل ما في روحه من عذوبة ، وما في شعره من طلاوة ، احتضن نهائيه متقللا ، فلم يعد له بقاء في هذه الدنيا ، ولم ير الموت ظلاما كما اعتد ، ولا جاء في الظلام ، وإنما أصبح فجرا تنشق عن الليل ، جاء مع هدير ليلاه ، وربع الحياة ، يدعو إلى الرحيل ، فيهر قلبه ، ويعلته بالأ بقاء له ، غش قلوبه ، وظلام المهيم وراه ، وجرى زورقه في الخضم العظيم من عالم اللقاء ، ومضى يلوح : النوداع .. النوداع :

من وراء الظلام

وهدير ليلاه .

قد دعاني الصبح
وربيع الحياة .
ياك من دعاء
هبر للمسي صداه .
لم يهد لي بكاء
فوق هذى البكاء .
الوداع الوداع !
يا جمل المسموم
يا ضبيب الأسي
يا طنجاج الحميم
قد جرى زورقي
في الخضم العظيم
وبشرت القلاع
فلوداع الوداع !

هذه الرقة في تناول الموت والحديث عنه ،
والحدوية في تصويره ، مع الاعتراف بقسوته ،
لا تنأى إلا لروح شفاف رأى وراء القدم شين
اجمل من الحياة ، ورأى في هذه الدنيا ما هو
الغنى والقي من الموت .
هذا الإحساس الصارخ بالوت عند من رحلوا ؟
عن الحياة في زمن مبكر ، ولقد شيء في اعتناق
النفس يتجاوز التقليد . وهو ليس واقفا على
الألب الغربي وحده ، وإنما نجده في الآداب
العالية الأخرى كلها ، وسأخبر منهم شاعرا
واحدا فحسب ، قل إن يعرفه أحد في اللغة
لغربية ، أو حتى لا يوجد ، ومن ثم فلا تأثير له
في أحد من شعرائها ، ولكنه من أبناء حوض
البحر الأبيض المتوسط ، وهو عند من يؤمنون
بالختمية الجغرافية . له طابع مشترك ،
وخصائص تجمع بين أهله في العمق ، وتؤثر
في سلوكهم ، وتغارب بين مشاعرهم ، وتوحد
نظرتهم إلى الكون ، ومفهومهم من الحياة والموت
رغم الاختلاف الظاهر بينهم . أو اللون ، أو
الزمان ، وهذا الشاعر من إيطاليا ، وهو :

سرجيو كورازيني (١٨٨٧ - ١٩٠٧ م) .
رحل كورازيني عن الدنيا فتى في عمر الزهور
لا يتجاوز الواحد والعشرين من عمره ، ورغم
أن حياته كانت قصيرة للغاية ، كان شاعرا ملهما
اندع حركة ، وأثرا عديدا ، وخلق في عالم الفن
لتجايها ، وبخلت مدرسته تزيخ النقاد الألب
تحت اسم « الشفقون » ، وازدهرت في روما بين
على ١٩٠٥ و ١٩١٠ م ، وجاءت تعبيراً عن
مجتمع فني ، ومفلق في وجه التجديد ، ويشتم
بالعجز والخوف ، فسجن شعرائها أنفسهم
داخل ذواتهم يلتفتون حزنا جلفا ، ويعطرون
على الأمل لا سبيل إلى الشفاء منها ، وجاءوا رمز
علم مهلك تهيأ للرحيل ، ويومئذ في الوفاة
نفسه إلى أن الشعر الإيطالي على أبواب فجر
جديد

هذا كورازيني يتعمق بالوت حبيبا ، مدفوعا
في ذلك دفعا بقوة داخلية لا حيلة له في ردها
ولم يكن راضيا عن نتيجته هذا ، ولكن يقول عن
نفسه إنه لمس بشاعر ، ولكن تكون شاعرا ، يجب
تجديد الحياة ، مواز لحياتها ، نكح جوانج ،
تطعمهم لسانهم في كل فترة ، وأنهم في
فيها حتى تطير ملها نكحا واحدا ، ولقد غلب
سيفيخ في هذا كله ، لم ير غير الموت ، ولم
يشعر بشيء غير ، ولم يكن لأحد سواء :
« ، إني مريض جدا
واموت كل يوم قليلا
افكر : كيف تمضي الأشياء
ولهذا لست شاعرا
اعرف
كي أكون شاعرا علمي
أن أعيش حياة تختلف لمعلا
ولكني - يا إلهي -
لا أعرف شيئا
بغير الموت

● الحجة لا قيمة لها ماله كبر المرء فدا
على أن يميز نفسه على الآخرين برسالة
يؤديها ودور يقوم به . إدراكنا
لمعنى الحياة يجعلنا أقل خوفا

امين : .

إن يموت أو يبكي كل الأشياء ، يبكيها حتى
تعر عليه الدموع نفسها ، وهو شلق على نفسه
تلقص في مواجعتها شخصا آخر متحيدا يراقب
الأسف ، وعذاباتها ، ومن يفعل صنيعه ليس
شاعرا ، إنما هو طفل يبكي ، فحين تعيب الحياة
بعض الشعر معها ، وأصبح مفهومه مع
« الشفقين » ، أن يراقب واقع الحياة ، وقد تحول
كل شيء فيها إلى خراب وحزان !

لماذا تدعوني شاعرا

أنا لست شاعرا

لست إلا طفلا صغيرا يبكي

انظر :

لا أمك غير الدموع أدمها لنصمت

لماذا تدعوني شاعرا .

انحزني

مجرد حزنان مسكينة وشائعة .

وبماضج

كانت سميكة وسفلة .

بالغة السذاجة

عذا اعترفت بها الجحلتى

افكر اليوم في أن أموت

أريد أن أموت

لجدة التي تعقب فحسب

أنا الآن امرأة مهلهة .

مرأة غليظة حريصة

أنا لست شاعرا .

ولماذا صمى حزنين يريد أن يبكي !

لماذا كل الشعراء العبارة وحدهم هم الذين
يغلزون الموت سلاطين ، ويصحبونه ميكزين ؟
الحق أن الخوف من الموت يخشى ، فيما أرى
كلما ارتفع ارتكافا بمعنى الحياة ، ووعظفنا
فيها ، ومن ثم يصبح ثقيله شيئا سهلا حين
يدرك المرء دوره وأهميته ، فالحياة نفسها لا
قيمة لها ما لم يكن المرء قادرا على أن يميز نفسه
عن الآخرين رسالة يؤديها أو دور يصقل به ،
وحيث يدل المرء الحياة . ولا صلة لهذا بغيرها
أو اعتدائها ، ويشعر بأن يومه كاسه ، وغده
سيكون كيومه ، لا يحمل جديدا له ، ولا لغيره
على يده ، يصبح الموت شيئا جديدا بالقيمة له
يمكن أن ينتظره وأن يتطلع إليه . ومثل هذا
الاستعداد لا تجده عند الإنسان العادي ، وإنما
هو واقع على العبارة وحدهم : .

د . الطاهر أحمد مكي

— ١٢٤ — مجلة الدعوة لسنة ١٩٨٢ م

٢٦ وجهها لممثل « الكابوكي »

يقفه من امتحان لدى قدرة التحمل ان يقوم ممثل واحد باداء ٢٦ دورا يستغرق اداؤها ١٢ ساعة ، وهذا كليل ما يحطم ممثلين كثيرين ، ولكنه بالحسنة لأيموسوكي ايشيكوا فرصة طيبة لاختبار مهاراته وقدراته في افضل تقليد مسرح الكابوكي الياباني ويقول ايموسوكي الذي ورث تقليدا مسرحيا تجاوز عمر تجربته ٣٥ عاما .

«كل ممثلو الكابوكي فيما مضى يؤدون ادوارهم متساويين ، ولكنهم في هذه الايام لاحرصون على التماس في العمل منكم الجديدة» .

وهو يبدأ ادائه في مسرح كايوكيرا بمدينة طوكيو بتصوير كلاسيكي لرجل وحيد يتأمل الوجود في جزيرة مقطعة عن الحضارة ، وذلك في مسرحية (شونكان) التي تدور حول ثلاثة رجال يلوثون على زعيم العشيرة ، فيتم منهم وبعد حين ياتيهم مبعوث خاص منفتح الأذرع زهاؤا بنفسه ، يحمل العفو لاثنتين منهم ، ليس (شونكان) واحدا منها ، ومن ثوبتي وتخلصت الاداء يترك المشاهد ان (شونكان) قد قتل لمعجب الحزن

بعد ذلك يمثل لثاني دور لاسد الاب ، وفي بعد سبعة تعرب النساء «نسي تبصره» بدفعة من حافة صخره عاليه ، وينصت عودته سائلا ، ويرى للمساعد كل حذنه من الغلق على محب لاسد الاب ، ويعقد قلبه رفضه لمراسمين ، ثم يعود لفسر عن صغر لارهر ، وبودي ولده رفضه براء ممثل روح الاسدين ، رفضه ممتلئة سحابة من يقوم ايموسوكي بدور مراد عجزو سيمار فمطاب ساحره .

وفي الجزء الثاني من البرنامج التومي بودي ايموسوكي انوارا تكلفه تعمر لزياء بها ، ورحله من العاصمة الامير طورية القديمة كيوكو في مدينة ايدو ، طوكيو حاليا ، في مسرح الكابوكي مارال فاب متيرا ورامعا بالحسنة لاهل اليابان ، بالرغم من طفيف التفرير وشيوع الافلام السينمائية والمسرح الغربي الطليح ، وفيه ممكن ويضجركو ويغزلون . وفي لما يقتضيه المسرح الشعبي الاصيل

سينتقل مسرح الكابوكي الى اوروبا الغربية ، لتقديم بعض العروض ، والمسكلة التي تواجهه فعليه هي مدى استمتاعهم ان مخرجوا المساعد الغربي حين يقومون بدول حولة لهم في اوروبا ، والتي هي مدى يستطيع المشاهد الاحتمس ان يفهم العمل المقدم بمجرد قراءة مختص القصص .



وتمتاحة الاداء وتخمين مفيدون .. من الدورات والتعابير والايماءات ؟

«على ان اقدم سلسلة متتابعة من المشاعر قصريته هي وقت قصير هكذا يقول ايموسوكي المبلغ من العمل ٢١ عاما ، واكثر ممثلي الكابوكي سيرة ، ثم يستطرد

وهناك تغيرات شعورية كثيرة ، من ضيق وخير وسعادة ، انني اريد ان يري الاجنس في هذه الدراما توسع مدى ممكن لدى الكابوكي حتى وان لم يفهم ما يقوله الممثل» .

ومثل كل ممثلي الكابوكي معرض ايموسوكي استراق المرأة للقيام بادوار النساء ، والتي كلف مجرده على النساء ، وحجته هي ذلك ان ادراة تقصه جدا على المرآة !



ج . ب . شو
والمرأة الخارقة

يَخْلُو مَوْالِجَ عِى بِبِرْتَرَشُو شُو مِ بَثْ هَلِيرِ
بِمَزَّوَجْ وَاجِدَا مِ فِتْحَتِهْ ، اَلرَّجُلُ كَالْاَسْعِ
اَلْحَالَاتِ ، مَتَوَشَّطُ الْفِتْرَةِ ، وَكَانَ
يُرِثُ اِلَى النِّسَاءِ ، وَانْ مَاتَ فِيْهِنَّ الْاَنْوَتُ ، وَلَكِنْ
لَمْ تَكُنْ لَهُ مِ مَعْنَهْ مِ اِنْ كُنَّ مِنْ مَوْالِجِ مِ الْمَرَاةِ
فِيْهِ تَقَاتُلُشْ ، هُوَ يَمُوتُ عِى اِلَى النِّسَاءِ لَمْ
يَبْقَ دُوْرَا هَمَا فِيْ حَيَاتِهْ اِذَا مَا قُوْنِ بِصَاحِبَتِهْ
وَكُنَّ اَمَّ كُنَّ مِيْرَانِسِيْ وَيِبْ صَدِيقَةُ عَمَّرِ ٢
وَمَازَا عِى اِلَى الْاَلَةِ الْاَلِيْ تَسْمِيْ اِلَى اَمَّ كُنَّ
وَأَقْعَا تَحْتَ شَرِّ عَدُوْ مِ النِّسَاءِ الْاَلِيْ كَلَى
بَطْطِيْهِنَّ كَطْلُفْ مَدَلِ بِالْاَتْمَعَمَّ ٣ ، وَكَتَلَبْهُرْ
وَصَاحِرْجَلْ فَيَقُوْ ، اَمَّ وَكُتْلَبْ لَمَعْمِيْ
وَسَرِحْجَاتِ ٤ بِغَارِيْ سَمْعَتِهْ وَبِشِيْ لَهْمَا فِيْ
سَبِيْلِ السَّيْدَةِ الْفَرَاغِيْ كَابِلِيْ بِسَبِيْ سَاوَتِهْ
اَلْوَهْلِيْ ، وَمَا حَرَمَهْ عِى زَوْجَتِهْ الْغَيُوْرَةُ سَوِيْ
رِصَانَتِهْ تَحْلَامِيْ اِلَى اَمَّنْهَا لَمْ لَانَهْ كَرَّ ٥ ، وَد

وكتب ما روت بثبوت الصادر عن دار نشر كولومبيا ١٦٦ صفحة من مداره ميوهارو شو والتمتلات، إضافة لعدد من المساء الزماني، التي بين شوقي وكشف لواقعة تجاهه، هناك طورت المسرح (الجمعية دار الموهبة) والسياسة والعلوم والطب .. والقدرة الصحفية وكذلك تكتب في مجلة (العصر الجديد) تحت اسم مستعار، وفي الختام من زوجها خارجا تصفا متعا كانت تتخلص من معجبه الكثر .. وقد اوجع شو سلوكها، وراه نظيفا، فيما كثر القناع عيس بجسمه سلوكا كبريا .. ولكنه دائما فيما بعد انما سقطت عن المستوى الزماني من الإراء الذي كثر يتولاه منها، وإلى دافعة من الفسور الملوحة الحار، واجرت إلى سبيلان تصحيح لغوي لكافة اللغات، وجمعت هناك الدارس،

فرمانبردار شاهی



دانش، بشری، عقله (در حد و غیر) که به دست آمده بود



تعتبر لوجة «العلماء الأثريين» للسياح والزوار، من أكثر معالم مدينة مراكش الايطالية شهرة للسياحة، لكن معالم مراكش الصناعية تتفوقها بحركة الجلبية .. ومرتبة جوها كانت ان تتمر كزها المضي .. الذي بدأت التفتيح تظهر فيه .. وتزداد ، مع تغير الحكومات الايطالية التي تلحق اجراءات هجيلة للوجة . فاقسم جدار حديدى مزين خلف اللوجة بسددها من السقوط ، وهناك محاولة لاستصدار قانون يبطئ حركة المرور في المنطقة المحيطة بالكنيسة التي تضم اللوجة ، وخاصة حركة الحافلات الضخمة التي يسقطها السور الى الوجود .

ولكن الفضل تدير قامت به الحكومة الإيطالية هو شراء «مقل اليكتروني» به شعيرات استشعار حساسة لرصد الشقاق الذي تعاني منه اللوحة . وقد كلفها خمسةة مليون ليرة إيطالية ، أو ما يعادل ٤٠٠ ألف دولار أمريكي .

وقد وضعب أجهره الإستشعار على بعد متر من الجائط الذي رسم فيه ليوماريو لوحته في الأعوام ٩٧/ ١٤٩٥ . لتقوم هذه الإجهزة مرة كل ساعة برصد اللوحة وإرسال المعلومات إلى العقل الإلكتروني

يقام : د. محمد الغياثي ربيع

بعد انقراض الديناصورات العملاقة

للحفاظ على ذوات الدم البارد !

علماء العالم كله يدقون جرس الإنذار ويحذرون من اختفاء الزواحف من عالمنا المعاصر .. إن التماسيح والزواحف القشرية كالثعابين والسلاحف البرية والبحرية مهددة بالانقراض مثل « الديناصورات » العملاقة التي أصبحنا لا نراها إلا في الأفلام الخيالية .. وفي نيوزيلندا مثلا اتخذت الحكومة إجراءات حاسمة من أجل الحفاظ على نوع نادر من الزواحف اسمه « السفتون » ولذا فلنأخذ في هذه الدراسة العلمية نحاول أن ندعى الصوء على عالم الزواحف الذي يرجع تاريخه الى مئات الملايين من السنين .



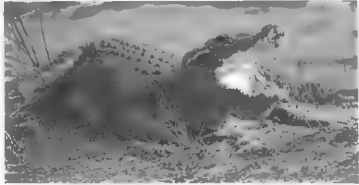
بعد انقراض الديناصورات العملاقة

للزواحف تاريخ طويل عريق مليء بالتغيرات على مدى مئات الملايين من السنين ..

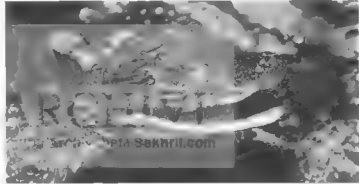
فازواحف حيوانات من ذوات الدم البارد ، انحدرت من البرمائيات البدائية وتطور البعض منها الى الطيور وال الثدييات ..

والزواحف تتميز بانها تنفس تنفسا كاملا عن طريق الرئة بمعنى ان جلد الزواحف ليس له اية وظيفة تنفسية وهو يستعمل فقط لحفظ السوائل من التجفاف لكي يبقى الجسم من الجفاف الذي تتعرض له اثناء معيشتها ، خاصة في الاجواء الحارة ، وهذا الجلد حشوي خال تماما من الغدد مما جعله يقوم بهذه المهمة بكفاءة عالية ، ويساعد في ذلك الجهاز الاخراجي لها في اخراج حمض اليوريك عن طريق الكلية في صورة غير ذائبة .

والزواحف يطلق عليها ذوات الدم البارد ذلك لانها تستمد كل حرارتها من الجو الذي يحيط بها ويشارك معها في تلك الصفة الاسماك والبرمائيات . وهي لا تستخدم الغذاء الذي تتغوله في توليد الحرارة إلا بصورة ضئيلة جدا لذا نجد ان درجة حرارة الزواحف ترتفع وتنخفض حسب درجة حرارة الجو الذي تعيش فيه . وهي تستمد الحرارة بتعدها فوق



نوع من تماسيح يعيش في الهند - نوح هذه لتكيف بدرجة حرارة جسمه



صغير التماسيح الشهير - الكمل - الذي يعيش في المناطق الاسوائية بامريكا الجنوبية

هذا النوع من الزواحف معروف جدا . واستطاع ان يحافظ على صفاته خلال ٢٠٠ مليون سنة ويطلق عليه « الثيوزا » او « المسكند »



يعتري إلا على هيكلاها المتحجرة من ملايين السنين .. وانقراض هذه الأنواع حير العلماء ، وذهب كل عجل انقراضها الى عوامل مرضية أو تغيرات طبيعية ، والبعض يرجع انقراضها لعدم درايها الكافية بفعالية بمواليدها أو لعدم مقدرتها على مسيطرة الظروف

المتغيرة على امتداد ملايين السنين . ويرجع انقراض بعض أنواع الروافح الى حوالي ثمانين مليون عام مضى ، وربما أراد الله لها ذلك حماية للكائنات الأخرى لكي تستمر الحياة ، ذلك لأن بعضها كان من كالات اللحوم بكميات كبيرة وبشراهة فائقة ، ولقد ثبت انه في الوقت الذي بدأت فيه الزواحف في الاضمحلال ، فإن الثدييات أخذت تسجل الانتشار والازدهار ، ذلك لما للثدييات من قدرة على ممارسة نشاطها وتآلفها مع كافة الأجواء والبيئات ، ولما تتمتع به عن الزواحف على رعاية صغارها وحمايتها من الآخرين !

السحالي المروعة

ومن الزواحف المنقرضة وأكثرها شهرة «الديناصور» أكل اللحوم ، وكان يمشي على رجليه الخلفيتين ، أما الأماميتين فكانتا صغيرتين جدا ، وطوله كان حوالي ستة أمتار وهو واف

الببيض ، إلا أن بعضها بقفس البيض داخل جسم الأم بعد تلقيحه داخلها لتلد الصغار ، وهي حالة وضع البيض فانه بقفس يتأثر حرارة الشمس أو الحرارة المتولدة من تحلل المواد العضوية في التربة دون أن تحتضنه الأم كما تفعل الطيور !

ويختلف بيض الزواحف عن بيض الطيور ، فالبيض في الزواحف يغلف بقشرة كسية أو جلدية وهي مسامية لكي تسمح بتنفس الجنين لكنها تقاوم الجفاف في نفس الوقت .

والزواحف لا توجد لها أطوار يرقية تمر بها في دورة الحياة كما هو الحال في البرمائيات .

لذا فإنها لا تضطر للعودة الى الوسط المائي في بعض مراحل حياتها كما تفعل البرمائيات !

والقلب في الزواحف يتكون من ثلاث حجرات وهو لذلك يعتبر أقل كفاءة من قلب الثدييات والطيور ، وقد يكون ذلك هو السبب في قلة نشاطها فترات طويلة من السنة . بالإضافة الى أن الدم في الزواحف لا يحتوى على كيميائية هيمية الى الأكسجين كما هو الحال عند الثدييات والطيور !

والغريب ان الزواحف لازمها سوء الحظ منذ ملايين السنين فانقرض الكثير من أنواعها واختفت تماما ولم

سطح الرمال الساخنة أو بعض الإحجار في الصحراء أو الأراضي القاحلة ، أما في فصول الشتاء وثناء الأيام شديدة البرودة فإنها تلجأ الى الجحور تحت الأرض معلقة عن مرحلة البيات الشتوي لها لتظل كامنة في هذه البيوت تحت الأرض طوال فترة الشتاء دون العذاء أو الماء .

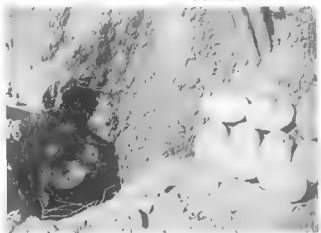
وقد كان لعدم قدرتها على توليد الحرارة من داخل أجسامها كمر الأثر في توزيعها الجغرافي فهي قليلة في الأماكن شديدة البرودة ، وربما كان معظمها في تلك المناطق من الزواحف صغيرة الحجم ، والحال عكس ذلك في المناطق المعتدلة والحارة من العالم :

وبالرغم من قلة أمانات الزواحف الطبيعية ، إلا أنها سيطرت على الأرض وسادت أرجاءها لفترة بلغت مائة وستين مليون عام ، كانت تشكل خلالها الغالب الأعظم من الكائنات الحية ، ومنها ما بلغ أحجاما ضخمة جدا ، ومنها ما كان يمتلك الإبنحة التي تشبه أجنحة الخفافيش ، ومنها من لجأ للقاء لكي يعيش فيه وبعضها تحورت أطرافه وأصبح لديه القدرة على أن يمشي على أرجله الخلفيتين !

لماذا انقرضت ؟

والزواحف من الحيوانات التي تضع

الى اليسار .. تمساح النيل أثناء خروجه من البيضة وإلى أسفل .. العنبر الذي تدمج التماسيح لتضع البيض ويرى في الصورة البيض قبل الفقس في تحديق الأرض



تعيش جميعها في المياه العذبة بالمناطق الدافئة في العالم ، ويوجد منها نوع واحد تطبق له المعيشة في المياه المالحة في جزر الهند الشرقية . ومن صفات التماسيح أنها كسولة ، تقضى معظم نهارها مستلقية في الماء أو على ضفاف الأنهار تحت أشعة الشمس وصغار التماسيح تتغذى على الحشرات والضفادع وتتدرج في تغذيتها على الأسماك ثم صغار الحيوانات إلى أن تكبر فستطيع أن تتغذى على الثدييات والطيور ، وبعضها يأكل الإنسان إذا ما تاحت له الفرصة .

والتماسيح تضع البيض في حفرة على الشاطئ قريبة من المياه التي تعيش فيها ثم تخطيه بالطين أو بعض النباتات وتقوم بحراسته إلى أن يفقس ، والثاء الفقس تقوم الأم بمساعدة الصغار على الخروج من البيض وتسهيل ماموريتها ويبدو أن الصغار بحكم الغريزة تعرف ذلك فهي تصدر أصوات الاستغاثة أثناء محاولتها الخروج من البيض !

ومن أشهر التماسيح تمساح النيل وقد كان منتشرًا في نهر النيل ، إلا أنه اختفى تمامًا بعد بناء خزان أسوان ، ولكنه يوجد ويعيش بكثرة عند منابع النيل ، وهو يبلغ ٦ أمتار طولًا ولون ظهره أخضر برونزي مزين بتحرك بسرعة في الماء ولكنه أبل حركة على

الأرض ، وعند السباحة في الماء لا يظهر منه سوى عينيه وأنفه .

ويتغذى تمساح النيل على الأسماك ، ولديه من الصبر والقدرة الكثير فهو يختبئ على ضفاف النهر لعدة ساعات في سكون تام حتى تقترب بعض الحيوانات لتحصل على ماء الشرب وهي في غفلة تامة لينقض قبضًا عليها بلكة القويين ويفوض بها في القاء وانثى التماسيح تضع بيضها في حجم بيض الأوز ، وتقوم بوضعه في حفرة وتغليه حتى يفقس بعد ذلك لتعود الصغار إلى الماء بالغريزة لتسبح فيه من أول يوم لها .

ولتمساح النيل تاريخ عند قدماء المصريين فكانوا يطلقون عليه «تشانيسا» وهي كلمة معناها في اللغات المصرية القديمة شروق الشمس ، وربما كانت تلك التسمية نظرا ليريق عينيه الضخمة الذي يبدو ظاهرا بوضوح عندما يمشي وهو يمشي ببطء ، وكان قدماء المصريين يقيمون لتمساح النيل طقوسا لإخفائه في موسم ضعف ذواته ، فربما كان ذلك هو المقصود ، كما لم ينكح لمجيد ويتقربون إليه بتقديم الحكي والجواهر حتى إذا مات قاموا بتحنيطه وحفظه في المقابر !

أشهر التماسيح

ومن التماسيح شهيرة المعاصرة أيضا تمساح «الكيمان» وهو يعيش في المناطق الاستوائية في أمريكا الجنوبية ومنه الكيمان الأسود ، ويسمى كذلك نسبة إلى لون الظهر ، أما البطن فلونها مثل إلى الأصفر ، وهو يبلغ خمسة أمتار طولًا ، وتوجد عدة أنواع من تمساح الكيمان تعيش في نهر الأمازون ومعظم أنهار أمريكا الجنوبية وتهاجر منها في فصل الجفاف إلى البرك والمستنقعات داخل الغابات ، وبعض هذه الأنواع تعد في فصل الجفاف إلى دفن نفسها في الطين إلى أن يحل موسم سقوط الأمطار لكي تعود مرة أخرى من سباتها وتذب فيها الحياة من جديد !

والليجاتور من التماسيح المعاصرة أيضا ومنه الليجاتور الأمريكي الذي يعيش في نهر المسيسيبي ولونه أخضر داكن أو أسود ، والليجاتور الصيني الذي يتميز بالصغر في الحجم عن الأمريكي ولون ظهره أسود مرط باللون الأخضر وتوجد عليه خطوط صفراء أما بطنه فلونها رمادي .

وتتمسح الصيالات يوجد عند مصبات الأنهار ويحوله لنقل بين ماء البحر والمالح ومياه الأنهار العذبة ، ويمتاز هذا النوع بكون حجمه ، ويبلغ طوله ٣٣ قدما ، ويعرف بشراطة ، واعتدائه المتكرر على الحيوانات الكبيرة وحتى الإنسان ، ولهذا النوع من التماسيح عدد كبير تفرز نوعا من المسك إلا أنه غير مقبول الرائحة !

والتمساح الأيويكي أيضا من التماسيح التي قطن أماكن متفرقة في الولايات المتحدة الأمريكية في كولومبيا وفلوريدا وفنزويلا ، كما يوجد أيضا في جزر الهند الغربية ولون ظهره زيتوني ضارب إلى السواد .

أما تمساح الكاتافراكتس فهو يعيش في أنهار غرب أفريقيا من السنغال إلى الكونغو ، وهو يسمى التمساح طويل الدم نظرا لأن فمه بالغ الطول رفيع ، وطول هذا النوع من التماسيح ١٨ قدما وهو أكثر التماسيح خولا وخدرا ، ولقد تعود الأهالي في تلك المناطق على سيده وأكل لحومه .

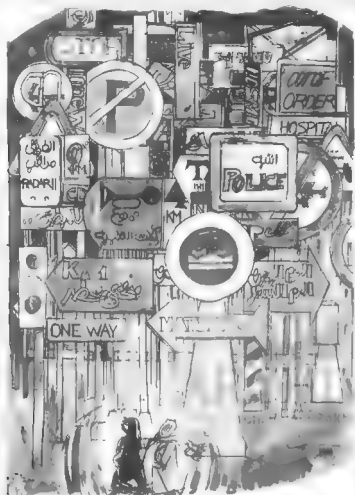
وهناك تمساح الجابيل الذي يشبه فمه المنقار ، وله أسنان رفيعة مقوسة مخروطية ، ولون ظهره زيتوني داكن ، وهو يتغذى على الأسماك التي يسهل عليه اصطيادها بعتقاره الطويل الرفيع وأسنانه الحادة ، وهو أكثر أنواع التماسيح أجادة للسباحة ، وهو لا يميل إلى افتراس الحيوانات الثديية أو الإنسان بل يقتصر في امر غذائه على الأسماك ، لذلك فإن بعض الهنود يقدسون ويعبدونه !

ويعيش هذا النوع في أنهار الهند وبعض الأنهار المختصرة في قارة آسيا !

د. محمد العباسي ربيع

تمساح الأمريكي وشنبر بإسبانيا القوية





العلامات موش لينيا باحميده ، انا وانت رجال .. يعني مشاة



حارس مرمى .. الحارس الله .. !!

ضحكات الشهر



صالح البشير



(البحر) نيران حرارة .. !!



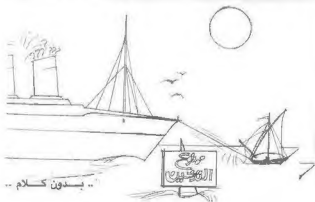
.. طبيب .. اهلا .. ازيك يا روحى !!



طبيب لآخوه الغليبان - دى اخر مرة اسالك عن
لصحة .. وبعدما خضطر اعطجك يقطوس ..



ست .. ما لهم .. امله !!



.. بدون كلام ..

قطع من الشطرنج من
القرن الثاني عشر تم
العثور عليها في
اسكتلندا



الشطرنج .. حرب سلمية

بقلم : إبراهيم السقّان

لقد اختلفت الروايات في معرفة تاريخ الشطرنج ، فنسب تارة الى القائد الاغريقي (باليداس) في حصار طروادة ، ومن المؤرخين من نسبه الى الكلدانيين او الاشوريين او الفراعنة ، وذكر المؤرخ السويصري طيموبولد دى سوسور: ان الشطرنج من اختراع الصين في القرن العاشر قبل الميلاد .. وقد عثر علماء الآثار السوفييتيون على أحجار شطرنج يعود تاريخها الى القرن الثاني بعد الميلاد ومنها حجر على هيئة فيل وآخر على هيئة ثور

لعبة الشطرنج فقال على لسان الشاعر المصري «رايت بعمرة النعمان عجا من العجب رايت اعشى شاعرا نظيفا يلعب الشطرنج ويدخل في كل فن من لجد والهزل ، يكتي ابو العلا» .

ومن الشطرنجيين الذين لمحت اسماءهم في التاريخ العربي احمد بن يحيى بن ابي بكر بن ابي حجلة التلمساني ، شهاب الدين ابو العباس (٧٢٥ - ٧٧٦ هـ) الذي ولد في تلمسان ثم رحل الى دمشق ثم انتقل الى القاهرة واشتغل بالاناب وولع به ثم ولي مشيخة الصوفية بصوريج متجك بظاهر القاهرة ومات فيها . وقد صنف اكثر من ثمانين كتابا في شتى فنون المعرفة والعلوم واشهرها (ديوان الصباية) ، و (منطق الطير) وقد علاج فيها امور الشطرنج . وقد تالق في الاندلس نجم شطرنجي هو ابو زيد محمد بن عمار وهو شاعر كبير وقد لاعب ملك قشتالة الفونس ففخيه . وقد ذكر مستشرق اسمه كرجكوفسكي ان في متحف ارميتاج في ليننغراد كتابا

ومن الشخصيات العربية التي بقيت بهذا الفن ابو عثمان الجاحظ .

واما الفيلسوف يعقوب بن اسحاق فتدعى فقد قال في وصيته لولده «يا بني كن كلاعب الشطرنج مع النفس تحفظ شيك وتأخذ من شيكهم، فان ملكه اذا خرج من يدك لم يعد اليك» .

وقد ورد كثير من شعر العرب في وصف الشطرنج كقشارة الشاعر صفى الدين الحلبي في قصيدته القومية المشهورة :

سلى الرماح العوالي عن معاليها واستشهدى البيض هل خاب الرجا لينا والى جاء فيها :

يباق ظفرت ايدى الرماح بها ولو تركناهم صاروا فرازيقا ومن درج الشعر العربي في الشطرنج قول الشيخ جمال الدين بن تيمية : اذيع لاعب شطرنج قد اجتمع في حسنة من معاني الحسن اشبات عيناه منصوبة للقلب غالبة والخد فيه لقل النفس شامسة وذكر النحلي في «بيتمية الدهر» اخبارا عن مشاركة ابي العلاء المعري في

على ان العلماء المعاصرين يجزمون بان الشطرنج هو اختراع هندي معتمدين في ذلك على مصادر الثقافة العربية الاسلامية التي اكدت ان مخترعه هو «صمصه بن داهر البرهمي الهندي» . وانه وضعه في القرن السادس الميلادي ، فقد قال المسعودي إن «صمصه» وضعه للملك «بلهيت» وجعل احجار الشطرنج على صورة ادميين وغيرهم من الحيوان وجعلهم درجات ومراتب قد يظن انها صور البرج .. وقال الرامحدي « ان ملوك الهند كانوا حكماء لا يريدون القتال وإراقة الدماء فوضعوا الشطرنج ، وكانوا اذا تنازع ملكان اصطف الجيشان وتقابل الفريقان وتقدم للكلان فلعبا في موقع المعركة بالشطرنج فمن غلب استولى على الشيء » (المتنازع عليه من غير قتال» وذكر يعقوبي ان فضائل الهند ثلاث : «الشطرنج ، وكعبة ودمنة ، وتسعة احرف تجمع الحساب» . وقد حظيت لعبة الشطرنج باهتمام بارز في التاريخ العربي فخلقت انتشلا واسعا في عهد الدولة الاموية والدولة العباسية ...

صورة بين الملك والملكة في
إيطاليا في القرن الثاني عشر



هكذا يرتبون قطع الشطرنج قبل المباراة



١٢٢٤ تحت شعار (نحن أسرة واحدة).

ومن طريف ما يروى ، دلالة على مدى ارتباط هذه اللعبة بالذكاء أن الملك الهندي أراد مكافأة الحكيم «صصة» مخترع الشطرنج ، فطلب المخترع طلباً متواضعاً هو أن توضع له حبة قمح واحدة على المربع الأول من الرقعة ثم تضاعف بمتواليه ١-٢-٤-٨-١٦-...

فخ . وقد استهأن الملك الهندي بطلب ، ولكن عند التنفيذ وبعد الحساب الدقيق تبين أن المخترع قد طلب ما يعادل محصول الكرة الأرضية لو زعت جميعها قمحاً بعد تجليف بحارها ونسوية جبالها لمدة ستة آلاف عام!؟ هذا على نمة الراوي !! ومن يشك في صحة هذا التقدير فليحسب .. إذا ما اتسع وقته .. وصدوره !!

إبراهيم السمان
عمان - الأردن

على اختلاف لأعلى اختلاف
وفي البلاط منه يبقى نصيب
وكل وجه فيه صف

إلى آخر الأ رجوزة التي يصف فيها بدقة،
ومن لعبة الشطرنج .

ولعبة الشطرنج هي حرب بين جيشين يجرى فيها كل ملقح في الحرب من هجوم ودفاع وخدعة وميلادة وتكتيك وفيها هزيمة وانتصار وتعادل وهزيمة وصلح ! ولكنها حرب سلمية ، إذا جاز هذا التعبير ، بين فكرين ساحتها الرقعة وجنودها القطع وقلائد اللاعبين ٢٠- وهي صراع فكري يسهم فيه الذكاء والدهاء والفن والعلم . وقد اهتم بهذه اللعبة معظم شعوب العالم المتقدم في الشرق والغرب فقلعت فيها أندية وجمعيات الشطرنج ، وألفت حولها الكتب ، وأسست في بعض الدول جامعات وطنية ترفع شؤن الشطرنجيين وتتقدم لهم الجوائز والمكافآت . كما أنشأ اتحاد دولي للشطرنج في باريس عام

عريس المنشأ فيه صور لشقى العالم يمثل الحياة في زمن الفونس الذي كان من أكبر دعاة الثقافة الإسلامية في إسبانيا . وكان للشطرنج مكانة كبيرة بين مملكات الإسلام ، ويرجع الشطرنج الأوروبي في أصله إلى الشطرنج الذي نقلته أوروبا عن المسلمين ، ذلك أن لعبة الشطرنج تمثل لونا من ألوان النشاط الفكري . ومن الذين اشتهروا بالشطرنج في الاندلس الوزير والأديب الشاعر تلمع ابن عمر النقاش .

وقد حظى الشطرنج بفسط وأفر في قلب العرب : نثرهم وشعرهم . ففي الأرجوزة الشطرنجية يقول الشاعر مهدي البقادي المتوفى عام ١٣٢٧ هـ . إيك والسرة في الحاربيه لنذكر المراد في المخالفة ليزم للشطرنج أن يضطهدا بيتا ثمانيا له مريعا مجموعا لستون بعد الأربعة وكل أبيات له مريعا ونصفا يصيبخ بالسمواد

أول إنسان عربي قال الشعر من هو ؟

بقلم : حامد بدر

كيف نشأ الشعر ؟ وأين ؟ ومتى ؟
أسئلة يستقبلها ذهن ، ويبحث لها
عن جواب .
والجواب البسيط المرتجل الذي لا يرد
عليه اعتراض ، ولا يحتاج إلى تنقيب في
مراجع الأدب والتاريخ ، هو أن الشعر
نشأ مع الإنسان من كل جنس وكل لسان ،
في كل زمان ومكان .
وهذا الجواب لا يتفق مع ما زعمه
الجاحظ ، قال في الجزء الأول من كتابه
(الحيوان) :

.. « وأما الشعر فحدث لميلاد ،
صغير السن ، أول من نهج سبيله ،
وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر
ومهلل بن ربيعة ... فإذا استقبلنا
الشعر وجدنا له - إلى أن جاء الله
بالإسلام - خمسين ومائة عام ، وإذا
استقبلنا بغاية الاستظهار فماتت عام
ولو قلنا : إن أول شعر جاهلي جيد وصل
إلينا كان للمهلل وامرء القيس ، كما
ورد على هذا القول اعتراض ، فهو قول
لا يمنع أن للعرب الجاهليين قبل هذين
الشاعرين شعرا كان نصيبه الضياع ،
قيس ما وصل إلينا من شعر هو كل ما
قبل ، وليس هو أقدم ما قبل ، بل لابد أنه
سبوق بشعر أكثر منه قدما ، وأقل حظا
من التقدير والمصلح - لشعر المهلل
وامرؤ القيس وصل إلينا بعد شعر
جاهلي أكثر قدما ، وبعد مراحل وتجارب
انتهى منها إلى هذا المستوى من الجودة

لا بد أن هذين الشاعرين قد سبقا
بشعراء كثيرين مجهولين ذهبت
أسمائهم نسيا منسيا كالآف الدين لم
يعرفهم التاريخ ولم يعرفوه ، ولابد أن
هذا الشعر الذي وعاه الحفاظ ، ودونه
المدونون قد سبق بشعر كثير لم يترك حفا
من الحفظ والتدوين فأودي به الضياع
ولاشك أن للشعر العربي نبورا نبئت

ونمت في وطنها الأول وهو الجزيرة
العربية ، وفي عهدها الأول وهو العصر
الجاهلي . أما كيف كانت تلك البذور ،
وكيف تعقدت جذورها ويستقت سيقانها ،
ولتقت اغصانها ، وأينعت ثمارها .. فمن
البهديات أن البذور لكي تثبت وتنعو
تحتاج إلى التربة والماء والمناخ ، فهي
تتغذى بالتربة ، وترتوي بالماء ، وتلبس
وتترعرع في المناخ الصالح ، حتى تصير
شجرة صغيرة ، أو شجرة باسقة ، أو
بوحة وأرقة الظلال . فلا مانع لدينا من
وجود تلك البذور والجذور قبل المهلل
وامرء القيس .

لماذا لا يكون أول إنسان عربي قال
الشعر هو شعر عذرا قبل المهلل وامرء
القيس له مثل ما لهما من الطبع
والوجدان ؟ من هو ذلك الشاعر العربي
الأول ؟ لا نستطيع أن نعرف لأن
حفظوا الشعراء من وسائل التاريخ
والتدوين والرواية الصحيحة المتصلة لم
تكن متكافئة في كل زمان لاسيما العصر
لذي عاش فيه ذلك الشاعر المجهول .
وإذا كنا نشك في بعض ما وصل إلينا
من شعر منسوب إلى العصر الجاهلي ،
نشك في من نسب إليه ، هل هو قائله أم
وضعه غيره ، وهل قائله الحقيقي
جاهلي أم إسلامي ؟ فلا ريب أننا عاجزون
عن معرفة أول شاعر عربي ، وإن وجدنا
في أنفسنا الدليل على أن بذور الشعر
الجاهلي موجودة قبل المهلل وامرء
القيس .

ونظرة بعيدة إلى الشعر عموما ، لا
إلى الشعر العربي فقط ، نجد أن الشعر
والحياة صنوان ، فمن الناس من خلق
بطبيعته شاعرا ، لا فرق في ذلك بين عربي
وغير عربي ، بل أن أي مخلوق في هذه
الوحدة ، ولديه القدرة على التعبير
الجميل عن حياته وأحاسيسه يمكن أن

يكون شاعرا أو شبه شاعر .
ولو رجعنا بتفكيرنا إلى تصور النشأة
الأولى للإنسان ، والنشأة الأولى للشعر
فقد لا نرى موجبا لافتراض الفاصل
الزمني بين النشأتين . وأكاد أجزم بأن
أول شاعر هو أول إنسان استطاع
التعبير باللغة التي عرفها عن وجدانه
وتأذره بالحياة تعبيرا صادقا متقنا
جميلا مؤثرا . ومنذ اللحظة الأولى التي
ولد فيها أول شاعر حتى نهاية الحياة
الدنيا لم يخل ويخلو ويخلو جيل من شاعر أو
شعراء .

وفي كل عصر من العصور عاش
شعراء من كل جنس ، ومن كل دين ، فهم
مختلفون في لغاتهم وعقائدهم وميولهم
وأغراضهم . وهذا الاختلاف أمر طبيعي
ما دام الشعر ترجمة للأحاسيس والطبع
والوجدان .

فمن الأئمة شعراء ومن المتصوفة
شعراء ، ومن الزنادقة شعراء . وقصد
تناول الشعر كل الأغراض الشريفة وغير
الشريفة .

ولأن خاتم الأنبياء محمدا صلى الله
عليه وسلم بحث بأبلغ وأتقن دستور
سموي ، عصمه الله من الهوى والألم
والضلال ، وطهره من كل شائبة تدعو إلى
الإتهام ، فلم يعلمه الشعر . قال سبحانه
« وما علمناه الشعر وما ينبغي له أن هو
الذكر وقرآن مبين » صدق الله العظيم .
هل نستطيع بعد ما تقدم أن نحكم بأن
البذور الأولى للشعر وجدت عند أول
إنسان لديه القدرة على تصوير وجدانه

في عبارات جميلة موزونة مؤثرة ؟
فإن لم تكن تلك البذور الأولى قد
وجدت عند أدينا الأول آدم عليه السلام ،
فهي بلا شك قد وجدت عند أحد أبنائه
السابقين إلى هذا الفن ، أو إحدى بناته
السابقات إليه منذ بدء الخليقة .

حامد بدر